

مدينة الري في العصر السلجوقي

(٤٣٤هـ - ٥٩٠هـ / ١٠٤٢م - ١١٩٣م)

إعداد

أديل سليمان محمود وهبي

المشرف

الأستاذ الدكتور عبدالعزيز الدوري

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات نيل درجة الدكتوراه في

التاريخ

ب

كلية الدراسات العليا
الجامعة الأردنية

كانون الثاني ٢٠٠٤م

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد والثناء على الله والصلاة والسلام على رسوله صلى الله عليه وسلم.

تعد فترة السلطنة السلجوقية التي استمرت أكثر من قرن ونصف (٤٣١هـ—٥٩٠هـ/١٠٣٩-١١٩٣م) من فترات التاريخ الإسلامي المهمة، فقد جرت فيها حوادث غنية مهدت لما تلاها من فترات تاريخية، وبذلك يمكن اعتبارها مدخلاً للسلطنات التي حددت مسار تاريخ الأمة العربية والإسلامية لما يزيد على ألف عام.

تكتسب دراسة الفترة السلجوقية أهمية خاصة، نظراً لما شهدته من تبدلات سياسية وإدارية، واقتصادية، واجتماعية، وتعليمية.

ولعل أول تلك التحولات، انتقال السلطة السياسية من البويهيين الشيعية إلى السلاجقة السنة، وما رافق هذا الانتقال من إعادة اعتبار سياسي للخلافة العباسية في مواجهة الشيعة، وتفوق العنصر التركي على العناصر الأخرى، وإعادة توحيد معظم المشرق الإسلامي، واستعادة المسلمين لزام المبادرة في علاقاتهم مع البيزنطيين واستحداث السلاجقة لمنصب السلطنة الذي بقي مستمراً على اعتباره صاحب السلطة الفعلية، فأصبحت الدولة عرضة للتقسيم بين أبناء السلطان وأخوته، وأبناء عمومته، مما أضعف الوحدة السياسية للدولة وربما ساهم في تجزئتها.

وظهر في هذه الفترة مجموعة من الوظائف والمصطلحات الإدارية، التي أثرت فيمن جاء بعد السلاجقة من دول، وبخاصة منصب السلطنة، والشحنة، والطغراء، والمستوفي بالإضافة لإدخالهم الكثير من المصطلحات إلى الدواوين الإدارية الإسلامية.

وتأثرت خلال هذه الفترة البنية الاجتماعية لبعض مناطق المشرق الإسلامي وخاصة مدينة الري والعراق وبلاد الشام، حيث رافق دخول السلاجقة إليها هجرات تركية أثرت في التركيبة السكانية، وأدت إلى إعلاء شأن المرأة خاصة فيما يتعلق بدورها في سياسة الدولة، لهذا نجد في هذا العصر العديد من النساء اللاتي اشتغلن في السياسة، وكان لهن نفوذ كبير في الدولة، لا سيما زوجات السلاطين بالإضافة لما أوصلوه من عادات وتقاليد تركية.

وتحسنت أحوال التجارة كثيراً في ظل حكم السلاجقة نتيجة للسياسة التي اتبعوها في هذا الصدد، من تأمين للطرق التجارية، وبناء للخانات في المدن والمحطات التجارية، وتوسيع الأسواق.

عادت في هذه الفترة أهمية المذاهب السنية وارتفع شأنها، وتبنتها الدولة، وحاولت الدولة السلجوقية مقاومة المذاهب الشيعية في المشرق الإسلامي عن طريق تقريب أهل السنة، والانتصار لهم في صراعاتهم مع الشيعة، كما ظهر في هذه الفترة الصراع بين بعض المذاهب السنية بشكل واضح وعنيف وخاصة بين الحنابلة والأشاعرة، والحنفية والشافعية في الري وحدث العديد من الفتن.

وتطورت الحركة التعليمية بشكل كبير في ظل حكم السلاجقة، وبخاصة بعد تدخل نظام الملك، في نظام المدارس بجعلها مؤسسات رسمية تقوم الدولة على رعايتها وتخصيص النفقات لها، وكانت الغاية منها المساهمة في ترسيخ المذاهب السنية بشكل عام والمذهب الشافعي بشكل خاص، وإعداد موظفين للإدارة.

كما أن الأنظمة السياسية والإدارية والاجتماعية والاقتصادية التي سادت الري في الفترة السلجوقية، وما صاحبها من عمران وتخطيط تستحق الاهتمام والبحث، إذ أن دارس الحضارة الإسلامية في الجهات الشرقية للدولة الإسلامية خاصة، لا يستطيع إغفال دور مدينة

الري باعتبارها محطة من محطات الحضارة الإسلامية خلال العصر السلجوقي، ومساهمتها في التطور الحضاري بما قدمته للتراث.

ونظراً لهذه الأهمية للري، الى جانب قلة الدراسات المختصة في تاريخها الحضاري، ارتؤي البحث في تاريخ وحضارة هذه المدينة؛ لجلاء بعض جوانبها ولم يُفرد للري كتاب خاص بها باستثناء كتاب (ري باستان) لحسين كريماني الذي تحدث عنها منذ وجودها حتى وقتنا الحالي. والحياة الثقافية في مدينة الري في العصر السلجوقي في رسالة ماجستير قدمت لجامعة آل البيت.

كما أن المدينة كانت موضوعاً لدراسة قام بها عباس قدياني، حيث درس الجغرافية التاريخية لمدينة الري، غير أنه لم يتناول المظاهر الحضارية للمدينة.

وقد واجهت الباحثة أثناء إعدادها هذه الدراسة صعوبات أهمها: الوصول إلى المصادر والدراسات الفارسية، وقلة الإشارات المتعلقة بالمظاهر الحضارية في المصادر الخاصة بعصر السلاجقة.

وجاءت هذه الدراسة في أربعة فصول، خصص الفصل الأول منها لدراسة الطبيعة الجغرافية للمدينة؛ ويتضمن الحديث عن موقعها ومناخها والأنهار التي تمر بها، ثم الحديث عن الحياة السياسية والعسكرية لمدينة الري منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية عصر السلاجقة.

أمّا الفصل الثاني فتناول خطط المدينة وما بها من وحدات عمرانية: كالقلعة والربض، وبوابات المدينة وأهميتها، والأسواق، والمساجد، والمدارس، والمقابر، والحدائق مع الإشارة إلى القصور التي كان يعيش فيها السلاجقة.

أمّا الفصل الثالث فدرس الأحوال الإدارية التي كانت سائدة في هذه المدينة المهمة، التي صارت عاصمة لدولة السلاجقة، فتحدث عن السلطنة والوزارة، ثم استعرض المؤسسات الإدارية المتمثلة بالدواوين، وبعض الوظائف الإدارية الأخرى، ثم الحديث عن القضاء.

أمّا الفصل الرابع فخصص للحديث عن الحياة الاجتماعية، فتناول أصول السكان، وأعراقهم، وطبقاتهم، وطعامهم وشرابهم، وملابسهم، ووسائل تسليتهم. كما تحدث أيضاً عن الحياة الاقتصادية، فتطرق للزراعة، والري، والثروات الزراعية وبعض المهن المتصلة بها، ثم تحدث عن المعادن المتوفرة وأهم الصناعات التي قامت عليها، ثم تحدث عن التجارة بما فيها من صادرات وواردات وطرق تجارية وأسواق. وألحق ذلك كله بمجموعة من الخرائط التي من شأنها أن تسلط الضوء على الموضوع.

تحليل المصادر

ثمة مصادر مهمة يمكن الاعتماد عليها والاستعانة بها في تدوين موضوع

البحث، ونذكر منها:

استفادت الباحثة من كتاب "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم"^(١) لأبي عبد الله محمد بن أحمد المقدسي (ت حوالي ٣٧٨هـ/٩٨٨م). فالكتاب من أهم الكتب الجغرافية التي صنف في العصر العباسي (القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي)، وعرض فيها المؤلف مشاهداته للمدن التي زارها، وسجل على طوبغرافية الري وجغرافيتها، ومظاهرها الثقافية والحياة الدينية، وعن العادات والتقاليد والمساكن والمناخ والصناعة والمحاصيل الزراعية والطرق والنقود والأوزان والخراج، فجعله مصدراً مهماً في ما أرخ لتجواله ورحلاته، وقد تركزت إفادة الدراسة على هذا المصدر في الفصل الأول والفصل الرابع من هذه الرسالة.

كما استفادت الباحثة من كتاب "آثار البلاد وأخبار العباد"^(٢) لزكريا بن محمد بن محمود القزويني (ت ٦٢٢هـ/١٢٢٦م)، صنف هذا الكتاب في أواخر فترة السلاجقة، وسجل المؤلف جغرافية الري التاريخية، كما تعرض للأحوال الاجتماعية والاقتصادية إضافة إلى تراجم أشهر العلماء لمدينة الري، وجاءت أهمية هذا الكتاب بحكم معاصرة المؤلف لهذه الفترة، وقد تركز هذا المصدر في جغرافية الري والأحوال الاقتصادية والاجتماعية.

(١) طبع ليدن، ١٩٠٩م.

(٢) طبع دار صادر، بيروت، ١٩٦٦م.

وقد اعتمدت الباحثة أيضاً على كتاب "معجم البلدان" لياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م)^(١)، وهو من أبرز علماء الجغرافيين، ومن كبار العلماء في اللغة والأدب، ورحل طلباً للعلم والتجارة، وألف كتباً رائدة في الأدب والجغرافيا، منها كتاب "معجم البلدان"، وهذا الكتاب مهم؛ فهو يقدم صورة كاملة من الناحية الجغرافية مع التعرض إلى بعض النواحي السياسية والاجتماعية والثقافية. ويعدّ هذا الكتاب من المصادر المهمة في معرفة المدن والقصبات والقرى التي زارها المؤلف في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي.

وقد زار المؤلف مدينة الري ونواحيها وضواحيها وسجل فيه ما شاهده وما سمعه. وتأتي أهمية كتابه أنه استفاد من المصادر الأصلية التي فقدت، مثل كتاب "تاريخ الري" للوزير أبي سعد منصور بن حسين الآبي (ت ٤٣٢هـ/ ١٠٤٠م)^(٢).

أمّا مصادر التاريخ العامة والمحلية التي أفادت الباحثة منها، فهي: "تاريخ بيهقي" باللغة الفارسية لأبي الفضل البيهقي (ت ٤٧٠هـ/ ١٠٧٨م)^(٣)، ويقول صاحب "تاريخ بيهقي"^(٤): إن هذا الكتاب كان من ثلاثين مجلداً، ضاع معظمه وما بقي في أيدينا يبلغ ستة مجلدات، ويعد هذا الكتاب من أهم الكتب التي ألّفت في الفارسية في القرن الخامس الهجري من جهة الأسلوب والإنشاء. ويحتوي على معلومات قيمة، وأهم ما يميزه عن الكتب الأخرى أنه يصور الأحوال السياسية والاجتماعية في ذلك الوقت. واعتمد البيهقي

(١) طبع دار المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٩٠م.

(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٧٨.

(٣) طبع مهارات طهران، ١٣٦٨هـ.ش، ١٩٨٩م.

(٤) لأبي الحسن البيهقي المعروف بابن فندق (ت ٥٦٥هـ/ ١١٧٠م).

في كتابه على بعض المصادر السابقة مثل سير الملوك لابن المقفع، وقد سجل الوقائع والأحداث يومياً وما سمعه من الثقاق، وتأتي أهمية الكتاب كذلك من كون مؤلفه كان معاصراً للفترة الزمنية خاصة قبيل دخول السلاجقة وبعد دخولهم. وأفادت الباحثة منه عند استعراض الأوضاع السياسية منذ بداية عهد السلاجقة في الفصل الأول من هذه الرسالة.

كما أفادت الباحثة من كتاب "مجل التواريخ والقصص"^(١) باللغة الفارسية لمؤلف مجهول توفي بعد ٥٢٠هـ/١٢٧م. ويعد هذا الكتاب من الكتب المهمة التي أفادت منها الباحثة، وهو يشتمل على خمسة وعشرين باباً، تناول تاريخ إيران قبل الإسلام وتاريخ العرب والتاريخ الإسلامي حتى بداية القرن السادس الهجري، ويبدو أن المؤلف كان من أهل همذان، وكان عالماً وخبيراً في القضايا التاريخية. وصنف أيضاً كتاباً في "أخبار البرامكة"^(٢)، فقد اعتمد مؤلفه على تاريخ الطبري، وسير الملوك لابن المقفع وكتاب الشاهنامه للفردوسي، وتاريخ أصفهان، والقصص الإيرانية، وجاءت أهمية الكتاب من كون مؤلفه كان معاصراً لفترة الدراسة، وكانت إفادة الباحثة في الفصل الأول، بالإضافة إلى الفصل الثاني من هذه الرسالة.

اعتمدت الباحثة على كتاب "تاريخ دولة آل سلجوق"^(٣) لشرف الدين أبو النصر أنو شروان بن خالد بن محمد الكاشاني (ت ٥٣٢هـ/١١٣٧م)، ولد المؤلف في مدينة

(١) تصحيح ملك الشعراء بهادر، د.ت.

(٢) ذبيح الله صفا، تاريخ أدبيات در إيران، ط ١٣، انتشارات مجيد، تهران، ١٣٧٣ هـ.ش، ١٩٩٤م، ج ٢، ص ٩٣٥.

(٣) طبع المكتبة الشرقية، القاهرة، ١٩٧٤م.

الري سنة (٤٥٩هـ/١٠٦٦م)، وتقلب في مناصب البلاط السلجوقي، حتى وُزر لمحمود بن محمد ملكشاه السلجوقي ورافقه إلى بغداد (سنة ٥١٨هـ/١١٢٣م)، ثم أصبح وزيراً للخليفة العباسي المسترشد بالله (٥١٢-٥٢٩هـ/١١١٨-١١٣٤م)، وتوفي في نفس السنة التي قتل فيها الخليفة المسترشد بالله (٥٣٢هـ/١١٣٨م)، وقد صنف هذا الكتاب باللغة الفارسية بعنوان "نفثة المصدور في فتور زمان الصدور وصدور زمان الفتور في تاريخ السلاجقة". والمؤلف على الرغم من كونه شيعياً إلا أن ميوله المذهبية لم تؤثر في كتابته لتاريخ السلاجقة كان يأخذ معلوماته بصورة مباشرة من مشاهداته واتصالاته الشخصية، فكتابه بهذا الاعتبار، يحتل من كتب التاريخ أرفع منزلة وأوثقها.

وقد نقله عماد الدين أبو عبدالله محمد بن صفي الدين الكاتب الأصفهاني (ت ٥٩٧هـ/١٢٠١م) إلى اللغة العربية. والأصفهاني تلقى العلم في إيران والعراق في بداية القرن السادس الهجري، ثم رحل إلى الشام حيث دخل في خدمة نور الدين الزنكي (ت ٥٦٩هـ/١١٧٣م) رئيساً لديوان الإنشاء، ثم استخدمه صلاح الدين الأيوبي (ت ٥٨٩هـ/١١٩٢م) بعد فترة-. وعندما ترجم العماد كتاب الكاشاني، لم يقف عند السنة التي وصل إليها الكاشاني (وهي سنة ٥٣١هـ/١١٣٧م)، بل أضاف إليها مشاهداته والأحداث التي تتعلق بتاريخ الدولة السلجوقية (حتى سنة ٥٧١هـ/١١٧٥م)، وسماه "نصرة الفترة وعصرة الفطرة" واختصر الكتاب من قبل الفتح بن علي بن محمد البنداري الأصفهاني (ت ٦٤٣هـ/١٢٤٥م) وقدم إلى الملك عيسى بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب (ت ٦٢٤هـ/١٢٢٧م) في دمشق، وسمى بعنوان "زبدة النصر ونخبة العصرة"، وتأتي أهمية هذا الكتاب بأن مؤلفه الكاشاني ومترجمه عماد الدين الأصفهاني

عاصراً فترة الدراسة، والبنداري الذي قام بتلخيصه فهو أديب ملم بالعربية والفارسية، وله مصنفات تاريخية عديدة، وترجم الشاهنامه للفردوسي إلى اللغة العربية، أفادت الباحثة من هذا الكتاب في الحياة السياسية فيما يتعلق بعصر السلاجقة في الفصل الأول والفصل الثالث من هذه الرسالة.

استفادت الباحثة من كتاب "راحة الصدور وآية السرور في تاريخ آل سلجوق"^(١) باللغة الفارسية لنجم الدين محمد بن علي بن سليمان الراوندي (ت بعد ٦٠٣هـ/١٢٠٦م) الذي ينتسب إلى أسرة من أهل العلم في بلدة راوند قرب مدينة كاشان في محافظة أصفهان. ولد ونشأ فيها، وقد تلقى تعليمه في صغره على يد خاله تاج الدين أحمد الراوندي، ونال حظاً وافراً في تعليم الخط وفنونه، والتجليد والتذهيب، ودرس الشريعة وكان شاعراً وأديباً، ودخل في خدمة سلاطين سلاجقة الروم، وصنف كتابه في أواخر القرن السادس الهجري، ويشتمل على مقدمة وتاريخ السلاجقة حتى مقتل طغرل الثالث (ت ٥٩٠هـ/١١٩٣م)، ويظهر أن المؤلف لم يكن مؤرخاً وإنما كان أديباً وناقلاً للتواريخ، وكان سنياً متشدداً، إذ أخذ من كتاب "سلجوقنامه" لظهير الدين النيسابوري (ت ٥٨٢هـ/١١٨٦م) وجاء بالمقطوعات الشعرية المأخوذة من الشاهنامه للفردوسي (ت ٤١١هـ/١٠١٨م)، وأفادت الباحثة في استجلاء الصورة التاريخية للعصر السلجوقي ومدينة الري في الفصل الأول والفصل الثالث من هذه الرسالة.

(١) طبع أمير كبير، تهران، ١٩٨٥م.

كما استفادت الباحثة من كتاب "المنتظم في تاريخ الملوك والأمم"^(١) لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي (ت عام ٥٩٧هـ/١٢٠٠م) المحدث والمؤرخ، حيث صنف أكثر من ثلاثمائة مصنف في مختلف العلوم والفنون، ويعتبر هذا الكتاب من المصادر الأساسية والمهمة لعصر السلاجقة، ورتب ابن الجوزي كتابه على أساس السنين، وذلك أنه يذكر أخبار كل سنة وما كان بها من أحداث، ثم يعقب ذلك بذكر تراجم العلماء والأدباء والأعيان في تلك السنة، وذلك منذ بداية الإسلام وحتى نهاية سنة ٥٧٤هـ/١١٧٨م، ولقد تركزت إفادة الباحثة من هذا الكتاب في جميع الفصول.

أمّا كتاب "الكامل في التاريخ"^(٢) لأبي الحسن علي بن محمد الشيباني بن الأثير الجزري المعروف بابن الأثير (ت عام ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) الذي درس الحديث واللغة والفقه، ورحل في طلب العلم إلى بغداد والشام، ألف كتاب الكامل على أساس المنهج الحولي، وذكر عدة حوادث آخر كل سنة، ووفيات الأعيان والعلماء والفقهاء في تلك السنة واعتمد ابن الأثير على المعلومات التاريخية التي أوردها الطبري، غير أنه أضاف بعد ذلك، وخاصة في فترة ما بعد الطبري.

وتأتي أهمية الكتاب من جهة معاصرة مؤلفه لفترة الدراسة، فسجل الأحداث السياسية في كتابه ما شاهد وما قرأ أو ما سمع من الثقات، فقد انفرد بذكر معلومات لم

(١) طبع دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢.

(٢) طبع دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق محمد يوسف الدقاق، ١٩٨٧.

يذكرها مصدر آخر، ونظراً لأهمية كتاب الكامل استفادت الباحثة منه في الفصول المختلفة من هذه الرسالة.

وكما استفادت الباحثة من كتاب "مرآة الزمان في تاريخ الأعيان (الحوادث الخاصة بتاريخ السلاجقة)"^(١) لسبط بن الجوزي يوسف بن قزواغلي بن عبدالله أبي المظفر شمس الدين (ت ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م) المؤرخ، انتقل إلى دمشق واستوطنها وألف عدداً من المصنفات في علوم الشريعة والتاريخ، وتم الإفادة منه في الجزء الثامن، وجاءت أهمية كتابه من أنه اعتمد في ذكر حوادث عهد السلاجقة ووفياته لفترة الدراسة، وتركزت إفادة الباحثة في الفصل الأول من هذه الرسالة.

وقد اعتمدت الباحثة على عدد من المؤرخين الذين صنفوا التواريخ المحلية، حيث صنف بهاء الدين محمد بن حسن بن اسفنديار الكاتب المعروف بابن اسفنديار (ت ٦١٣هـ/ ١٢١٧م) كتابه المشهور "تاريخ طبرستان"^(٢) باللغة الفارسية، وهذا الكتاب يشتمل على أربعة أجزاء، ويتناول تاريخ ملوك طبرستان وأعيانها وأطبائها وحكائها وشعرائها، وفي الجزء الثاني يتحدث عن تاريخ آل وشمكير، وفي الجزء الثالث يتكلم عن كيفية انتقال السلطة من آل وشمكير إلى السلاجقة وفي الجزء الرابع يذكر ملوك آل باوند منذ ظهورهم حتى سقوطهم سنة ٦٠٦هـ/ ١٢١٠م.

دخل ابن اسفنديار في خدمة آل باوند في أواخر القرن السادس الهجري - الثاني عشر الميلادي، ثم رحل إلى بغداد طلباً للعلم، ثم رجع إلى الري وبقي هناك مدة،

(١) تحقيق علي سويم، طبع أنقره، ١٩٦٨م.

(٢) تصحيح عباس إقبال، طهران، ١٣٦٦ هـ.ش، ١٩٨٧م.

واستفاد من دار الكتب في مدرسة شاهنشاه غازي رستم بن علي بن رستم في الري، وخلال دراسته في الري عثر على كتاب باللغة العربية حول تاريخ طبرستان وقام بترجمته إلى الفارسية، وجعل هذا الكتاب أساساً لكتابه وأضاف إليه، وتأتي أهمية هذا الكتاب بحكم معاصرة مؤلفة لفترة الدراسة، وانفرد بذكر عدد من الشعراء وعلماء طبرستان، لم يذكرها أحد من المؤرخين قبله، وقد تركزت إفادة الباحثة منه عند استعراض المدارس خاصة في الفصل الثاني من هذه الرسالة.

كما استفادت الباحثة من كتاب "تاريخ جهانكشاي"^(١) باللغة الفارسية لعلاء الدين أبو المظفر عطا ملك بن بهاء الدين محمد بن شمس الدين محمد بن علي الجويني (ت ٦٨٣هـ/١٢٨٥م). ولد عطا ملك الجويني عام ٦٢٣هـ/١٢١٦م، وكان رجلاً سياسياً ومؤرخاً وأديباً، صنف "تاريخ جهانكشاي" في ثلاثة أجزاء؛ وتناول الجزء الأول تاريخ جنكيزخان، وتحدث الجزء الثاني عن تاريخ الدولة الخوارزمية (خوارزمشاهيه) وأخيراً تاريخ الاسماعيلية وفتح قلاعهم.

ولقد جاءت أهمية تاريخ جهانكشاي لعناية مؤلفه بالأصول الفلسفية والاجتماعية، لذلك يعد في هذا الشأن مثيلاً لابن خلدون، وأشار في مقدمة كتابه إلى العوامل والأسباب التي أدت إلى سقوط مشرق العالم الإسلامي على يد المغول، وأفاد البحث من هذا الكتاب فيما يخص تاريخ الاسماعيلية، لأن المؤلف قد رافق هولاكو في هجومه على قلاع الاسماعيلية، وحاول إقناع السلطان بألا يحرق الكتب النفيسة في مكتبات

(١) تصحيح محمد قزويني، طهران، ٣٦٧ هـ.ش، ١٩٨٨م.

القلاع، وبهذا فقد حصل على بعض الكتب الهامة، ومنها كتابه الموسوم "سيدنا (حسن الصباح)".

كما استفادت الباحثة من كتاب "جامع التواريخ"^(١) باللغة الفارسية، لرشيد الدين فضل الله الهمداني (ت ٧١٨هـ/١٣١٨م)، الذي كان وزيراً ومؤرخاً وأديباً، وأولى اهتماماً كبيراً لتأسيس المدارس والمساجد والخانقوات في المدن المختلفة. وأما كتاب جامع التواريخ فيشتمل على تاريخ الأنبياء وملوك إيران وتاريخ الخلفاء الفاطميين، وتاريخ الاسماعيلية، ومع أن هذا المصدر متأخر زمنياً عن فترة الدراسة إلا أنه أفاد مما يتعلق بالأحوال السياسية في عصر السلاجقة، إضافة إلى مبحث دور الفرق الإسلامية في الفصل الرابع من هذه الرسالة.

واستفادت الباحثة من كتاب "تاريخ سلاجقة مسامرة الأخبار ومسامرة الأخبار"^(٢) باللغة الفارسية، لكريم الدين محمود بن محمد آقسرائي (ت بعد ٧٢٣هـ/١٣٢٣م) كان مؤرخاً وأديباً وشاعراً، وتأتي أهمية هذا الكتاب بذكر السلاجقة في إيران وآسيا الصغرى الذي يشتمل على معلومات هامة، وأفاد البحث كذلك في الأحوال السياسية من موضوع البحث.

ومن المصادر العامة التي استفادت منها الباحثة كتاب "نسائم الأسفار من لطائف الأخبار في تاريخ الوزراء"^(٣)، باللغة الفارسية، لناصر الدين منشي كرماني (ت بعد ٧٢٥هـ/١٣٢٥م)، ويعتبر هذا الكتاب في المجال الأدبي من أهم الكتب التي صنف في

(١) تصحيح دبیر سیاقی، طبع طهران، ١٩٨٧م.

(٢) تحقيق، عثمان توران، طبع طهران، ١٩٨٣م.

(٣) طبع جامعة طهران، ١٩٥٨م.

عهد المغول، لأن المؤلف كان ضليعاً بالفارسية والعربية، وتكمن أهمية كتابه في اعتماد مؤلفه على مصادر مهمة، واستفادت الباحثة منه في تراجم وزراء السلاجقة خاصة الذين ساهموا في المجالات الثقافية في فترة الدراسة.

كما استفادت الباحثة من كتاب "تجارب السلف"^(١) باللغة الفارسية لهندوشاه بن سنجر بن عبدالله صاحب النخجواني (ت بعد ٧٢٥هـ/١٣٢٥م) والذي كان رجلاً سياسياً وأديباً، ودخل في خدمة أتابك نصرة الدين أحمد بن يوسف شاه (ت ٧٣٠هـ/١٣٣٠م)، وصنف له كتاب "تجارب السلف".

ويتحدث هذا الكتاب عن تاريخ الخلفاء والوزراء حتى سقوط بغداد، ويعود أصل هذا الكتاب إلى كتاب "منية الفضلاء في تواريخ الخلفاء والوزراء"، تأليف صفي الدين بن الطقطقي (ت ٧٠٩هـ/١٣١٠م)، واعتمد صاحب "تجارب السلف" على كتاب ترجمة تاريخ الطبري للبلعمي، والكامل لابن الأثير وشرح نهج البلاغة لعبد الحميد بن أبي الحديد المعتزلي، وسير الملوك لنظام الملك الطوسي، وجوامع الحكايات لسديد الدين محمد العوفي، ونفثة المصنوع لأنو شروان بن خالد الكاشاني، وتأتي إفادة الدراسة منه من تراجم وزراء السلاجقة ووزراء الخلفاء العباسيين.

وقد اعتمدت الباحثة على كتاب "سياست نامه" (سير الملوك)^(٢) باللغة الفارسية لأبي علي حسن بن أبو الحسن علي بن إسحاق بن العباس الطوسي المعروف بنظام الملك (ت ٤٨٥هـ/١٠٩٢م)، والذي كان وزيراً وعالماً وأديباً، ولد في نوغان من قرى

(١) طبع طهران، ١٩٦٥م.

(٢) تحقيق جعفر شعار، طبع طهران، ٣، ١٩٨٥م.

طوس، ونشأ ودرس في طوس ومرو ونيسابور، وأخذ الفقه الشافعي، ثم دخل في خدمة دولة الغزنويين، واتصل بأبي علي بن شاذان في بلخ، بعد استيلاء السلاجقة على بلخ دخل في خدمة السلاجقة ووزر لجغري بك، وعين نظام الملك الطوسي كاتباً لألب أرسلان السلجوقي، وبعد وفاة طغرل بك استوزره ألب أرسلان (٤٥٥هـ/١٠٦٢م) وبعد وفاته وزره السلطان ملكشاه السلجوقي. أولى نظام الملك اهتماماً لتأسيس المدارس والخانقوات والأربطة والمكتبات وغيرها، وأما كتابه فقد ألفه نظام الملك سنة ٤٦٩هـ/١٠٧٦م بناءً على طلب السلطان ملكشاه السلجوقي، ويشتمل الكتاب على خمسين فصلاً، ويمكن تقسيمه إلى قسمين، القسم الأول صنفه نظام الملك في بداية عهد ملكشاه، والقسم الثاني يبدو أنه أضيف في وقت متأخر، كما يتضح من أسلوب الكتاب وموضوعاته.

ولقد جاءت أهمية الكتاب كونه قد أعطى صورة مفصلة عن واقع الحياة الاجتماعية والثقافية في العصر السلجوقي وقدم معلومات قيمة لشؤون المنظمات والتشكيلات السياسية والحكومية في القرون الإسلامية قبل دخول المغول خاصة في عهد السلاجقة، فلذا يعد الكتاب في عداد المصادر المهمة التي تناولت الجوانب الاجتماعية في المجتمع الإيراني، وينبغي لنا أن نضيف أنه على الرغم من أهمية الكتاب في المجال السياسي والاجتماعي؛ إلا أنه لا يمدنا بمعلومات دقيقة ومفصلة عن واقع الحياة الثقافية والمظاهر الاجتماعية في مدينة الري التي كانت إحدى حواضر السلاجقة. وقد استفادت الباحثة من إمكانية رسم صورة عن طبيعة الأفكار والآراء التي أصدرها نظام الملك في كتابه حول الحكم والمذاهب والإدارة في مجتمع الري خلال

فترة حياته، وكانت إفادة الباحثة في مبحث دور الفرق الإسلامية في الفصل الرابع من هذه الرسالة.

واستفادت الباحثة من كتاب "الباب الألباب"^(١) باللغة الفارسية لسديد الدين (نور الدين) محمد بن محمد عوفي بخارى (ت بعد ٦٣٠هـ/١٢٣٣م)، ولد ونشأ في بخارى، ثم تجول في أنحاء كثيرة من بلاد ما وراء النهر وخراسان وسيستان في طلب العلم والتقى بشيوخ وعلماء المدن المختلفة، ودخل في خدمة قلج أرسلان خاقان نصره الدين عثمان الدين بن إبراهيم السلطان الأخير في سمرقند، وكان صاحب ديوان الإنشاء في سنة (٦١٧هـ/١٢٢٠م)، ودخل في خدمة ناصر الدين قباچه من المماليك الغورية (٦٣٠هـ/١٢٣٤م)، في خلال تلك الأيام صنف كتاب "الباب الألباب"، وأهداه إلى عين الملك فخر الدين حسين بن شرف الملك وزير ناصر الدين قباچه، ثم قام بتأليف كتاب آخر بأمر السلطان وسمّاه "جوامع الحكايات" باللغة الفارسية.

وأما كتاب "الباب الألباب" يشتمل على جزئين، في الجزء الأول تناول تراجم الشعراء الذين برزوا من السلاطين والوزراء والأعيان والعلماء، ويتحدث الجزء الثاني عن طبقات الشعراء من عهد الطاهريين حتى عهد تصنيف الكتاب، وجاءت أهمية الكتاب بحكم معاصرة مؤلفه لفترة الدراسة، وكانت إفادة البحث في الفصل الثاني والثالث.

(١) طبع ليدين، تحقيق إدوارد براون، ١٩٠٣م.

كما استفادت الباحثة من كتاب "تبصرة العوام في معرفة مقالات الأنام"^(١) باللغة الفارسية لمرتضى بن الداعي بن القاسم الحسن الرازي (المتوفى بعد ٦٠٠هـ/١٢٠٣م)، مؤلفه ولد ونشأ في الري ودرس على شيوخها وصنف هذا الكتاب الذي يشتمل على مقالات الفرق والمذاهب الإسلامية والأديان الأخرى، واهتم المؤلف أيضاً بالفرق الصوفية وأشار إلى بعض شيوخها، وتأتي أهمية الكتاب بحكم معاصرة مؤلفه لفترة الدراسة، وأنه كان من أهل الري ونشأ هناك وعاش فيها، وقد تناول الفرق الإسلامية التي كانت سائدة في فترة الدراسة خاصة في مدينة الري، وجدير بالذكر أنه اعتمد على الأحاديث والأخبار واهتم قليلاً بالمعلومات التاريخية. وتركزت إفادة الباحث على دور الفرق الإسلامية في مدينة الري في الفصل الرابع من هذه الرسالة.

ومن أهم المصادر التي كانت ركناً في بناء الدراسة، كتاب "بعض مثالب النواصب في نقض فضائح الروافض"^(٢) المعروف "بالنقض" باللغة الفارسية، ألفه الشيخ المتكلم نصير الدين عبدالجليل القزويني الرازي (ت ٥٦٥هـ/١١٧٠م)، ومؤلفه نشأ في الري ودرس على علمائها، وكان عالماً فاضلاً ومتكلماً، وهو صاحب مدرسة في الري، وهذا الكتاب الجدلي يحوي على القضايا الاجتماعية والسياسية والثقافية والجغرافية، خاصة فيما يتعلق بالفرق الدينية والمراكز التعليمية كالمدارس والمساجد والزوايا والخانقوات والأربطة والمكتبات في الري، وكما أشار إلى تراجم بعض العلماء والأعيان والوزراء والسلاطين. وجاءت أهمية كتاب النقض من أن مؤلفه عاش

(١) طبع انتشارات أساطير، طهران، ١٩٦٧م.

(٢) طبع تهران، تحقيق الحسيني أرموي، ١٩٧٩م.

السنوات الحاسمة من تاريخ الري في ظل الحكم السلجوقي في مدينة الري، فهو شاهد عيان دقيق ومنصف في ذكر الأحداث ونقل رواياته، فقد انفرد بذكر معلومات قيمة لم يأت بها غيره من المؤرخين خاصة عن المدارس والمساجد والزوايا والخانقاهات والمراكز التعليمية الأخرى في العصر السلجوقي في مدينة الري والمذاهب، ولذلك يعد الكتاب من المصادر المهمة والنادرة التي وصلت إلينا، وقد تركزت إفادة الباحثة منه عند استعراض المساجد والمدارس والمذاهب التي كانت موجودة في الري في الفصل الثاني والفصل الرابع.

واستفادت الباحثة من كتاب "مجالس المؤمنين"^(١) باللغة الفارسية لنور الله شوشتري (ت ١٠١٩هـ / ١٦١١م)، يعد هذا المصدر من المصادر المهمة، وكانت إفادة الباحثة في المراكز التعليمية ومبحث الفرق الإسلامية بالإضافة إلى تراجم علماء الري في هذه الرسالة.

المراجع الحديثة:

واعتمدت الباحثة على عدد من المراجع الحديثة والبحوث باللغات العربية والفارسية والأجنبية، ومنها:

كتاب "ري باستان" (الري القديم) لحسين كريماني^(٢) باللغة الفارسية، ويشتمل هذا الكتاب على مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة، وجاء في مجلدين، ويعالج مدينة الري منذ

(١) طبع إسلامية، طهران، ١٣٦٤ هـ.ش، ١٩٨٥ م.

(٢) طبع أنجمن آثار ملی، طهران، ١٣٤٦ هـ.ش، ١٩٦٧ م.

نشأتها حتى عصر المؤلف، وتناول المؤلف تاريخ الري بصورة عامة، ومزج في عمله هذا بين الدراسات التاريخية والجغرافية ووجه جل اهتمامه إلى جغرافية الري التاريخية، وأشار إلى القضايا الاقتصادية والاجتماعية. وقد كانت إفادة الباحث فيما قدم من معلومات عن جغرافية الري، وتراجم العلماء ومظاهر الحياة الثقافية، وأفاد الباحث من كتابه الآخر "الطبرسي ومجمع البيان"^(١) خاصة في الجزء الأول الذي يشتمل على الأوضاع السياسية في عهد السلاجقة، وينبغي أن نذكر بأن المؤلف قد أولى المراجع أهمية أكثر في هذا الكتاب ونتيجة لذلك تعرض الكتاب للأخطاء التاريخية.

وأما كتاب "تاريخ أدبيات درإيران"^(٢) - الجزء الثاني لذبيح الله صفا، هذا الكتاب في الجزء الثاني يشتمل على خمسة فصول، وقد تناول المؤلف في الفصل الأول الوضع السياسي والاجتماعي في إيران من بداية سيطرة السلاجقة وحتى سقوط الدولة الخوارزمشاهية (٤٣١-٦٢٨هـ/١٠٣٩-١٢٣١م)، وقد ذهب المؤلف إلى منهج المستشرقين في تحليل القضايا الاجتماعية والسياسية. وقد كانت استفادة الباحثة في جميع فصول هذه الرسالة.

(١) طبع دانشگاه تهران، ١٣٤٠ هـ.ش، ١٩٦١ م.

(٢) طبع فردوس طهران، ط ١٣، ١٣٧٣ هـ.ش، ١٩٩٤ م.

ويشتمل كتاب "تاريخ اجتماعي إيران"^(١) لمرتضى راوندي على ستة مجلدات باللغة الفارسية، وقد تناول المؤلف الأوضاع الاجتماعية في تاريخ إيران بالتعرض للقضايا الاقتصادية في إيران بصورة عامة، وفي خلال دراسته أشار المؤلف إلى النزاعات الدينية والمذهبية خلال العصر السلجوقي، بالإضافة إلى فئات المجتمع، وأكثر ما اعتمد على آراء المستشرقين، وقد تركزت إفادة الباحثة فيما يتعلق بالأوضاع الاجتماعية من هذه الرسالة.

(١) طبع طهران، ١٣٧٢ هـ.ش، ١٩٩٣ م.

الكتاب الأول
 كتاب التاريخ

الجغرافية التاريخية لمدينة الري

١. الجغرافية الطبيعية لمنطقة الري
٢. الخلفية التاريخية لمدينة الري

الجغرافية الطبيعية لمنطقة الري

كانت الري مدينة شهيرة، تقع في منطقة الجبال، وهي من أهم مدن الإقليم على امتداد الفترة الزمنية للبحث^(١). وتضم إيران مدناً أخرى اكتسبت أهمية جغرافية تحاكي أهميتها، مثل أصفهان^(٢) وهمدان^(٣) وقزوین^(٤). وتقع مدينة الري حسبما أورد القزويني في الإقليم الخامس من أقاليم الدنيا السبعة^(٥) التي اعتاد الجغرافيون المسلمون تقسيم المعمورة إليها، أمّا حمد الله المستوفي (ت ٧٥٠هـ/ ١٣٥٠م) فيذكر أنها تقع ضمن الإقليم الرابع^(٦)، ولعل هذا التباين في الرأي يرجع إلى المتغيرات الإدارية التي تعاقبت تبعاً للدول الإسلامية التي حكمت المنطقة.

تقع الري في الطرف الشمالي الشرقي من إقليم الجبال^(٧)، وإلى الشرق منها قومس، وإلى الجنوب أصفهان، وإلى الغرب طهران، وإلى الشمال مازندران^(٨).

-
- (١) مؤلف مجهول، حدود العالم، ص ١٠٨.
 - (٢) وهي من نواحي الجبال، انظر ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٤٤.
 - (٣) ن.م، ج ٥، ص ٤٧٢.
 - (٤) انظر ن.م، ج ٤، ص ٣٨٩.
 - (٥) القزويني، آثار البلاد، ص ٣٤٢؛ ن.م، ج ٢، ص ١١٦؛
 - (٦) المستوفي، نزهة القلوب، ص ٦٧.
 - (٧) لسترنج، بلدان الخلافة، ص ٢٤٩.
 - (٨) مازندران: اسم ولاية لطبرستان، انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٤١؛ لسترنج، بلدان الخلافة، ص ٢٢٥.

اختلفت آراء الجغرافيين والمؤرخين في أصل تسمية الري، فقد ذكر ياقوت الحموي أن اسم الريّ قد يكون عربياً وقد لا يكون، فإن كان عربياً فأصله من رَوَيْتُ على الراوية أروى رِيّاً فأنا راوٍ إذا أشدّدت عليها الرواء "ريّاً تميمياً على المزاييد وهي مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن" (١).

وقيل أن الري سميت بهذا الاسم نسبة إلى رجل اسمه ريّ؛ من بني شيلان بن أصبهان بن فلوج، حيث يروى أنه كان في المدينة بستان، فخرجت بنت ريّ يوماً إليه، فإذا هي بدراجة تأكل تيناً، فقالت: (بورانجير) يعني أن الدراجة تأكل تيناً، فاسم المدينة في القديم بورانجير" (٢).

وقيل سميت مدينة الري باسم "راز" فقد ذكر القزويني (ت ٦٢٢هـ / ١٢٢٦م) أنها سميت بهذا الاسم: "... لأن بانيها راز بن خراسان" (٣).

وجاء في معجم البلدان "على أساس تواريخ الفرس أن كيكائوس كان قد عمل عجلة وركب عليها آلات ليصعد إلى السماء، فسخر الله الريح حتى علت به إلى السحاب، ثم ألقت به فوق في بحر جرجان، فلما قام كيخسرو بن سياوش بالملك حمل تلك العجلة وساقها ليقدم بها إلى بابل، فلما وصل إلى موضع الري قال الناس: بري آمد جاء (كيخسرو)، واسم العجلة بالفارسية ري، وأمر بعمارة مدينة هناك فسميت الري بذلك" (٤).

وهذه كلها افتراضات يتعذر الأخذ بها.

(١) ياقوت، معجم البلدان، ج ٣، ص ١٣٢.

(٢) ابن الفقيه، البلدان، ص ٣٦٨؛ ن.م، ج ٢، ص ١١٧؛

(٣) القزويني، آثار البلاد، ص ٣٧٥.

(٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ١٣٢.

ومن الأسماء التي عرفت بها الري (المحمدية)؛ نسبة إلى الخليفة العباسي المهدي الذي نزلها، وبنى أكثرها^(١) أثناء توجهه لمحاربة عبد الجبار الأزدي في خلافة أبيه المنصور^(٢).

وذهب بعض المؤرخين إلى أن أصلها بهلوي وتعرف باسم راغا^(٣)، ومن أنصار هذا الرأي المستشرق مينورسكي الذي كتب عن الري، ومن ضمن ما قاله عنها: "الري هي راغا مدينة في بلاد الجبال قد يشاهد الرائي أطلالها على مسيرة خمسة أميال تقريباً من الجنوب الشرقي من طهران... وقد ذكرت راغا في كتاب الأبتاق (أوستا) -كتاب الزردشتية- على أنها المكان المقدس الثاني عشر الذي أنشأه أهورمزدا ويطلق عليها في كتاب أوستا راغا الزرادشتية ذات الطبقات الأربع. أن الشخص الذي يتمثل فيه السلطان هو في راغا، وذلك السلطان مستمد في الأصل من زرادشت، لذا علل الفرس -في القرون الوسطى- هذا الأمر بأن زرادشت بلا شك من أهل راغا"^(٤).

أمّا مساحة مدينة الري فيُستدل من أقوال الجغرافيين أنها كانت تعتبر من أكبر المدن في المشرق الإسلامي فقدّر الاصطخري (ت ٣٤٠هـ/ ٩٥٠م) مساحتها^(٥) بفرسخ ونصف في مثله، أمّا الإدريسي (ت ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م) فقال: "الري مدينة كبيرة كان طولها أربعة أميال^(*)

(١) ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ١١٧؛ لسترنج، بلدان الخلافة، ص ٢٤٩؛ W. Barthold, Historical Geography, p.122.

(٢) ابن رسته، الأعلام النفيسة، ص ٢٧٥؛ ابن الفقيه، البلدان، ص ٣٦٩؛ شيخ الرتبة، نخبة الدهر، ص ١٨٤.

(٣) حسين كريمان، ري باستان، ج ١، ص ٨٧.

(٤) مينورسكي: مادة الري، دائرة المعارف الإسلامية، ج ١٠، ص ٢٨٥؛ ري طهران، مجلة يغما، ع ٩، ص ٤٠٥.

(٥) الاصطخري، المسالك، ص ٣٠٨؛ W. Barthold, Historical Geography, p.122.

(*) الميل يساوي ٤٠٠ ذراع شرعية = ٣/١ فرسخ = حوالي ٢ كم انظر فالتز هنتس، المكييل والأوزان، ص ٩٥.

ونصفها في مثلها^(١)، أمّا ياقوت (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م) فيذكر أن مساحتها فرسخ ونصف في مثله^(٢).

كان مناخ الري يميل إلى الاعتدال ربيعاً، والدفء صيفاً^(٣)، أمّا شتاؤها فقد كان بارداً، في حين اتصف خريفها برطوبة عالية، وقال القزويني "وهواؤها في الخريف سهام مسمومة" أمّا ربيعها فقد أشاد به فقال: "شتاء بغداد وربيع الري وخريف همدان وصيف أصفهان"^(٤).

ومن الجبال التي تشرف على الري الجبل المعروف باسمها أو جبل طبرك ويقع في شمالي المدينة^(٥).

والمياه وافرة في مدينة الري، ونواحيها فيذكر المقدسي بأن الري "كورة نزيهة، كثيرة المياه، جليلة القرى، حسنة الفواكه، واسعة"^(٦).

وأشهر الأنهار التي تمر بها نهر سورين أو سورنا أو السربان، وهذا النهر جار في المدينة من شمالها إلى جنوبها^(٧).

وهناك نهر روذة^(٨) ونهر موسى الذي يجري من جبال البرز من شمال الري، ويقال له أيضاً نهر الجيلاني^(٩)، ويسمى حالياً نهر الفيروز أبادي^(١٠).

(١) الإدريسي، نزهة المشتاق، مج ٢، ص ٦٧٣.

(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ١٣٢.

(٣) Historical Geography, p.123.

(٤) القزويني، آثار البلاد، ص ٢٧٥.

(٥) المستوفي، نزهة القلوب، ج ٣، ص ٥٣. مرتضائي، الحياة الثقافية، ص ٢٦.

(٦) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٣٨٥.

(٧) ياقوت، معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٧٩.

(٨) الحميري، الروض العطار، ص ٢٧٨.

(٩) اليعقوبي، البلدان، ص ٤٥؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ٢، ص ٦٧٢.

(١٠) مرتضائي، الحياة العلمية، ص ٢٦.

هذا بالإضافة إلى نهر كرج: وهو من أعظم أنهار الري حيث ينبع من وسط
 جبال البرز، ويجري في غرب الري، ويسقي الأراضي الخصبة^(١). أما نهر جارجود
 فينبع من جبال البرز ويجري في الأراضي الخصبة في شرق مدينة الري، وفي سهل
 وارمين، ويتفرع إلى أربعين نهراً عند وصوله سهل الري^(٢).
 وذكر صاحب نزهة المشتاق أن للري واديين، أما الأول فاسمه سور، يشق
 المدينة، ويمر بسوق الرودة. وأما الآخر يسمى الجيلاني ويجري على حاشية المدينة؛
 وهو نظيف ومنه شربهم^(٣).
 ويذكر صاحب كتاب حدود العالم أن "مياه الري من قنوات"^(٤) ولعله يقصد
 بالقنوات الأنهار.

(١) المستوفى، نزهة القلوب، ج ٣، ص ٥٤؛ لسترنج، بلدان الخلافة، ص ٢٥٣.

(٢) المستوفى، نزهة القلوب، ج ٣، ص ٥٤.

(٣) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ٢، ص ٦٧٣.

(٤) مؤلف مجهول، حدود العالم، ص ١٠٨.

الخلفية التاريخية لمدينة الري

تعددت الآراء فيما يتعلق بفتح المدينة، فهناك من يرى أن المحاولة الأولى لفتحها كانت في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (١٣-٢٣هـ/٦٣٤-٦٤٣م)^(١) الذي أدرك ببعده نظره ما لهذه المنطقة من أهمية سياسية وعسكرية، وحجم الفائدة التي سيجنيها المسلمون بعد انضوائها تحت راية الإسلام، ويعزز هذا الرأي أن نعيم بن مقرن توجه إلى الري فخرج إليه الزينبي أبو الفرخان^(٢) طالباً الصلح مسالماً ومخالفاً لملك الري، وهو سياوخش بن مهران بن بهرام جوبين، فاستعان سياوخش بأهل دنباوند وطبرستان وقومس وجرجان فأمدوه بالجيش والمال خوفاً من المسلمين، فالتقوا مع المسلمين في سفح جبل الري فاقتتلوا. وكان الزينبي قال لنعيم: إن جمع الري كثير، وإن في المسلمين قلة فابعث معي خيلاً أدخل بها مدينتهم من مدخل لا يشعرون به وناهدهم أنت، فبعث معه نعيم خيلاً في الليل عليهم ابن أخيه المنذر بن عمرو، فأدخلهم الزينبي المدينة، ولم يشعر أهل الري إلا والمسلمون بينهم، ووقع القتال بين الطرفين فانتصر المسلمون، ثم خرب نعيم مدينتهم، ثم أمر الزينبي فبنى مدينة الري الحديثة^(٣). وبعد فتح المدينة كتب نعيم بن مقرن لأهل الري كتاباً يقول فيه "بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى نعيم بن مقرن الزينبي، أعطاه الأمان على أهل الري، ومن كان معهم من غيرهم على الجزاء، طاقة كل محتلم في كل سنة، وعلى أن ينصحوا ويدلّوا ولا يُغلّوا ولا يُسلّوا وعلى أن يُقروا المسلمين يوماً وليلة

(١) الطبري، تاريخ الرسل، ج٤، ص١٥٠.

(٢) الزينبي هو سياوخش بن مهران بن بهرام جوبين أحد قادة مدينة الري وله معرفة بالمدينة وأحوالها،

انظر ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٢٤.

(٣) ن، ص١٥٠؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٢٤؛ زاده، ري وطهران، ص٤٠٦.

وعلى أن يفخّموا المسلم، فمن سبّ مسلماً أو استخف به نهك عقوبة، ومن ضربه قتل، ومن بذل منهم فلم يسلم برمته فقد غير جماعتكم^(١).

أمّا الرواية الأخرى فتذهب إلى أن فتح الري تمّ في عهد عثمان (٢٣-٣٥هـ/٦٤٣-٦٥٥م)، وذلك اعتماداً على أن المغيرة بن شعبه كتب إلى عثمان أنه قد دخل الري، وأنزل بها المسلمين^(٢)، وهناك رواية أخرى تذكر أن قرظة بن كعب الأنصاري فتح الري^(٣) وكان فتحها سنة (٢١هـ/٦٤١م)^(٤).

ويذكر الطبري أن فتح الري كان في عهد عمر بن الخطاب لكن أهل المدينة كانوا في كل مرة ينقضون العهد الذي يعقدونه مع المسلمين لذلك كلما نقضت الري العهد تم فتحها مرة أخرى^(٥).

في سنة (٢٥هـ/٦٤٥م) شبت فتنة داخلية في الري بسبب النزاعات بين الأسر الفارسية النبيلة التي كانت تسكن الري، والظاهر أن المسلمين استثمروا المنازعات، فقد كانت الري إقطاعاً في يد أسرة مهران^(٦).

وفي عهد عمر ولى المغيرة بن شعبه والي الكوفة كثير بن شهاب الحارثي على ولاية الري ودشتبي (الواقعة بين الري وهمدان)، وسيطر على الري مرة أخرى بعد أن نقض أهلها العهد^(٧). ونصّب عثمان بن عفان البراء بن عازب والياً على

(١) الطبري، تاريخ الرسل، ج٤، ص ١٥١.

(٢) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص ١٦٤.

(٣) ن، م، مج٢، ص ١٥٦.

(٤) ن، م، مج٢، ص ١٥٦؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص ٢٤.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل، ج٤، ص ١٥١.

(٦) مينورسكي، الري، دائرة المعارف، مج ١٠، ص ٢٨٧.

(٧) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣١٨؛ حسين كريمان، ري باستان، مج٢، ص ١١٨-١١٩.

الري^(١). وعندما صار سعد بن أبي وقاص والياً على الكوفة مرة أخرى ذهب إلى الري في بداية عام (٢٥هـ/٦٤٥م)، فأصلح الأوضاع المضطربة فيها، ثم رجع إلى الكوفة، ويذكر أن آخر شخص فتحها كان قرظة بن كعب الأنصاري ابان ولاية أبي موسى الأشعري على الكوفة، ولما استشهد عثمان ٣٥هـ/٦٥٥م كان سعيد بن قيس والياً على الري^(٢).

وفي عهد علي بن أبي طالب تولى يزيد بن حبة بن عامر^(٣) عمل الري وهمذان وأصفهان. ويذكر أنه كسر خراج تلك البلاد، فقام علي بإلقائه في السجن، وعندما خرج منه التحق بمعاوية^(٤). ويبدو واضحاً أن ولاية يزيد بن حبة التيمي على الري كانت بعد سعيد بن قيس أي أنها كانت بعد عام ٣٧هـ/٦٥٧م^(٥). وابن حبة هذا كان في صفين من أعوان أمير المؤمنين علي، أما في أحداث الأعوام التالية فقد ورد اسمه في قائمة أعوان معاوية رضي الله عنهما^(٦).

وفي عهد علي عهد ربيع بن خيثم (والي علي على الري وقزوین) بقيادة الجيش في الري إلى أبي زيد الأسدي، وكان سبب إرساله إلى هذه المنطقة إيصال دعوة أمير

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣١٩.

(٢) ن.م، ص ٣١٩، الطبري، تاريخ الرسل، ج ٤، ص ٤٢٢، كريمان، ري باستان، ص ١١٩

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٦، ص ٢٣٥؛ اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ١٧٦، ابن الأثير، ج ٣، ص ١٦٦،

(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٤٤٦، كريمان، ري باستان، ص ١١٩.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٥، ص ٦٥، ابن الأثير الكامل، مج ٣، ص ٢٨٧-٢٨٨.

(٦) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٥، ص ٢٧٣، ابن الأثير، الكامل، مج ٣، ص ٢٨٨.

المؤمنين علي إلى الناس، وحثهم على محاربة معاوية في صفين عام ٣٧هـ/٦٥٧م^(١). وفي عهد معاوية كان زياد بن أبيه والياً على البصرة وخراسان والري عام ٥٤هـ/٦٧١م، ثم تحولت الولاية في هذا العام إلى ولده عبيد الله بن زياد^(٢). فقد ولاه معاوية الري عدة مرات، وممن تولوها في عهده كثير بن شهاب الذي تولاه مع دستبي سنة (٦١هـ/٦٨٠م)، فقد جاء في فتوح البلدان ما نصّه: "..... وكان معاوية ولي كثير بن شهاب بن الحصين بن ذي النصة الحارثي الري ودستبي حيناً من قبله ومن قبل زياد"^(٣).

وفي بداية خلافة يزيد بن معاوية كان عبيد الله بن زياد لا يزال في منصبه^(٤). فعمل على كسب عمر بن سعد بن أبي وقاص وشمر بن الجوشن وأطمعهما بولاية الري، وبعث الإثنين إلى كربلاء لقتال الإمام الحسين، وجاء في تاريخ الطبري أن "ابن زياد كان قد ولي على الري عمر بن سعد بن أبي وقاص، واستدعاه، وقال له يجب أن تكون في البادية مع الجيش لتقتفي أثر الحسين وتقتله، وعليك أن تختار بين دم الحسين أو الري...."^(٥). وهذا إن دل على شيء؛ فإنه يدل على أهمية الري في ذلك الوقت^(٦).

(١) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ١٨٢؛ الطبري، تاريخ الرسل، ج ٥، ص ٥٣.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٥، ص ٢٩٨.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٠٨.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٥، ص ٣٩٠-٣٩٢.

(٥) ن، م، ج ٥، ص ٣٥٩-٣٦٠.

(٦) ن، م، ج ٥، ص ٣٩٢. كريماني، ري باستان، ص ١٢٣.

وبعد وفاة يزيد في عام (٦٤هـ/٦٨٣م)، أعلن أهالي الري العصيان بقيادة فرخان الرازي، وعلى أثر ذلك أرسل عامر بن مسعود، أمير الكوفة، محمد بن عمير ابن عطار بن حاجب بن زرارة للقضاء على العصيان ولكنه لم يفعل شيئاً، ثم أرسل عامر عتاب بن ورقاء الرياحي التميمي فوقع قتال شديد قُتل فيه فرخان، وهرب أعوانه^(١). وفي ربيع الأول عام (٦٦هـ/٦٨٥م) استولى على الكوفة أبو إسحاق المختار بن أبي عبيد بن عمرو الثقفي^(٢)، فنصب يزيد بن أبي النجبة الفزاري على الري ودستبي والياً عليها^(٣). وكان يصل المختار خراج الري والجبّال وأصفهان وأذربيجان وفارس والجزيرة، من ذلك التاريخ إلى أن قتل في الكوفة في رمضان عام (٦٧هـ/٦٨٦م) حيث استمرت ولايته ثمانية عشر شهراً^(٤). وبعد القضاء على المختار ولّى الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان يزيد بن رويم الشيباني على الري^(٥). وفي عام ٦٨هـ/٦٨٧م، هاجمت مجموعة من الخوارج مدينة الري وساعدتهم مجموعة من أهالي الري، فانتصروا على الوالي يزيد في معركة دارت رحاها في قرية (فيروزبهرام)^(٦)، وقتل فيها يزيد، وهرب ابنه حوشب في أعقاب هذه الواقعة. ثم كلف عتاب بن ورقاء الذي ولي على أصفهان من قبل مصعب بن الزبير بالذهاب إلى الري، والتكيل بأهالي الري الذين ساعدوا الخوارج فانتصر عتاب عليهم. وغنم منهم

(١) خليفة، تاريخ خليفة، ص ١٦٢؛ الطبري، تاريخ الرسل، ج ٥، ص ٥٠٩؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ١٤٤.

(٢) خليفة، تاريخ خليفة، ص ١٦٤؛ اليعقوبي، تاريخ، مج ٣، ص ٥، ابن الأثير، ج ٤، ص ٢١١.

(٣) الدينوري، أخبار الطوال، ص ٣١٤؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٢٢٦.

(٤) اليعقوبي، ج ٣، ص ١٠؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٤، ص ٣٣٦؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٣، ص ٢٦٧.

كريمان، ري باستان، ص ١٢٤.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ١٦٤؛ ابن الأثير، ج ٤، ص ٢٨٤.

(٦) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ١٣٨-١٣٩؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٢٨٤.

المزيد^(١). وممن تولوا أعمال الري أيضاً عدي بن وتاد الإيادي الذي تولاهما من قبل الحجاج بن يوسف الثقفي (والي العراق) عام ٧٧هـ/٦٩٦م^(٢). وفي العام ذاته، وبأمر من الحجاج، قام سفيان بن الأبرد الكلبى مع إسحق بن محمد الأشعث أمير الري بمحاربة الأزارقة وقتل قطري بن الفجاءة؛ زعيمهم، وجلب سفيان بن الأبرد رأسه إلى الحجاج، الذي قام بإرساله إلى عبد الملك بن مروان^(٣).

وفي حدود عام ٨٣هـ/٧٠٢م أصبح قتيبة بن مسلم الباهلي والياً على الري بأمر من الحجاج^(٤).

والواقع يشير إلى أن بني أمية لم يسيطروا على الأوضاع في الري منذ بداية حكمهم، حيث لم يستتب لهم الأمر في الري إلا بعد عشرين عاماً من البعوث التي أرسلها الحجاج بن يوسف الثقفي، وهي فترة ولايته على العراق والمشرق (٧٥-٩٥هـ/٦٩٤م-٧١٣م)، بالإضافة إلى الشدة الذين تعامل بهما قتيبة مع أهل خراسان عامة، فلقد أدت هذه السطوة في النهاية إلى خضوع أهل الري واستقرار ولائهم للخلافة الأموية، وظلوا على ولائهم لها حتى نهاية العهد الأموي وظهور أبي مسلم الخراساني^(٥).

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص ٣٩٢.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل، ج٦، ص ٢٩٥، ابن الأثير، ج٤، ص ٦٣.

(٣) اليعقوبي، تاريخ، مج ٣، ص ٢٧٦. الطبري، تاريخ الرسل، ج٦، ص ٣٠٠-٣٠١، ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص ٤٢١. كريمان، ري باستان، ص ١٢٥.

(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٢٠؛ الطبري، تاريخ الرسل، ج٦، ص ٣٧٤، ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص ٤٩٥.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص ٣٩٥-٣٩٦. فروخ، عمر، تاريخ صدر الإسلام، ص ٢٠٤.

وكان يحكم خراسان وما وراء النهر نصر بن سيار من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك وبقي إلى وفاته سنة (١٣١هـ/٧٤٨م)^(١).

غير أن الشاميين الذين كانوا في الري مثل حبيب بن يزيد النهشلي وأعوانه، لم يرحبوا بقدوم الحسن بن قحطبة إلى الري فتركوا المدينة لكن دخلها في صفر عام ١٣٠هـ/٧٤٧م، ومكث هناك إلى أن التحق به والده قحطبة، واحتلت المدينة دون حرب^(٢). واستقر أمر بني العباس في الري.

وبعد أن استقر الأمر للسفاح أبقى أبا مسلم الخراساني على خراسان والجبل على عمل الري فسلك فيها طريق الحزم والاحتياط، وراقب الطرق، ولم يسمح لأي شخص بالمرور إلا بأذن منه^(٣). ولى أبو مسلم على الري، نصر بن عبدالعزيز الخزاعي، وبقي نصر بن عبدالعزيز والياً على الري إلى بدء خلافة المنصور الذي بعث إليه رسالة إلى نصر على لسان أبي مسلم، يأمره فيها بترك الولاية لأبي عبيدة، فتقبل الأمر طائعاً، إلا أن أبا عبيدة سجن نصر ثم قتله بإيعاز من المنصور^(٤). وعندما قتل أبو مسلم (١٣٧هـ/٧٥٤م)، هبَّ سنباذ^(*) للنثار لدمه وتوجه إلى الري فقتل واليهما أبا عبيدة واستولى على جميع الخزائن والأموال التي خلفها أبو مسلم بالري حين شخص إلى أبي العباس، وعندما سمع الخليفة أبو جعفر المنصور بالأمر أرسل جمهور بن مرار العجلي

(١) الطبري، تاريخ الرسل، ج٧، ص٤٠٣.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل، ج٧، ص٤٠٣-٤٠٤؛ ابن الأثير الكامل، ج٥، ص٣٩٦.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٤٠٣.

(٤) ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٧٨٦؛ ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٤٥٩.

(*) سنباذ كان مجوسياً من قرية من قرى نيسابور يقال لها أهروانه، وكان ظهوره غصباً لقتل أبي مسلم لأنه كان من صنائعه وكثر أتباعه وكان عاملهم من أهل الجبال. انظر ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٤٨.

إلى الري على رأس جيش كبير، وهرع سنباذ من الري لملاقاة جمهور والتقى الجيشان في صحراء بين الري وهمذان، ودارت معركة حامية اندحر على أثرها سنباذ فهرب، وقتل من جيشه أكثر من ٦٠ ألف شخص كما رُوي، وبقيت آثار عظامهم في ذلك المكان حتى عام ٣٠٠هـ/٩١٢م، وكان سنباذ قد حمل معه أموالاً طائلة وتحفًا كثيرة، وقتل سنباذ سنة (١٣٧هـ/٧٥٤م)^(١)، وكانت هذه هي المرة الأولى التي تخرج فيها الري عن سيطرة الخلفاء.

إلا أن قامع الثوار في الأمس صار ثائراً اليوم، حيث أغرى ذلك الانتصار الكبير جمهور العجلي لما رأى من كثرة جيشه ووفرة أمواله -فيما استولى عليه من سنباذ - فأرسل إليه المنصور محمد بن الأشعث على رأس جيش للإطاحة به، إلا أن جمهور فرّ إلى أصفهان، ولكنه لم يلبث أن عاد بمشورة من أصدقائه للقاء محمد بن الأشعث، فتقابلا في قصر فيروزان وانتهى اللقاء بهزيمة جمهور وهرب إلى أذربيجان إلى أن قتله أصحابه الذين أرسلوا رأسه إلى المنصور سنة (١٣٨هـ/٧٥٤م)^(٢).

(١) الطبري، تاريخ الرسل، ج٦، ص٤٩٥؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص ١٨٦؛ ابن اسفنديار،

تاريخ طبرستان، ج١، ص١٧٤؛ ابن الاثير، الكامل، ج٥، ص ٤٨١.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل، ج٦، ص٤٩٧؛ ابن الاثير، الكامل، ج٥، ص ٤٨١، ٤٨٤، كريماني، ري

بأستان، ج٢، ص ١٣٠.

وفي عام ١٤١هـ/٧٥٨م أرسل الخليفة المنصور ابنه محمد (المهدي) الذي كان ولياً للعهد للإطاحة بعبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي، الذي استولى على خراسان وثار فيها^(١)، وجاء محمد المهدي إلى الري، وكان يرافقه خالد البرمكي ليستفيد من خبرته^(٢)، وأرسل المهدي خازم بن خزيمة لقتال عبد الجبار، وانتهت المعركة بانتصار خازم، وحسب ما ذكره حمزة الأصفهاني فإن المهدي أعطى خازماً إمارة مرو (خراسان)، وبقي المهدي في الري حتى عام ١٤٤هـ/٧٦١م^(٣). ثم غادرها إلى بغداد، ثم عاد إليها عام ١٤٦هـ/٧٦٣م ومكث فيها حتى عام ١٥١هـ/٧٦٨م، ثم عاد إلى بغداد^(٤). وأمر المهدي أن يهدم القسم السفلي من الري والواقع جنوب شرقها الأعلى، وهو القسم الثري الذي كان عامراً. وسميت الري منذ عام ١٤٩هـ/٧٦٦م بالمحمدية -نسبة إلى محمد المهدي-، وقد استنتج هذا من المسكوكات المكتشفة^(٥).

وكان لقيام المهدي في هذه المدينة أن ازدهرت أكثر من الأعوام السابقة، وبلغت الأوج في خلافته.

-
- (١) اليعقوبي، تاريخ، ج٣، ص١٠٦، الطبري، تاريخ الرسل، ج٧، ص٥٠٨، ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٥٠٥.
- (٢) الطبري، تاريخ الرسل، ج٧، ص٥٠٨، ج٨، ص١٧٩؛ المقدسي، البدء والتاريخ، ج٤، ص٨٣.
- (٣) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٥٠٦.
- (٤) الطبري، تاريخ الرسل، ج٧، ص٥٠٩-٥١٠. سني ملوك الارض، ص٢٠٠.
- (٥) كريمان، ري باستان، ج٢، ص١٣٠.

وفي عام ١٤٥هـ/٧٦٢م -في خلافة المنصور- ظهر في المدينة المنورة محمد ابن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب المسمى بالنفس الزكية، وكان له أتباع متفرقون في البلاد وكانوا يدعون الناس لقبول إمامته، ولهذا الغرض جاء إلى الري وطبرستان شقيقه يحيى ونشط في الديلم وتجمع الناس حوله^(١)، إلى أن أمر الرشيد الفضل بن يحيى في عام ١٧٧هـ/٧٩٣م للتصدي له وانتهى أمره^(٢). ولما تسلم محمد المهدي الخلافة بعد أبيه في عام ١٥٨هـ/٧٧٤م^(٣)، أقرّ عامل الري على عمله حتى عام ١٦٤هـ/٧٨٠م حيث ولى خلف بن عبد الله^(٤)، وأقرّ عام ١٦٥هـ/٧٨١م على الري عيسى مولى جعفر^(٥). وفي عام ١٦٦هـ/٧٨٢م ولى المهدي مولاه سعد^(٦). وتوفي المهدي عام ١٦٩هـ/٧٨٥م^(٧).

وتولى الخلافة ابنه موسى الهادي. وكانت ولادته في سيروان الري عام ١٤٦هـ/٧٦٣م (سيروان أو شيروان قرب الري) وذلك عندما نزل فيها المهدي أثناء توليه الري كما سبق ذكره، ويذكر ياقوت الحموي أن موسى الهادي زار الري في خلافة أبيه وبنى فيها مدينة موسى أباد، فقد جاء في فتوح البلدان: "كان موسى الهادي لما صار إلى الري في حياة أبيه أتى قزوین، فأمر ببناء مدينة بإزائها، وهي تعرف

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٥٢٩-٥٣٠.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص١٨٧، ١٨٨، الكرديزي، زين الاخبار، ص ١١٠، تاريخ بيهقي، ص

٤١٥، ابن الاثير، الكامل، ج٦، ص١٤٠.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل، ج٨، ص١٠٣؛ ابن الاثير، الكامل، ج٥، ص ٦٨.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل، ج٨، ص١٥١؛ ابن الاثير، الكامل، ج٦، ص٣٢.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل، ج٨، ص١٥٣.

(٦) الطبري، تاريخ الرسل، ج٨، ص١٦٣؛ ابن الاثير، الكامل، ج٦، ص٧٤.

(٧) الطبري، تاريخ الرسل، ج٨، ص١٦٨؛ ابن الاثير، الكامل، ج٦، ص٨١.

بمدينة موسى...^(١). ولكن ورد ذكر مدينة موسى أباد عند ياقوت الحموي في الري
 "... موسى أباد قرية بالري منسوبة إلى موسى الهادي لأنه أحدثها عن الأب"^(٢).

توفي موسى الهادي عام ١٧٠هـ/٧٨٦م عن عمر يناهز ٢٣ عاماً^(٣). وخلفه
 أخوه هارون الرشيد، وكان عمره ٢٢ عاماً^(٤). ويعرف من سيرة هارون الرشيد أنه
 كان يميل إلى مدينة الري ميلاً خاصاً، وكان يتذكر هذه المدينة بسرور خاص؛ لأنها
 مسقط رأسه عام ١٤٨هـ/٧٦٥م^(٥). ولّى هارون الرشيد الفضل بن يحيى بن خالد عام
 ١٧٧هـ/٧٩٣م على الري وجرجان وطبرستان^(٦). وكانت ولاية الفضل ثلاث سنين
 حيث عزله عنها سنة (١٨٠هـ/٧٩٦م)^(٧)، وخلفه على ولاية الري محمد بن يحيى بن
 الحارث^(٨).

ونظراً لأهمية مدينة الري فقد قام هارون الرشيد بزيارتها للاطمئنان على سير
 الأمور فيها وكان ذلك في عامي ١٨٩هـ/٨٠٤م و ١٩٢هـ/٨٠٧م. وكان سبب
 زيارته الأولى ما نُمي إليه من أخبار حول تجهز عامل خراسان علي بن عيسى بن
 ماهان لرفع راية العصيان والخروج عليه. فسار إلى الري ومكث فيها أربعة أشهر^(٩).

-
- (١) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٢٣، معجم البلدان، ج ٤، ص ٨٩.
 (٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٦٨١.
 (٣) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٨، ص ٢٠٥؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٦، ص ٩٩.
 (٤) الطبري، تاريخ الرسل، ج ١٠، ص ١٧٠، المقدسي، احسن التقاسيم، ص ١٣١؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٦، ص ١٠٦.
 (٥) خوندامير، تاريخ أبي الفداء، ج ٢، ص ١٣، ابن الأثير، الكامل، ج ٥، ص ٨٢. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٢٨٦،
 حبيب السير، ج ٣، مج ٢، ص ١٥.
 (٦) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٨، ص ٢٤٢، حمزة الاصفهاني، سني ملوك الارض، ص ٢٢٣، البيهقي، تاريخ،
 ص ٤١٥، ابن الأثير، الكامل، ج ٦، ص ١٤٠.
 (٧) ابن الأثير، الكامل، ج ٥، ص ٨٢.
 (٨) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٨، ص ٢٦٦، كريماني، ري باستان، ج ٢، ص ١٣٣.
 (٩) اليعقوبي، تاريخ، ج ٣، ص ١٥٦، الطبري، تاريخ الرسل، ج ٨، ص ٣١٤-٣١٧، ابن الأثير، الكامل، ج ٦، ص ١٩١.

وما أن علم علي بن عيسى بن ماهان بوصول الرشيد إلى الري حتى سارع بتجهيز الهدايا والأموال وسار إليه في الري وأعلن له الولاء والطاعة. فرضي عنه الرشيد وأعاد توليته على خراسان وكان ذلك في سنة (١٨٩هـ/٨٠٤م). وقبل انصرافه عائداً إلى بغداد قام الرشيد بتولية عبدالله بن مالك الخزاعي على الري وطبرستان ودماوند ورويان وقومس وهمذان ثم عاد إلى بغداد^(١). أمّا زيارة الرشيد الثانية للري فكانت عام ١٩٢هـ/٨٠٧م، إذ توجه من الرقة إلى بغداد يريد خراسان^(٢)، ومات في طوس عام ١٩٣هـ/٨٠٨م^(٣). في هذه الأثناء تسلم الأمين الخلافة، وكان المأمون آنئذ مقيماً في مرو^(٤). ثم اختلف المأمون وأخوه الأمين على الخلافة، وكان المأمون قد ولى قيادة جيشه طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي ذا اليمينين وذلك بمشورة الفضل بن سهل وبعث معه هرثمة بن أعين، وكان علي بن عيسى بن ماهان قائداً لجيش الأمين، فتوجه طاهر من الري إلى قسطنطة^(٥) (١٩٥هـ/٨١٠م)، ووصل علي بن عيسى إلى مشكويه الري^(٦) وكانت المسافة بينهما سبعة فراسخ، واشتعلت نار الحرب قرب مشكويه^(٧)،

(١) اليعقوبي، تاريخ، ج٣، ص ١٥٦، الطبري، تاريخ الرسل، ج ٨، ص ٣٧، ابن الأثير، الكامل، ج ٦، ص ١٩٢.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج ٦، ص ٢٠٧.

(٣) اليعقوبي، تاريخ، ج ٣، ص ١٦٠؛ الطبري، تاريخ الرسل، ج ٨، ص ٣٤٢؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٦، ص ٢١١؛ كريمان، ري باستان، ج ٢، ص ١٣٤.

(٤) حمزة الاصفهاني، سني ملوك الارض، ص ٢٢٥، ابن الأثير، الكامل، ج ٦، ص ٢٢١.

(٥) قسطنطة: قرية بينها وبين الري مرحلة في طريق ساوة يقال لها كستانة، انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج ٤، ص ٣٤٧.

(٦) مشكويه من أعمال الري بليدة بينها وبين الري مرحلتان على طريق ساوه، انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ١٣٥.

(٧) الدينوري، أخبار الطوال، ص ١٥؛ الطبري، تاريخ الرسل، ج ٨، ص ٣٩١-٣٩٢؛ ابن الأثير، الكامل، ص ٢٣٢-٢٣٥، ص ٢٢٤؛ كريمان، ري باستان، ج ٢، ص ١٣٥.

وَقُتِلَ علي بن عيسى واندحر جيشه^(١). وولى المأمون عام ١٩٦هـ/٨١١م جميع عمل المشرق من جبل همدان إلى التبت طويلاً ومن بحر فارس إلى بحر الديلم وجرجان عرضاً إلى الفضل بن سهل وكان ذلك قبل أن يتولى الخلافة لأنه عندما تولى الخلافة ١٩٨هـ/٨١٣م عينه وزيراً له^(٢)، وولى أخاه الحسن بن سهل على كور الجبال والعراق وفارس والأهواز والحجاز واليمن^(٣).

وعاد المأمون إلى العراق عام ٢٠٢هـ/٨١٧م وكان من أسباب مسيره أن علي ابن موسى الرضى أخبر المأمون بما الناس فيه -في بغداد والعراق- من الفتنة والقتال منذ قتل الأمين^(٤). وفي عام ٢٠٤هـ/٨١٩م نزل المأمون في طريق عودته إلى العراق بالري، وبقي فيها عدة أيام، واشتكى لديه أهالي الري من ثقل الخراج، فأمر أن يخفض من خراج الري مليوناً درهم، وكان خراجها سابقاً ١٢ مليون درهم^(٥).

-
- (١) الطبري، تاريخ الرسل، ج٨، ص٤٢٤؛ ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص٢٣٥.
- (٢) حمزة الأصفهاني، سني ملوك الأرض، ص٢٢٦، الكرديزي، زين الأخبار، ص١١٤؛ ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص٢٥٧.
- (٣) الطبري، تاريخ الرسل، ج٨، ص٢٩٩.
- (٤) حمزة الأصفهاني، سني ملوك الأرض، ص٢٢٥، الطبري، تاريخ الرسل، ج٨، ص٣٤٦؛ ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص٣٤٦؛ كريمان، ري باستان، ج٢، ص١٣٦.
- (٥) ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص٢٧٠، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٨٩٦، كريمان، ري باستان، ج٢، ص١٣٦.

عندما وصل المأمون إلى بغداد (٢٠٤هـ/٨١٩م)، كان طاهر بن الحسين من الحاشية، وبدأ بترتيب الأمور، فقد كان يعرف أن المأمون لن ينسى حادثه الأمين والذل والهوان الذي ألحقه بأخيه، ونجح طاهر في مسعاه. ففي عام ٢٠٥هـ/٨٢٠م ولى المأمون طاهر بن الحسين المشرق: الري ودماوند ورويان وطبرستان وقومس وكرمان وسجستان وخراسان^(١)، وعلى ذلك فقد توجه طاهر إلى خراسان أميراً وبقي فيها حتى توفي في عام ٢٠٧هـ/٨٢٢م، وجعل ابنه خليفته في المشرق^(٢).

مات طلحة عام ٢١٣هـ/٨٢٨م فحل محله أخوه علي بن طلحة، لكن جميعاً خرج عليه وقتلوه، وعندما وصل الخبر إلى المأمون^(٣)، أرسل إلى خراسان عبد الله بن طاهر الذي كان يُعدُّ أمره لمقاتلة بابك الخرمي، وبقي عبد الله في منصبه خلال خلافة المأمون^(٤) والمعتصم^(٥) وبداية خلافة الواثق إلى أن مات عام ٢٣٠هـ/٨٤٤م، وبعد موته أرسل الخليفة الواثق ولده طاهر بن عبد الله على مجموع أعمال والده^(٦)، وبعد موته عام ٢٤٨هـ/٨٦٢م، حل محله محمد بن طاهر بن عبد الله. وظلت الري خلال هذه المدة بيد الطاهريين^(٧). فكانت هذه مقدمة خروج إيران من نفوذ الخلفاء العباسيين

(١) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٨، ص ٥٧٨؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٦، ص ٣٦٠-٣٦١.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٨، ص ٥٩٣؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٦، ص ٣٨٣.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٨، ص ٦٢٠؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٦، ص ٤٠٩.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٨، ص ٦٢٠؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٦، ص ٤١٤.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج ٧، ص ١٣.

(٦) ن، م، ج ٧، ص ٤٣٩.

(٧) الطبري، تاريخ الرسل، ج ١٠، ص ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٦٥، ٢٦٦؛ حمزة الأصفهاني، سني

ملوك الارض، ص ٢٢٧-٢٣٣، ابن الاثير، الكامل، ج ٧، ص ١٢٠، ابن خلکان، وفيات الاعيان،

ج ٣، ص ٨٣-٨٨. کریمان، ري باستان، ج ٢، ص ١٣٧.

وبداية انفصالها عن الخلافة الإسلامية منذ أن دخلت تحت راية الخلافة في عهد عمر ابن الخطاب. وظهر في طبرستان في عام ٢٥٠هـ/٨٦٤م الحسن بن زيد، واستولى عليها وعلى جرجان وتساعد نجمه، وأرسل الحسن بن زيد جيشاً بقيادة أحد أعوانه إلى الري، فهرب محمد بن طاهر أمامه، ولكن محمد بن طاهر بن عبدالله أرسل محمد بن ميكال إلى الري واستولى عليها، ولم يمضِ وقت طويل حتى بعث الحسن بن زيد جيشاً إلى الري، واندحر محمد بن ميكال وهرب إلى داخل المدينة وقتل هناك على يد أصحاب الحسن. ولما وصل الخبر إلى بغداد^(١)، أرسل الخليفة المعتز بالله ٢٥٥هـ/٨٦٨م موسى بن بغا لمحاربة الداعي الذي ظهر في الري وقطع يده عن الري، وبعد سنة حدثت معركة أخرى بينهما في أيام الخليفة المعتمد (٢٥٦هـ - ٢٧٩هـ)^(٢). واحتل الحسن بن زيد الري مرة أخرى في عام ٢٥٧هـ/٨٧٠م^(٣)، ثم استردها موسى بن بغا في عام ٢٥٩هـ/٨٧٢م وصار والياً عليها^(٤).

وفي عام ٢٦٠هـ/٨٧٣م حارب يعقوب بن الليث الصفاري المرسل من قبل الخليفة العباسي (المعتمد) عبد الله السجزي الذي كان يريد الاستيلاء على سجستان فهرب عبد الله ولجأ إلى الحسن بن زيد، فكتب يعقوب رسالة إلى الحسن، طلب منه فيها

(١) الطبري، تاريخ الرسل، ج٩، ص ٢٧٢-٢٧٦. المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص ٣٢٦، حمزة الاصفهاني، سني ملوك الارض، ص ٢٠٩، ابن اسفنديار، تاريخ طبرستان، ج١، ص ٢٤٣، ابن الاثير، ج٧، ص ١٣٠-١٣٤، المستوفي، تاريخ كزيدة، ص ٣٢٧ - ٣٢٨، كريماني، ري باستان، ج٢، ص ١٣٨.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل، ج٩، ص ٤٠٦-٤٠٧، ص ٤٧٤، ابن الاثير، الكامل، ج٧، ص ١٨٧، المستوفي، تاريخ كزيدة، ج١، ص ٣٢٨.

(٣) ابن الاثير، الكامل، ج٧، ص ٢٥٩-٢٦٠.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل، ج٩، ص ٥٠٦.

تسليمه عبد الله السجزي وإخوته، ولكن الحسن لم يرد على الرسالة، فسار يعقوب إليه، ولكن الحسن فرّ منه. أما عبد الله وإخوته فقد توجهوا إلى الصلابي والي الري، وعندما اقترب يعقوب من الري بعث رسالة إلى الصلابي وخيره بين تسليم عبد الله وإخوته، أو القتال لكن الصلابي خاف وسلمهم إليه^(١). وتوفي الصلابي عام ٢٦٢هـ/٨٧٥م وتسلم الولاية كيغلغ^(٢).

في عام ٢٦٦هـ/٨٧٩م سيطر على الري أستاكين^(٣) وهو من الترك، وأخرج عاملها ظلمجور ثم هاجم بعد ذلك مع ابنه اذكوتكين^(٤) مدينة قزوين، ثم عاد إلى الري^(٥). ثم توجه أحمد بن عبدالله الخجستاني^(٦) في ٢٦٧هـ/٨٨٠م، ثم إلى سمنان وتحصن منه أهل الري: كما اضطر خجستاني للعودة إلى خراسان، ثم قُتل على يد غلمانه عام ٢٦٨هـ/٨٨١م^(٧). ولما توفي الحسن بن زيد العلوي^(٨) عام ٢٧٠هـ/٨٨٣م،

-
- (١) الطبري، تاريخ الرسل، ج٩، ص٥٠٩-٥١٠، الكرديزي، زين الأخبار، ص ٢٢٤-٢٢٥، ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٢٦٨.
- (٢) الطبري، تاريخ الرسل، ج٩، ص٥٢٦؛ ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٢٦٨-٢٦٩، كريماني، ري باستان، ج٢، ص ١٣٩.
- (٣) أستاكين والي الخليفة المعتمد على الموصل سنة ٢٦٠هـ/٨٧٣م، وكان من أكابر قادة الأتراك وأساء إلى أهل الموصل فقاتلوه وأخرجوه منها. انظر ابن الأثير، ج٧، ص٢٦٩-٢٧٠.
- (٤) ادتكوكين بن استاكين كان مع أبيه في الموصل سنة ٢٦٤٠هـ/٨٧٣م، وكان من أكابر قواد الأتراك فحارب أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف سنة ٢٦٨هـ/٨٨١م. ابن الأثير، ج٧، ص٢٦٩، ٣٧٠.
- (٥) الطبري، تاريخ الرسل، ج٩، ص ٥٤٩، ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٢٣٢. ابن كثير، البداية والنهاية، ج١١، ص ٣٨.
- (٦) أحمد بن عبدالله الخجستاني: خجستان من جبل هراة من قرى يادغيس وكان الخجستاني من أتباع يعقوب الصفار ثم خلع وتغلب على نيسابور وبسطام في سنة ٢٦١هـ/٨٧٤م. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٦، ص٤٢٣-٤٢٤.
- (٧) الطبري، تاريخ الرسل، ج٩، ص٥٩٩، ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٣٦٢. الذهبي، العبر، ج٢، ص٣٨.

برز مكانه أخوه محمد بن زيد صاحب طبرستان، وحكم بين الأعوام ٢٧٠-٢٨٧هـ/٨٨٣-٩٠٠م، وقد فكر في عام ٢٧٢هـ/٨٨٥م باحتلال الري، والتقى مع اذكونكين قرب الري^(٢)، وسيطر اذكونكين على الري فأقام بها وأخذ من أهلها مائة ألف ألف دينار وفي عام ٢٧٥هـ/٨٨٨م سيطر على الري من بعده أحمد بن حسن المارداني، الذي نشر مذهب التشيع هناك على ما ذكر ياقوت^(٣).

وكان أتباع أحمد الخجستاني قد التحقوا بعد مقتله برافع بن هرثمة، وكان رافع من أصحاب محمد بن طاهر بن عبدالله^(٤). وكان عاملاً على خراسان وجاء إلى أرض الديلم متعباً محمد بن زيد حتى وصل إلى حدود قزوین، ثم عاد إلى الري، وبقي فيها إلى أن عزله الخليفة المعتضد عن خراسان في عام ٢٧٩هـ/٨٩٢م، وولى عمرو بن الليث عليها، فكتب هذا إلى أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف العجلي صاحب همدان لكي يذهب إلى الري^(٥)، وأن يخرج رافعاً منها وما أن سمع رافع بمقدم أحمد بن

(١) الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب الزيدي ظهر بطبرستان وهزم جيوش الخليفة وملك الري، ثم مات وقام بالأمر من بعده أخوه محمد بن زيد وخطب للحسن هذا بالإمامة في بلاد الديلم وطبرستان في سنة ٢٥٠هـ/٨٦٤م وذلك في خلافة المستعين. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٢، ص ٢٠.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٩، ص ٦٦٦؛ ابن اسفنديار، تاريخ طبرستان، ج ١، ص ٢٥٢، ابن الاثير، ج ٧، ص ٤١٨، ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١، ص ٥٠.

(٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٧٥.

(٤) ابن الاثير، الكامل، ج ٧، ص ٤٣٤؛ كرىمان، ري باستان، ج ٢، ص ١٤٠.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل، ج ١١، ص ٣٤١. المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ص ٣٤٧، ابن الاثير، الكامل، ج ٧، ص ٤٥٧، كرىمان، ري باستان، ج ٢، ص ١٤٠.

عبدالعزیز حتی هرب منها، وبقي رافع هارباً إلى أن مات أحمد عام ٢٨٠هـ/٨٩٣م فعاد بعدها إلى الري^(١).

عندما علم الخليفة المعتضد بقصة محمد بن زيد العلوي، توجه في عام ٢٨١هـ/٨٩٤م إلى بلاد الجبال، ووصل إلى الدينور على أن يتوجه إلى مدينة الري، فولى ابنه علي (المكتفي) الري وقزوين وزنجان وأبهر وقم وهمدان ودينور، ثم عاد إلى بغداد، وتوجه رافع من جرجان إلى الري، وطلب الأمان من علي بن المعتضد^(٢).

أرسل المعتضد في عام ٢٨٢هـ/٨٩٥م وزيره عبد الله بن سليمان إلى الري ليلحق بولده علي (المكتفي)^(٣). وفي هذه الفترة وقعت أحداث مهمة في خراسان تمثلت في تصاعد نفوذ آل سامان تدريجياً، حتى علا شأنهم. وعندما مات نصر بن أحمد بن أسد بن سامان صاحب عمل ما وراء النهر، حل محله ابنه الأمير إسماعيل^(٤) وأصدر الخليفة المعتضد في عام ٢٨٧هـ/٩٠٠م منشوراً لتوليته على خراسان وطبرستان وجرجان، وبدأت الدولة السامانية^(٥).

-
- (١) الطبري، تاريخ الرسل، ج ١١، ص ٣٤٣، ابن الاثير، الكامل، ج ٧، ص ٤٥٨-٤٥٩.
- (٢) الطبري، تاريخ الرسل، ج ١١، ص ٣٤٤، المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ص ٢٦٨، ابن الاثير، الكامل، ج ٧، ص ٤٦٧، كريماني، ري باستان، ص ١٤١.
- (٣) الطبري، تاريخ الرسل، ج ١١، ص ٣٤٦، ابن الاثير، الكامل، ج ٧، ص ٤٧٤.
- (٤) المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ص ٣٨١، أبو الفداء، تاريخ، ج ٢، ص ٥٩؛ خواند امير، حبيب السير، جزء ٤، مج ٢، ص ٨.
- (٥) الكرديزي، زين الاخبار، ص ٢١، ابن الاثير، الكامل، ج ٧، ص ٥٠٠-٥٠١؛ خواند امير، حبيب السير، ج ٤، مج ٢، ص ٨.

وكان في الري والي تركي عينه المكتفي ويسمى اغرتمش^(١). ونظراً لسيرته السيئة لم يرض عنه الرازيون، فأعلن محمد بن هارون والي طبرستان من قبل إسماعيل بن أحمد الساماني العصيان، في هذه الأثناء وبسبب سوء معاملة الوالي طلب أهالي الري من محمد بن هارون أن يأتي إليها وتكون الري له، فذهب محمد إلى هناك، وحارب اغرتمش التركي، وقتله وأخاه وولده، واستولى على الري، وعندما عرف إسماعيل قصده طرده إلى قزوین، ثم توجه محمد بن هارون إلى الديلم فعاد إسماعيل واستراح في الري لكنه لم يدخل المدينة، واقترح عليه الرازيون أن يقبل عمل الري لكنه رفض، وقال هذه مدينة غير مباركة، وقتل بسببها الحسين بن علي، فغادرها إسماعيل وتوجه إلى نيسابور. وفي هذه الفترة توفي الخليفة المعتضد ٢٨٩هـ/٩٠٧ وخلفه المكتفي^(٢).

أوكل المكتفي عهد ولواء خراسان إلى إسماعيل وأصبحت الولاية من بعده لابنه أحمد، الذي ضُمت إليه ولاية الري وقزوین وزنجان^(٣).

أعطى إسماعيل ولاية الري إلى ابن أخيه، أبي صالح منصور بن إسحاق بن أحمد بن أسد، ودخل منصور الري عام ٢٩٠هـ/٩٠٢م^(٤) وبقي فيها ست سنوات. ولما توفي إسماعيل بن أحمد عام ٢٩٥هـ/٩٠٨م^(٥). خلفه ابنه أحمد بن إسماعيل على

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٥٠٢-٥٠٣؛ ابن خلدون، طبعة بولاق، ج٣، ص٣٥٥.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل، ج١٠، ص٩٦؛ ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٥١٦.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل، ج١٠، ص٩٧؛ تاريخ إيران، ص١١٣.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل، ج١٠، ص٩٧، الكرديزي، زين الاخبار، ص٢٣٥، ابن الاثير، الكامل، ج٧،

ص٥٢٧؛ خواند امير، حبيب السير، مج٢، ص٨.

(٥) الكرديزي، زين الأخبار، ابن اسفنديار، تاريخ، ص٢٦٤؛ ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٥.

خراسان، ثم جاء أحمد إلى الري عام ٢٩٦هـ، ووصله هناك عهد الخليفة المقتدر بولاية خراسان، ثم نصب أحمد أبا جعفر (الصعلوك) خليفة له على الري، وعاد أدراجه. وفي عام ٣٠١هـ/٩١٣م خلع المقتدر بالله على ولده علي الخلعة، وولي الري وDMAوند وقزوين وزنجان وأبهر^(١).

في عام ٣٠٤هـ/٩١٦م قام يوسف بن أبي الساج، الذي كان يلي أذربيجان وأرمينية منذ أول وزارة ابن الفرات الأولى سنة ٢٩٧هـ/٩٠٩م وكان عليه مال يؤديه إلى الديوان فلما عزل ابن الفرات (٢٩٩هـ/٩١٧م) وولي الخاقاني الوزارة وبعده علي بن عيسى فطمع فأخر حمل بعض المال فلما بلغه القبض على الوزير علي بن عيسى أظهر أن الخليفة أنفذ له عهداً بالري، وأن الوزير علي بن عيسى سعى له في ذلك، وجمع الجيش وسار إلى الري وبها محمد بن علي صعلوك يتولى أمرها لصاحب خراسان نصر بن أحمد بن إسماعيل الساماني، فلما بلغه مسير يوسف بن أبي الساج نحوه سار إلى خراسان فدخل يوسف الري واستولى على قزوين وزنجان وأبهر^(٢).

وحين اكتشف الخليفة المقتدر هذا التزوير أرسل خاقان المفلحي في عام ٣٠٥هـ/٩١٧م على رأس جيش لمحاربة يوسف، وعندما لم يحقق خاقان شيئاً، تم اختيار مؤنس الخادم لهذه المهمة، والتحق معه أحمد بن علي الصعلوك شقيق محمد، ونتيجة لذلك فقد رضح يوسف بن أبي الساج للخليفة، وقبل دفع الخراج مقابل أن يقاطع على أعمال الري، لكن الخليفة رفض ذلك لإقدامه على التزوير، فقام يوسف بأخذ

(١) ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص٧٦.

(٢) ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص٩٩-١٠٠.

الخراج عنوة من الناس وتخريب المدينة، ثم تركها، فولى الخليفة وصيف البكتمري عليها، إلا أن الحرب بين يوسف ومؤنس استمرت، هزم على أثرها يوسف وفرّ إلى زنجان^(١). ولما طفر مؤنس بابن أبي الساج قلّد عليّ بن هسودان أعمال الري وديناوند^(٢)، وقزوين وأبهر وزنجان^(٣).

وفي سنة ٣٠٤هـ/٩١٦م كان أحمد بن علي الصعلوك له رغبة بالاستيلاء على مدينة الري فتوجه من قم إلى هناك فدحر وصيفاً واستولى على المدينة، وقرر الخليفة منحه عمل الري وديناوند وقزوين وزبخان وأبهر^(٤).

في عام ٣١٠هـ/٩٢٢م ولى الخليفة المقتدر مرة أخرى يوسف بن أبي الساج على الري وقزوين وأبهر وزنجان وأذربيجان وقرر عليه خمسمائة ألف دينار محمولة كل سنة إلى بيت المال سوى أرزاق الجيش الذين بهذه البلاد^(٥)، فجاء إلى الري عام ٣١١هـ/٩٢٣م، وحارب أحمد بن علي الصعلوك فاندحر أحمد وقتل وهرب أعوانه، واستولى ابن أبي الساج على الري^(٦). ثم استدعاه الخليفة المقتدر إلى واسط لكي يعدّ العدة لمحاربة القرامطة وفي تلك الأثناء استغل فانتك غلام يوسف غياب يوسف بن أبي الساج عن الري، فاحتلها عام ٣١٣هـ/٩٢٥م^(٧)، فقام المقتدر على إثر ذلك بتكليف

(١) ن، م، ص ١٠١.

(٢) ديناوند، كورة قرب الري. انظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٦٢.

(٣) زنجان: بلد كبير مشهور من نواحي الجبال. انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ١٥٢؛ ابن الأثير، الكامل، مج ٨، ص ١٠٢.

(٤) ابن الأثير، الكامل، مج ٨، ص ١٠٣.

(٥) ن، م، ص ١٣٦.

(٦) ن، م، ص ١٤٤.

(٧) ن، م، ج ٨، ص ١٤٥.

نصر بن أحمد الساماني بطرد فاتك من الري، فلما سمع فاتك بمقدم أحمد هرب، ودخل نصر بن أحمد المدينة، ثم نصب سيمجور الدواتي والياً عليها، وترك المدينة، وعندما وصل إلى بخارى نصر بن أحمد سيمجور وأرسل بدلاً منه محمد بن علي الصعلوك واستمر الصعلوك في الري حتى أوائل شعبان ٣١٦هـ/ ٩٢٨م ثم مرض. وفي هذه الأحيان استدعى حسن بن قاسم بن حسن بن علي الحسيني المعروف بالداعي الصغير و(ما كان بن كالي)^(١) من طبرستان إلى الري، وأعاد إليهم حكومتها، وتوجه إلى خراسان، وعندما وصل إلى دامغان توفي هناك^(٢). جاء حسن بن قاسم إلى الري بجيش كبير مؤلف من الديلم، وطرد الجيش الساماني من هناك، وسيطر على الري وقزوين وزنجان وقم. وفي هذه الأثناء بعث الخليفة المقتدر رسالة شديدة اللهجة إلى نصر بن أحمد بن إسماعيل الساماني ولامه فيها على الاضطرابات الموجودة في المدينة، فبعث نصر أسفار بن شيرويه على رأس جيش لقتال حسن الداعي و(ما كان بن كالي)^(٣)، واندحر (ما كان) في الري، واستولى أسفار على الري وطبرستان وقزوين، وألقى الخطبة باسم الأمير السعيد نصر بن أحمد الساماني، ولم يمضِ وقت طويل حتى سما نجمه وأعلن الخروج على الخليفة المقتدر، وخرج على الأمير نصر، ونصب عرشاً من الذهب في الري، ووضع التاج على رأسه^(٤).

(١) ماكان بن كالي: كان والي كرمان من قبل عماد الدولة بن بويه فطمعه بإعادة جرجان وطبرستان وتوفي سنة ٣٢٩هـ، انظر تجارب الأمم، ج ٦، ص ٣٣-٣٤.

(٢) مسكويه، تجارب الأمم، ج ٦، ص ٣٤؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص ٦٦٦، خواندامير، حبيب السير، ج ٤، مج ٢، ص ١٠.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ص ٤٣٠، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج ٨، ص ١٨٩-١٩١.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص ١٩٢.

وفي عام ٣١٧هـ/٩٢٩م توجه الأمير السعيد نصر للإطاحة بأسفار، وفي هذه الأثناء جرت بينهم مراسلات أسفرت عن الصلح، وأعاد الأمير نصر الخراج الذي كان مقررا على أسفار، فارتكب أسفار المظالم على أهالي الري وقزوین، وقتل العديد من أهالي مدينة قزوین بجرم أنهم قتلوا عاملها، ودمر المدينة، وطفح الكيل بالناس، ولم يصلح الوضع سوى مرداویج بن زیار الديلمي وكان من أكبر قواد أسفار^(١).

بدأت أهمية الري بكونها مركزاً سياسياً وعلمياً تظهر جلياً منذ مطلع القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي عندما اتخذها البويهيون عاصمة لهم.

فقد أسس الدولة البويهية ثلاثة أخوة، هم: علي (وهو فيما بعد عماد الدولة) وحسن (ركن الدولة) وأحمد (معز الدولة)، واشتق اسم الدولة من اسم عائلة هؤلاء الأخوة، فهم أبناء أبو شجاع بويه. وكان الأخوة الثلاثة جنوداً مغامرين، جربوا حظهم في خدمة ماكان فارتفع علي أكبر الأخوة بعقريته الحربية إلى مركز هام، وعندما دُحر ماكان على يد مرداویج وانتقل لخدمة السامانيين اتضح أنه لا يستطيع القيام بنفقات جيش واسع، فطلب الأخوة منه بصراحة أن يسمح لهم بترك خدمته قائلين "الأصلح لك مفارقتنا إياك؛ لتخف عنك مؤنتنا ويقع حملنا على غيرك، فإذا تمكنت عاودناك"، وانتقلوا إلى خدمة مرداویج، وتميز علي بسرعة، فولي علي كرج سنة ٣٢٠هـ/٩٣٢م (بين أصفهان وهمدان)، وأظهر كياسة في الإدارة، وأحبه سكان المنطقة والعمال المحليون فثارت شكوك مرداویج، وعندئذ رأى علي أن من الحكمة أن يجمع ضرائب المنطقة لمدة سنة ويسير جنوباً إلى أصفهان،

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص ٤٣٠، الأصفهاني، سنی ملوک الارض، ص ١٥٣، ابن اسفندیار، تاریخ، ج١، ص ٢٩٢؛ ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص ١٩٥.

وفكر بدخول خدمة الخليفة ولكن والي المنطقة المظفر بن ياقوت رفض، فاستطاع علي بحذقه الاستيلاء على أصفهان ودحر الوالي^(١).

بنى مرداويج ٣١٠هـ/٩٢٢م شرق الري مدينة جيلاباد، وشيد فيها الأبنية والأطواق الرفيعة، والبرك، والحدائق العجيبة، وهي تشبه إلى حد ما أبنية الساسانيين الملكية، وكذلك بنى سجناً كبيراً مخيفاً، أحاطه بخنادق الماء لمنع السجناء من الهرب منه. وكان ملك مرداويج يتوسع ليشمل مازندران والري وقزوین وزنجان وقم وأصفهان وهمدان^(٢)، ولما احتل مرداويج خوزستان بسهولة فكر بمشروع أخطر، إذ قرر احتلال بغداد والقضاء على الدولة العباسية، وإنشاء مملكة على الطراز الساساني مركزها طيسفون، وكان يقول "أنا أقيم دولة العجم وأبطل ملك العرب". ولكن حكم مرداويج لم يدم طويلاً؛ لأنه كان سيء الأخلاق قاسياً، كما إنه بتقريبه الديلم أزعج الأتراك في جيشه فقتله الترك سنة ٣٢٣هـ/٩٣٥م^(٣).

كان مرداويج أول ملك من أولاد زیار، وظهر في مجال السياسة عام ٣١٥هـ/٩٢٧م، واستقل في عام ٣١٩هـ/٩٣١م^(٤). وعندما قتل مرداويج ٣٢٣هـ/٩٣٥م كان أخوه (وشمكير) بن زیار في الري، فبايعه أصحاب مرداويج ونصبوه ملكاً، وفي عام ٣٢٨هـ/٩٣٩م. وقع قتال عنيف في مشكويه -على بعد منزلتين عن الري- بين حسن بن

(١) مسكويه، تجارب الأمم، ج٦، ص ٢٧٠. الدوري، دراسات، ص ٢٤٥.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص ٤٣٣؛ ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص ١٩٦؛ ابن خلدون، تاريخ، ٤، ص ٥٠٦-٥٠٧، كريمان، ري باستان، ج٢، ص ١٤٩.

(٣) الدوري، دراسات في العصور العباسية، ص ٢٤٦. كريمان، ري باستان، ج٢، ص ١٥٢.

(٤) الأصفهاني، سني ملوك الأرض، ص ٢١٨؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج٥، ص ٣١٦؛ الكرديزي، زين الأخبار، ص ٣٠؛ ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص ١٩٦؛ المستوفي، تاريخ كزیده، ج١، ص ٤١٤، ٤١٥؛ خواندامير، حبيب السير، ج٤، ص ٢، ص ٥٧. يوسف العش، تاريخ عصر الخلافة العباسية، ص ١٨٦.

بويه (ركن الدولة) ووشمكير، دمر فيه حسن بن بويه طرفي جيش وشمكير، إلا أن وشمكير هاجم قلب جيش حسن بن بويه^(١)، منهياً القتال لصالحه. وفي هذه الفترة بعث الأمير نصر بن أحمد الساماني في محرم عام ٣٢٨هـ/٩٣٩م أبا علي أحمد بن مظفر بن المحتاج من نيسابور إلى جرجان؛ ليجبر (ما كان بن كالي) الذي أعلن العصيان على الأمير على الطاعة مرة أخرى، فحاصر أبو علي جرجان، مما اضطر (ماكان) أن يكتب إلى وشمكير في الري، طالباً منه العون، وقَبِلَ طلبه الطلب وبعث جيشاً من الديلم، ووقع القتال على بوابة جرجان واستمر سبعة أشهر، وفشل (ماكان) وأعوانه وهرب إلى طبرستان، واستولى أبو علي وجيشه على المدينة، فبعث رسالة الفتح إلى الأمير نصر، وبقي هناك حتى محرم عام ٣٢٩هـ/٩٤٠م^(٢)، كان وشمكير قد ذهب إلى دماوند، وأرسل رسولاً إلى (ماكان) لكي يلتحق به، فتوجه (ماكان) إليه والتقيا في مدينة إسحق آباد، وفي هذه الأثناء بعث عماد الدولة، وركن الدولة أولاد بويه رسالة إلى أبي علي صاحب جيش خراسان وأثارة ضد وشمكير ووعداه بالمساعدة، وكان هدفهم السيطرة على الري، فإذا أخذها أبو علي لا يمكنه المقام بها لسعة ولايته بخراسان.

وفي سنة ٣٣٠هـ/٩٤١م سمع ركن الدولة حسن بن بويه بملك وشمكير الري فطمع فيه لأن وشمكير كان ضعيفاً نتيجة حربه مع أبي علي فتوجه ركن الدولة إلى

(١) مسكويه، تجارب الأمم، ج٦، ص٣٣-٣٤؛ ابن اسفنديار، تاريخ طبرستان، ج١، ص٢٩٦؛ ابن الأثير، الكامل،

ج٨، ص٣١٢. خواندامير، حبيب السير، ج٤، مج٢، ص٥٧.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٣٧٠. ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص٥٠٨-٥٠٩.

الري ووقعت المعركة معه فاندحر في المعركة، وهرب إلى طبرستان، وتوجه أعوانه إلى ركن الدولة لطلب الأمان^(١).

عندما استقر الأمير نوح بن نصر في خراسان وما وراء النهر، أمر في عام ٣٣٣هـ/٩٤٤م أبا علي صاحب الجيش أن يتوجه إلى الري، وأن يسترجع هذه الولاية من يد ركن الدولة، وهرع لتلك الناحية مع جمع كبير من الأكراد، ووقعت المعركة على بعد ثلاثة فراسخ منها، وكان النصر لركن الدولة وانهزم أبو علي^(٢).

تلقى أبو علي الأمر مرة أخرى من الأمير نوح لكي يذهب إلى الري، وعندما علم ركن الدولة بكثرة جموعه غادرها، وسيطر أبو علي عليها وعلى بلاد الجبال، في هذه الأثناء ولى الأمير نوح إبراهيم بن سيمجور على نيسابور^(٣)، وكان الهدف من ذلك أن يقطع طمع أبي علي عن خراسان، ليقيم بها، وعندما عرف أبو علي أن مكافأته الري وبلاد الجبل استوحش لذلك لأنه كان يعتقد أنه يحسن إليه بسبب فتح الري وتلك الأعمال فلما عزل أبو علي شق ذلك عليه ووجه أخاه أبا العباس الفضل بن محمد إلى كور الجبال وولاه همذان وجعله خليفة على من معه من الجيش، واستولى ركن الدولة مرة أخرى في عام ٣٣٥هـ/٩٤٥م عليها وبقيّة أعمال الجبال^(١).

(١) ابن اسفنديار، تاريخ طبرستان، ج١، ص٢٩٨؛ ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٣٩٠-٣٩١.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٤٤٣.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٤٤٤؛ خواندامير، حبيب السير، ج٤، مج٢، ص١١؛ كريماني، ري باستان، ج٢، ص١٥٥.

وكان أمر الأسرة البويهية مع الأمراء السامانيين يسير على ما يرام، وبدأ ملكهم يوسع نفوذه، فسيطروا على الري والجل وفارس والأحواز والعراق، وجعلوا من أكبر مدينتين في ذلك العهد بغداد والري دار الملك لهم، وجلس للحكم في الري حسن بن بويه (ركن الدولة) أخو أحمد بن بويه (معز الدولة) ووالد عضد الدولة^(٢).

في عام ٣٣٧هـ/٩٤٨م سمع مرزبان محمد بن مسافر صاحب أذربيجان أن جيش خراسان هاجم الري، وأن حسن بن بويه قد اشتبك معهم، فطمع في احتلال تلك المناطق، وشجعه على ذلك علي بن جوانقولة - أحد قواد ركن الدولة المنشقين عنه وقال لمرزبان أن من وراءه من قادة الري يرغبون في حكمه - فتوجه المرزبان إلى الري، وطلب ركن الدولة المساعدة من أخويه عماد الدولة، ومعز الدولة، فالتقى الجيشان، وانهزم جيش مرزبان وأخذ أسيراً^(١). وبالقضاء على حركة المرزبان استطاعت الدولة البويهية أن تعيد سيطرتها على الري.

في عام ٣٣٩هـ/٩٥٠م أمر الأمير نوح منصور بن قراتكين قائد السامانيين بالتوجه من نيسابور إلى الري، وكان ركن الدولة في فارس، وكان يدير شؤون الري علي بن كامة خليفة ركن الدولة، ولما دخل منصور الري أرسل الجيش إلى الأطراف واحتل بلاد الجبل، فتوجه علي بن كامة إلى أصفهان، فجاء الخبر إلى ركن الدولة وهو بفارس، فكتب إلى أخيه معز الدولة يأمره بإرسال الجيش إلى الري وبلاد الجبال

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٤٦٧.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٢٣٠؛ أبي الفداء، تاريخ، ج٢، ص٨٣؛ خواندامير، حبيب السير، ج٤، ص٢، ص٤٧؛ ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص٥١٠-٥١١. الدوري، دراسات، ص٢٥٠.

وهمذان، فأرسل سبكتكين الحاجب في جيش ضخم من الأتراك والديلم والعرب وهزم منصور في أصفهان، بعد أحداث عنيفة، ثم عاد إلى الري^(٢).

في عام ٣٤٢هـ/٩٥٣م توجه وشمكير لحصار مدينة الري بناء على طلب الأمير نوح، ودعمه بأبي علي بن محتاج فتحصن ركن الدولة في قلعة طبرك، واستمر الحصار خمسة أشهر، وتفشى الموت في جيش أبي علي، إلا أن الأمر انتهى بالصلح الذي تضمن عودة أبي علي مقابل إرسال ركن الدولة إلى خزينة الأمير نوح مائتي ألف دينار شهرياً^(٣)، وبعد وفاة الأمير نوح بن نصر عام ٣٤٣هـ/٩٥٤م خلفه ابنه عبد الملك^(٤).

أرسل الأمير عبد الملك بن نوح جيشاً إلى الري وأصفهان سنة ٣٤٤هـ/٩٥٥م، وحدثت معركة، انتهت بتعهد ركن الدولة بدفع مال يحمله إليه على أن تكون الري وبلد الجبل بأسره مع ركن الدولة^(٥)، وبعد وفاة عبد الملك بن نوح (٣٥٠هـ/٩٦١م) تولى أخوه منصور بن نوح^(٦).

-
- (١) مسكويه، تجارب الأمم، ج٦، ص١٦٣-١٦٤. ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٤٧٨-٤٧٩. الكروي، البويهيون، ص١٣٨-١٣٩.
- (٢) مسكويه، تجارب الأمم، ج٦، ص١٧١-١٧٢. ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص٣٣٥؛ المستوفي، تاريخ كزيدة، ج١، ص٤١٧؛ ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص٥٢٥-٥٢٦.
- (٣) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٥٠٩.
- (٤) مسكويه، تجارب الأمم، ج٦، ص١٩١-١٩٢. الكرديزي، زين الأخبار، ص٢٥٤؛ ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٥٠٤؛ ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص٥٢٦-٥٢٧، ٥٩٤. خواندامير، حبيب السير، ج٤، مج٢، ص١٢؛ كريمان، ري باستان، ص١٥٨.
- (٥) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٥١٢.
- (٦) مسكويه، تجارب الأمم، ج٦، ص٢٥٩-٢٦٠. ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٥٦٩-٥٧١.

وفي سنة ٣٥٥هـ/٩٦٥م خرج من خراسان جمع عظيم بلغ عشرين ألف بنية الغزاة، وقصدوا الري فتمكنوا في البداية من الري، ولكن ركن الدولة استطاع أن يهزمهم وينتصر عليهم ويأسر بعضهم^(١).

أظهر وشمكير عداؤه لركن الدولة، وكان في نزاع مستمر معه، إلى أن لجأ في عام ٣٥٦هـ/٩٦٦م إلى منصور بن نوح للتعاون على ركن الدولة، فأمر منصور بن فلاح صاحب جيش خراسان محمد بن إبراهيم بن سيمجور أن ينضم إلى وشمكير، وتوجهوا إلى الري، وكان يرأس الجيش كله وشمكير، ولكن في الطريق خرج خنزير بري، وضرب بطن فرسه وقطعه نصفين، وسقط وشمكير على الأرض ومات. بعد هذه الحادثة ضعف العزم تجاه الري، وعاد الأمير أبو الحسن (محمد بن إبراهيم بن سيمجور) إلى نيسابور، وكان موصوفاً بالعجز والضعف^(٢). ولما مات وشمكير فقد ظهر ابنه بيستون في خراسان الذي صالح ركن الدولة، فأمدّه الأخير بالمال والرجال، وظهر جلياً أثر ضعف أبي الحسن سيمجور في عهد آل سامان حيث فقد منطقتي قومس ورويان^(٣).

وفي سنة ٣٦١هـ/٩٧١م تم الصلح بين الأمير منصور بن نوح الساماني صاحب خراسان وما وراء النهر وبين ركن الدولة وابنه عضد الدولة على أن يحمل

(١) مسكويه، تجارب الأمم، ج٦، ص١٩٩. ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٥٦٩. ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص٥٢٨-٥٢٩.

(٢) مسكويه، تجارب الأمم، ج٦، ص٢٧١-٢٧٢. ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٥٧٧-٥٧٨.

(٣) الكرديزي، زين الأخبار، ص٤٥؛ ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٥٧٨، مرعشي، تاريخ طبرستان، ص١٨٤؛ كريماني، ري باستان، ج٢، ص١٥٨-١٥٩.

الأخير للأمير منصور كل سنة مائة ألف وخمسين ألف دينار وكتب بينهما كتاب الصلح^(١).

ساد الهدوء لمدة من الزمن بين البويهيين وآل سامان، واستقل ركن الدولة بالأمر كله إلى أن أصيب بمرض، فتحامل على مرضه وتوجه من الري إلى أصفهان واستدعى أولاده هناك، فعهد بالملك من بعده إلى عضد الدولة، وأعطى همدان وأعمال الجبل إلى فخر الدولة، أصبهان وأعمالها لولده مؤيد، وجعل حكم ولديه فخر الدولة ومؤيد في مناطقيهما باسم أخيهما عضد الدولة، بمعنى أن عضد الدولة هو الحاكم العام، وبعد أن أوصى ركن الدولة بهذه الوصايا عاد من أصفهان إلى الري وظل فيها حتى توفي عام ٣٦٦هـ/٩٧٦م^(٢). وفي نفس السنة توفي منصور بن نوح وملك من بعده ابنه نوح ولقب بالمنصور^(٣).

كان فخر الدولة خلال فترة حكم والده في همدان، وحكم بعد والده مدة قصيرة، ثم هرب من أخوته؛ لأن عضد الدولة لم يكن راضياً بقسمة والده. ففي عام ٣٦٩هـ/ ٩٧٩م توجه عضد الدولة نحو ولاية فخر الدولة الذي كان مقيماً في همدان، بعد أن غدر به جيشه، مما اضطره للخروج من هناك والذهاب إلى الديلم، ثم ذهب إلى جرجان والتحق فخر الدولة بشمس المعالي قابوس بن وشمكير في جرجان، الذي أحسن استقباله وأكرمه.

(١) مسكويه، تجارب الأمم، ج ٦، ص ٣٥٤. ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص ٦٢٦.

(٢) مسكويه، تجارب الأمم، ج ٦، ص ٤٠٩-٤١٠. ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص ٦٦٩-٦٧٠. أبو الفداء، تاريخ، ج ٢، ص ١٢٢؛ المستوفي، تاريخ كزيدة، ج ١، ص ٤١٧؛ ابن خلدون، تاريخ، ج ٤، ص ٥٤٢. خواند امير، حبيب السير، ج ٤، مج ٢، ص ٤٩.

(٣) مسكويه، ذيل تجارب الأمم، ص ٤١١. ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص ٦٧٣.

سيطر عضد الدولة على ولاية أخيه فخر الدولة، وولي عليها أخاه مؤيد الدولة، ثم جاء إلى الري واستولى عليها^(١). وبعث عضد الدولة ومؤيد الدولة مبعوثاً إلى قابوس لكي يسلمهم فخر الدولة، وعرضوا عليه أن يعطوه الري لمدة سنة وإلا فالحرب بينهم، فرد عليهم قابوس رداً قبيحاً وبعد أن عرف عضد الدولة بذلك، أمر مؤيد الدولة بالسير من الري على رأس جيش إلى جرجان ولكن قابوس وفخر الدولة لم يكونا يمتلكان المقاومة والصمود رغم الجلادة والشجاعة، مما اضطرهما لكتابة رسالة إلى بخارى وطلب العون من نوح بن منصور الذي أمدّهما بالأمير حسام الدولة (أبو العباس كماش الذي كان يتولى قيادة جيوش خراسان للسامانيين) على رأس جيش كبير^(٢).

وكان مؤيد الدولة قد كاتب بعض قادة خراسان يسمى (فائق الخاصة) (٣٧١هـ/٩٨١م) وأطمعه ورغبه، فأجابه إلى الانهزام عند اللقاء. فلما خرج مؤيد الدولة، حمل عسكره على فائق وأصحابه، فانهزم هو ومن معه، وتبعه الناس، وثبت فخر الدولة، وحسام الدولة (أبو العباس كماش) في القلب، واشتد القتال إلى آخر النهار، فلما رأوا تلاحق الناس في الهزيمة لحقوا بهم، وغنم أصحاب مؤيد الدولة منهم وعاد حسام الدولة، وفخر الدولة، وقابوس إلى نيسابور وكتبوا إلى بخارى بالوضع^(٣)، وفي خضم هذه الأحداث أصيب عضد الدولة بمرض الصرع وتوفي سنة (٣٧٢هـ/٩٨٢م)^(٤).

-
- (١) مسكويه، ذيل تجارب الأمم، ج٧، ص١٧-١٨. ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٧٠٨.
- (٢) مسكويه، ذيل تجارب الأمم، ج٧، ص٢٥-٢٦. ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص١١-١٢. ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص٥٤٦-٥٤٧.
- (٣) تاريخ يميني، ص٥٤-٦٧؛ ابن الأثير، ج٩، ص١٢؛ جامع التواريخ، ص١٨-٢٣؛ أبو الفداء، تاريخ، ج٢، ص١٢٧-١٢٩؛ المستوفي، تاريخ كزيدة، ج١، ص٤٢٣؛ مرعشي، تاريخ طبرستان، ص١٨٥-١٨٨؛ كريماني، ري باستان، ج٢، ص١٦٠-١٦٢.
- (٤) ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص١٨.

بعد وفاة عضد الدولة هب الديالمة لانتخاب واحد من عائلة بويه فوق الاختيار على فخر الدولة؛ لأنه أكبر العائلة، وهو المستحق بالوراثة^(١).

ومن أعمال فخر الدولة في عام (٣٧٣هـ/٩٨٣م) إزاحة علي بن كامه الديلمي الذي كان من رجال السياسة في زمان آل بويه في الري ومازندران، وذلك لمعرفته أنه من غير الممكن السيطرة عليه لجلالة قدره، فلجأ فخر الدولة والصاحب بن عباد إلى الحيلة، فسموه وسيطروا على قلاعهم وثورته^(٢). بعد ذلك بعث الخليفة الطائع لله في عام ٣٧٤هـ/٩٨٤م الخلع السلطانية والعهد واللواء وزيادة اللقب لفخر الدولة وسلم جميع ذلك إلى أبي الملك الحسن بن محمد بن سهل بن رسول فخر الدولة^(٣). وبنى فخر الدولة، في الري مدينة فخر آباد، وذكر ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) أنها هي الحالية -زمان ياقوت- قد استأنف عمارة قلعة الري القديمة جدد بناءها فخر الدولة، وبنى فيها القصور والصور، لتحصينها وتقويتها، وخرن فيها الذخائر والأسلحة، وهي مشرفة على البساتين والمياه الجارية^(٤).

(١) الروذاورى، ذيل تجارب الأمم، ص ١١٧-١١٨؛ تاريخ يميني، ص ٤٧-٧٥؛ الكريديزي، زين الأخبار، ص ٥٢؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٩، ص ٢٦؛ رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ، ص ٣؛ أبو الفداء، تاريخ، ج ٢، ص ١٢٩؛ خواند امير، حبيب السير، ج ٤، مج ٢، ص ٥١.

(٢) الروذاورى، ذيل تجارب الأمم، ص ٩٥.

(٣) ن، م، ج ٧، ص ١٢٣.

(٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٧٠؛ كريمان، ري باستان، ج ٢، ص ١٦٦.

وفي سنة ٣٧٩هـ/٩٨٩م سار فخر الدولة من الري إلى همذان عازماً على قصد العراق والاستيلاء عليه، وكان سبب توجهه إلى العراق أن صاحب بن عباد كان يحب العراق ولا سيما بغداد، ولكنه فشل في السيطرة على العراق^(١). وفي سنة ٣٨٥هـ/٩٩٥م توفي صاحب بن عباد الذي يعد من أشهر وزراء دولة بني بويه في الري^(٢).

وفي سنة ٣٨٧هـ/٩٩٧م توفي فخر الدولة بن بويه أبو الحسن علي بن ركن الدولة في قلعة طبرك، فخلفه في ملكه ولده مجد الدولة أبو طالب رستم، وعمره أربع سنين، وقد أجلسه الأمراء في الملك، وجعلوا أخاه شمس الدولة بهمذان وقرميسين إلى حدود العراق، وكانت والددة مجد الدولة هي المرجع في تدبير الملك، وعن رأيها يصدرن، وكان يباشر الأعمال أبو طاهر صاحب فخر الدولة وهو أبو العباس الضبي^(٣).

وفي عام ٣٩٧هـ/١٠٠٦م قبضت السيدة والددة مجد الدولة بن فخر الدولة بن بويه على صاحب الري وبلد الجبل وكان سبب ذلك أن الحكم كان إليها في جميع أعمال ابنها ولما وزر أبو علي بن علي بن القاسم استمال الأمراء والشكوى عليها وخوف ابنها منها فذهب إلى قلعة طبرك، ويبدو أنها أخذت أموالاً، ثم توجهت إلى كردستان عند بدر بن حسنويه لتستعين به في استرجاع الري، فأرسل بدر جيشاً كبيراً من القلعة يرافق

(١) الروذائري، ذيل تجارب الأمم، ج٧، ص١٩٨. ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٦٤.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص١١٠-١١١.

(٣) الروذائري، ذيل تجارب الأمم، ص٣٤٩. ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص١٣٢. الدوري، دراسات، ص٢٧٣.

السيدة إلى شمس الدولة شقيق مجد الدولة في همدان ، وأرسل شمس الدولة جيش همدان إلى الري لاحتلالها، فلم يستطع مجد الدولة الدفاع عنها لخروج جيشه مع والدته إلى همدان على سبيل الحراسة، فاندحر واحتل بدر بن حسنويه الري، وأحرق عدداً من المحلات، وأسر مجد الدولة وسجن في طبرك، فأجلست أمه أخاه شمس الدولة في الملك، وعاد بدر بن حسنويه إلى بلده محملاً بالهدايا والأموال، وبقي شمس الدولة في الملك نحو سنة، فرأت والدته منه منكراً وتغيراً ورأت أن أخاه مجد الدولة ألين منه وأسلم، فأعادته إلى الملك^(١). ودعا محمود الغزنوي السيدة إلى الخضوع مهدداً إياها بفتح بلادها، فأجابته بأن نتيجة الحرب مجهولة، فإن انتصر السلطان عليها لم يكسبه ذلك فخراً يذكر، وأن انتصرت هي كان ذلك وصمة أبدية في جبينه فكف عنها^(٢).

وعاد شمس الدولة إلى همدان^(٣)، ثم توجه عام ٤٠٥هـ/١٠١٤م لاحتلال الري، فتوجه مجد الدولة والسيدة إلى ديباوند، وأطاع شمس الدولة عسكره، فدخل إلى الري، ثم خرج من هناك متابعاً لأخيه وأمه لكن الجند ثاروا عليه، مما اضطره للعودة إلى همدان^(١)، وبعث رسولاً إلى أمه وأخيه ليعودا إلى الري وعادا واهتمت السيدة بإعمار البلاد ورفاه أهلها، وكانت تجلس وراء ستارة خفيفة، وتتحدث مع الوزراء مباشرة، وتجيب على رسل الدول والولايات، وكانت تجيب على رسائل السلطان محمود

(١) الروذاورى، ذيل تجارب الأمم، ص ٢٠٠. ابن الأثير، الكامل، ج ٩، ص ٢٠٣-٢٠٤؛ الدورى، دراسات، ص ٢٧٣.

(٢) الدورى، دراسات، ص ٢٧٣.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج ٩، ص ٢٠٣-٢٠٤.

الغزنوي في غاية من الحنكة والتدبير. وبنت السيدة في الري قصر سيد آباد، وانشغل ابنها بقراءة الكتب لذلك دب الخلل في المملكة، وبدأ الأمراء يعصون أمر مجد الدولة بعد وفاة أمه عام ٤١٠هـ/١٠١٩م، فطلب مجد الدولة المعونة من السلطان محمود الغزنوي فقدم الغزنوي إلى الري وكان هدف السلطان من ذلك أن يرسل ولده مسعود من خراسان إلى العراق، ونزل في قرية دولاب الري في عام ٤٢٠هـ/١٠٢٩م^(٢). وجاء في تاريخ البيهقي عن نزول محمود في الري ما يلي: "... عندما وصلوا إلى الري نزل الأمير محمد بن دولاب قرب المدينة عن طريق طبرستان، وعسكر الأمير مسعود في علي آباد، على طريق قزوين، وكانت المسافة بين الجيشين نصف فرسخ، وكان الجو حاراً جداً، وأمر ببناء السراييب لقضاء وقت القيلولة، وبنى مسعود سرداباً خاصاً له وكان واسعاً ونظيفاً وكان يقضي وقت القيلولة فيه إما للنوم أو للعمل..."^(٣).

وظن مجد الدولة أن مسعوداً جاء بلا جيش، وعلى ذلك خرج من المدينة مع مائة فارس من خواصه وعدد من المشاه فقبط أعوان محمود عليه وعلى ولده أبي دلف، وعندما علم مسعود باعتقاله دخل الري دون معاناة، وسيطر على خزائنها (حوالي مليون دينار) ومن جواهرها ما قيمته خمسمائة ألف دينار والملابس الحريرية. ومن عبر تلك الأحداث استدعى مسعوداً مجد الدولة وسأله هل قرأت الشاهنامة، وتاريخ الطبري؟ قال نعم: قال: وضعك لا يشبه وضع ذلك الشخص، ثم سأله هل ربحت في

(١) ن، م، ج، ٩، ص ٢٥٠.

(٢) قزويني، تاريخ جهان آرا، ص ٧٨.

(٣) البيهقي، تاريخ البيهقي، ص ١٣٤.

الشطرنج؟ قال نعم: قال: هل شاهدت وجود ملكين في خانة واحدة؟ قال: لا، قال: إذن ما الذي جعلك تسلم نفسك لشخص أقوى منك^(١).

نهب محمود الغزنوي الري، وقتل مجموعة كبيرة من الروافض هناك بتهمة الباطنية والقرمطية ونصب عشرين مشنقة، وأحرق كتب الفلسفة ومذاهب الاعتزال والنجوم. وكان محمود حنفياً أشعرياً متمسكاً بأشعريته فبعث معتزلة الري إلى خراسان، وحرق مكتبة الري المليئة بكتب الفلسفة الاعتزال وأخذ من الكتب ما سوى ذلك مائة حمل^(٢)، ولخص ابن الأثير هذه الواقعة بما يأتي: "وصلب من أصحابه (مجد الدولة) الباطنية خلقاً كثيراً، ونفى المعتزلة إلى خراسان، وأحرق كتب الفلسفة ومذاهب الاعتزال والنجوم، وأخذ من الكتب ما سوى ذلك مائة حمل...". سيطر مسعود على قزوين وقلاعها وسأوة وآبه وأصفهان، ووضع محمود الغزنوي ابنه مسعوداً في الري وعاد إلى غزنین. وخلال احتلال الري هرب ابن مجد الدولة المسمى فناخسرو من المدينة، ولجأ إلى خسران.

وتوفي محمود في عام ٤٢١هـ/١٠٣٠م^(٣)، وكان ابنه مسعود في تلك الفترة في أصفهان، فلما بلغه الخبر سار إلى خراسان، وكان مسعود قد وصل إلى الري بنفس الوقت الذي وصلت رسالة التعزية والتهنئة من القادر بالله إلى الري، وقرر له الري والجبّال وأصفهان وخراسان وغزنة وبعد أن كسب مسعود الناس في الري ولى حسن بن سليمان عليها، وترك المدينة في رجب عام ٤٢١هـ/١٠٣٠م^(٤).

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص ٣٧١-٣٧٢؛ خواندامير، حبيب السير، ج٤، مج٢، ص ٢٥.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص ٣٧٢.

(٣) البيهقي، تاريخ، ص ١٧؛ ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص ٣٩٨.

(٤) البيهقي، تاريخ، ص ٢٣. ابن العبري، مختصر الدول، ص ١٨١؛ ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص ٣٩٩-

٤٠٠؛ ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص ٥٧٥.

وعندما عاد مسعود إلى خراسان جمع فناخسرو ابن مجد الدولة الذي مرَّ ذكره مجموعة من الديلم والأكراد حوله، وتحرك من قصران إلى الري، وهرع إليه حسن بن سليمان نائب مسعود، ووقعت معركة عنيفة انهزم فيها فناخسروا، وعاد إلى قصران وقتل الكثير من أتباعه^(١).

وفي سنة ٤٢٣هـ/١٠٣١م وعندما علم علاء الدولة بن كاكويه، الذي كان في خوزستان إلى جوار الملك أبي كاليجار^(٢) بخبر وفاة محمود، أخذ يدعو إلى احتلال الري، لكن عمال مسعود وبمساعدة أنوشروان بن منوچهر^(٣)، تمكنوا من طرده من تلك النواحي، وخطبوا في الري وأعمال أنوشروان باسم مسعود وعلى هذا فقد خرجت الري من يد الديالمة^(٤) وسار إليها ٤٢٤هـ/١٠٣٢م سهل الحمدوني للنظر في أمور البلاد الجبلية، والقيام بحفظها، فأصلح الفساد، وأحسن إلى الناس، وأظهر العدل، فأزال الأقساط والمصادرات^(٥).

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٤٠٢.

(٢) أبو كاليجار كرشاسف بن علاء الدولة بن كاكويه تولى أمر نهاوند وأعمال الجبل ٤٣٣هـ/١٠٤١م وبعد وفاة والده علاء الدولة وخطب إلى أبي كاليجار في بغداد بعد وفاة الملك جلال الدولة وتوفي سنة ٤٤٣هـ/١٠٥١م في الأهواز. انظر ابن الأثير، ج٩، ص٤٩٥، ٥٠٩، ٥٢٥-٥٢٩، ٥٨٠.

(٣) أنوشروان بن منوچهر بن قابوس كان والياً على بلاد الجبل إلى حدود أرمينية سنة ٤١٨هـ/١٠٢٦م من قبل السلطان محمود الغزنوي وتولى جرجان ولكنه رفع العصيان على السلطان مسعود بن محمود الزنوي فقتله سنة ٤٣٤هـ/١٠٤٢م. انظر ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٣٧٢، ٣٩٤، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٩٦، ٥٠٥.

(٤) ن، م، ج٩، ص٤٢٤-٤٢٥.

(٥) ن، م، ج٩، ص٤٢٩.

السلاجقة

ظهرت دولة السلاجقة في مشرق العالم الإسلامي، ويرجع معظم السلاجقة إلى القبائل التركمانية التي عرفت باسم "الغز"^(١)، وقد أُطلق على هذه القبائل اسم السلاجقة نسبة إلى رئيسها سلجوق بن دقاق الذي وحدها تحت زعامته فنسبت إليه، وخضعت لحكم أبنائه وأحفاده^(٢).

وعرف السلاجقة بأسماء مختلفة من بينها غزنق^(٣)، والغز والتغز أو التغرغز والتركمان، ويعزى هذا الاختلاف إلى الجهل بأنساب الترك^(٤)، فالسلاجقة هم العشيرة الكبيرة التي قادت هجرة القبائل التركية، في حين تعني كلمة الغز مجموع القبائل التركية المرافقة، والسلاجقة قسم من التركمان وإن كانت كلمة تركمان تستخدم مرادفة لكلمة الغز أو الترك لدى المؤرخين في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي^(٥).

هاجر السلاجقة من موطنهم الأصلي في سهول تركستان إلى بلاد ما وراء النهر لخوفهم من فتك بيغو ملك تركستان بهم^(٦) بعد أن بدأ يلحظ استمالة سلجوق بن دقاق للجند^(٧)، وبسبب شجاعة سلجوق ورجاحة عقله، فاضطر سلجوق وقبيلته - وقد خافوا

-
- (١) نظام الملك، سياست نامه، ص ١٢٥؛ المستوفي، تاريخ كزیده، ص ٤٢٦؛ عصام محمد شبارو، السلاطين في المشرق، ص ١٩؛ مرتضائي، الحياة العلمية، ص ٢٨.
 - (٢) الراوندي، راحة الصدور، ص ٥؛ الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص ٢٣؛ أدبيات در ایران، ص ١٠.
 - (٣) الحسيني، زبدة التواريخ، ص ٢-٣، عليان الجالودي، تطور السلطنة، ص ٥.
 - (٤) البيهقي، تاريخ، ص ٣٤-٣٥.
 - (٥) شاکر مصطفى، دخول الترك الغز إلى الشام، ص ٣١٨.
 - (٦) الحسيني، زبدة التواريخ، ص ١، عليان الجالودي، تطور السلطنة، ص ٢٥؛ الداقوقي، الدولة القراخانية، ص ١٣٩-١٥٠.
 - (٧) دقاق أو تفاق معناها بالتركية القوس من الحديد، الحسيني، زبدة التواريخ، ص ١-٢؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٩، ص ١٧٦.

أن ينالهم الأذى - إلى الهرب باتجاه بلاد ما وراء النهر، وأقاموا بين بخارى وجند، وأغرامهم ضعف الإمارة السامانية - بسبب الصراع بينها وبين الدولة القراخانية - بالتوغل داخل الأراضي الإسلامية^(١).

تتابعت هجرة قبائل الترك موطنها الأصلي في سهول تركستان، وبدأت بالاستقرار على سواحل نهر سيحون^(٢)، وكان لتعاونهم مع الدولة السامانية في رد غارات الترك عن بلادهم أن تسامح السامانيون في وجودهم^(٣). وتوفي سلجوق "بجند" عند مصب نهر سيحون^(٤)، وكان لسلجوق أولاد ميكائيل، وأرسلان، وموسى، وتزعم أرسلان بيغو وهو الأكبر سنًا بين أخوته القبيلة، وسار على نهج والده في غزو القبائل التركية الوثنية، وقتل أرسلان في إحدى هذه الغارات فانقلبت زعامة القبيلة إلى شقيقه ميكائيل، وقتل ميكائيل وهو يغزو بلاد الأتراك، وبعد وفاته انتقلت الرئاسة إلى ولديه طغرل بك محمد، وجغرى بك داود^(٥).

وكان عبور السلاجقة النهر بناءً على مراسلات أعيان البلاد، وأرباب الضياع لهم ودعوتهم لتخليصهم من حكم الغزنويين، وبخاصة من المظالم التي ارتكبتها حاكم خراسان أبو الفضل سوري بن المعتز^(٦).

(١) بارتولد، تركستان، ص ٣٨٩-٤٧١.

(٢) الراوندي، راحة الصدور، ص ١٤٦. الحسيني، زبدة التواريخ، ص ٢. المستوفي، تاريخ كزیده، ص ٤٢٦؛ إقبال، الوزارة، ص ١١؛ محمد محمود إدريس، تاريخ العراق، ص ٥٨.

(٣) بارتولد، تركستان، ص ٤٣٦-٤٣٧.

(٤) الحسيني، زبدة التواريخ، ص ٢؛ محمد محمود إدريس، ص ٦٣.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج ٩، ص ٤٧٤. المستوفي، تاريخ كزیده، ص ٤٢٧؛ عصام محمد، السلاطين في المشرق، ص ٢٠. عليان الجالودي، تطور السلطنة، ص ٢٦.

(٦) بارتولد، تركستان، ص ٤٣٦-٤٣٧.

واضطر الغزنويون بسبب انشغالهم بحروبهم في الهند إلى إهمال أمر السلاجقة، بل استهانوا بخطورة توسعهم في خراسان، ويبدو أن محموداً الغزنوي حاول استمالتهم إلى جانبه؛ ليحول بينهم وبين الإغارة على مناطق خراسان أثناء غيابه في الهند^(١)، وسمح لهم بالإقامة على أطراف خراسان وأخذ عدداً من زعمائهم وفي مقدمتهم أرسلان بن سلجوق رهائن عنده وأودعهم في قلعة كالنجر في الهند^(٢)، لضمان ولاء السلاجقة وطاعتهم له حسب العرف المتبع لدى القبائل التركية.

واستشار محمود الغزنوي حاجبه أرسلان الجاذب في الموقف منهم، فأشار عليه بقطع إبهامات الرجال جميعاً، حتى لا يستطيعوا شد القوس، أو يغرقهم جميعاً في نهر جيحون، لكن الأمير محموداً فضل السماح لهم بالتفرق في أطراف خراسان^(٣).

ولم يتمكن زعماء السلاجقة من الوفاء بتعهداتهم للسلطان محمود؛ لأنهم لم يتمكنوا من ضبط القبائل التركمانية التي أخذت تغير على خراسان، وأكثر من أعمال السلب والنهب فيها، فأوكل السلطان الغزنوي أمر محاربتهم إلى والي مدينة طوس أرسلان الجاذب، ولكنهم ألحقوا الهزيمة به^(٤)، مما اضطر السلطان محمود الغزنوي للخروج إليهم بنفسه سنة ٤١٩هـ/١٠٢٨م، وألحق بهم هزيمة نكراء في معركة رباط وقتل منهم أربعة آلاف، وفرّ الباقيون إلى بلخان ودهستان بالقرب من خوارزم^(٥).

-
- (١) الراوندي، راحة الصدور، ص ١٤٧-١٤٨؛ بارتولد، تاريخ الترك، ص ١١١.
- (٢) البنداري، ص ٥؛ الحسيني، ص ٣؛ بارتولد، تركستان، ص ٤٢٦؛ حلمي، السلاجقة في التاريخ والحضارة، ص ٢٣. عليان، ص ٢٧.
- (٣) الحسيني، زبدة التواريخ، ص ٣؛ البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٥؛ عليان الجالودي، تطور السلطنة، ص ٢٧-٢٨.
- (٤) الراوندي، راحة الصدور، ص ١٥٤.
- (٥) ابن الأثير، الكامل، ج ٩، ص ٣٤٦.

وبعد وفاة السلطان محمود الغزنوي سنة ٤٢١هـ/١٠٣٠م^(١)، أعاد السلاجقة توحيد صفوفهم بقيادة جغرى بك داود، وطغرلبك؛ أبي طالب محمد، ولدي ميكائيل سلجوق، وانتهزوا الصراع بين مسعود الغزنوي وشقيقه الأصغر محمد الذي عهد إليه والده السلطان محمود الغزنوي قبل وفاته بحكم الغزنويين، ورافقت ذلك فوضى واضطراب مما أسهم في تراخي قبضة الغزنويين عن خراسان، وساعد السلاجقة على بسط سيطرتهم عليها^(٢).

وطالب السلاجقة سنة ٤٢٥هـ/١٠٣٣م من سورى بن المعتز والي نيسابور، الإقامة على أطراف المدينة^(٣). فقد وجهوا إليه رسالة جاء فيها "إلى حضرة الشيخ الرئيس الجليل السيد مولانا أبي الفضل سورى، من العبيد بيغو، طغرل، وداوود موالى أمير المؤمنين، لقد استحالت علينا الإقامة في بخارى في بلاد ما وراء النهر فقد كانت صلتنا بعلي ككين إبان حياته صلة مجاورة وصداقة، واليوم وقد مات وآل الأمر إلى ولديه وهما طفلان طائشان، وقد استولى عليهما وعلى الدولة قونش قائد والدهما، وقد عادانا حتى استحالت علينا العيش هناك، وإن خوارزم مضطربة أحوالها بعد مقتل هارون "ابن التونتاش"، مما يجعل مسيرنا إليها متعذراً، ولذلك جئنا نلوذ بسلطان العالم ولي نعم، ليكرمنا الشيخ سورى ويكتب إلى الأستاذ الرئيس أحمد عبدالصمد ليكون شفيعاً لنا عند السلطان، فإنه يعرفنا، وكنا بفضل وساطته نقيم كل شتاء في ولاية خوارزمشاه

(١) ابن خلدون، المقدمة، ج ٤، ص ٢٧٨.

(٢) عليان الجالودي، تطور السلطنة، ص ٢٨.

(٣) البيهقي، تاريخ، ص ٥١٨-٥٢١، الراوندي، راحة الصدور، ص ١٥٤-١٥٥.

التونناش نحن ورجالنا وأنعامنا حتى الربيع، لعل السلطان يقبلنا عبيداً له، فيقوم أحدنا بالخدمة في الدركاه "البلاط" ويتعهد الأخوان بتنفيذ ما يأمر به السلطان من خدمات...
ويمن علينا بولاييتي نسا وفراوة حتى نستقر فيهما ويهدأ بالنا، ولن ندع مفسداً يخرج على الدولة في بلخان ودهستان وحدود خوارزم وجوانب جيحون"^(١).

وفي هذه الأثناء توغل السلاجقة في خراسان وتمكنوا سنة ٤٢٥هـ/١٠٣٣م من إلحاق الهزيمة بالجيش الغزنوي الذي أرسله مسعود لنجدة حاكم نيسابور (سورى بن المعتز)^(٢)، مما اضطر السلطان مسعوداً لمهادنتهم مؤقتاً، والاعتراف بهم حكاماً لخراسان، وذلك بعد أن أرسل السلاجقة رسالة إلى السلطان يلتمسون عفوهم، ويطلبون عقد الصلح سنة ٤٢٦هـ/١٠٣٤م فأرسل إليهم السلطان مسعود أباً نصر العيني ومعه من الخلع قلنسوة ذات ركنين، ولواء وحلة مطرزة، وجواداً وسرجاً من ذهب فضلاً عن ثلاثين ثوباً غير مطرزه"^(٣).

ومنح السلطان مسعود كل زعيم من زعماء السلاجقة الثلاثة ولاية من الولايات، فقد منح طغرلبيك إمارة نسا^(٤)، وبيغو فراوة، وداود دهستان^(٥) ولقب كلاً منهم بلقب دهقان^(٦).

-
- (١) البيهقي، تاريخ، ص ٥٠٣-٥٠٤؛ باسية، مادة السلاجقة، دائرة المعارف الإسلامية المعربة، مج ١٢، ص ٢٤-٢٦.
(٢) البيهقي، تاريخ، ص ٥٢٨، الراوندي، راحة الصدور، ص ١٥٦، ابن الأثير، الكامل، ج ٩، ص ٤٧٨.
(٣) البيهقي، ص ٥٢٨. الراوندي، راحة الصدور، ص ١٥٦؛ ابن الأثير، ج ٩، ص ٤٧٨؛ بارتولد، تركستان، ص ٤٥٥.
(٤) نسا: هي مدينة بخراسان وهي مدينة وبئة جداً يكثر بها خروج العرق المديني، انظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٨٢.
(٥) دهستان، بلد مشهور قرب مازندران وخوارزم، انظر، ن، م، مج ٢، ص ٤٩٢.
(٦) الدهقان، يعنى رئيس القرية، وهو لقب فارسي ويكون الدهقان مسؤولاً أمام الدولة، ويحمل الخراج إليها بعد ضمان القرية، البيهقي، تاريخ، ص ٦٢٨.

وأخذ عليهم المواثيق والعهود بالوفاء للسلطان الغزنوي؛ كما اشترط عليهم التخلي عن أعمال النهب، وأن يرسلوا أحدهم إلى قصره ليكون في خدمته^(١).

وساعد اعتراف السلطان الغزنوي بالسلاجقة وتوليبتهم بعض الولايات على توطيد سلطتهم في خراسان، ثم استولوا على مدن بلخ ونيسابور وطوس وجوزجان "فاشتد بأسهم، وازدادت قوتهم، ولاحت عليهم إمارات الملك، وعلامات الحكم، ومخايل السلطان"^(٢). وكان إهمال السلطان مسعود لأمر خراسان "من أعظم سعادة للسلاجقية وبها يملكون البلاد"^(٣).

بدأت الاتصالات الأولى بين السلاجقة والخلافة العباسية إثر انتصار السلاجقة على الغزنويين واحتلالهم مدينة نيسابور سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٨م، ففي أعقاب دخولهم مدينة نيسابور أرسل إليهم الخليفة القائم بأمر الله رسالة "يأمرهم فيها ويخوفهم ويذكرهم بالله، ويحملهم على رعاية عبادته وعمارة بلاده"^(٤) في محاولة منه لنيل دعمهم من جهة، وإشعارهم بأنه مصدر الشرعية ورأس الأمة الإسلامية من جهة أخرى. ورحب السلاجقة بهذه الرسالة، وخلعوا على رسول الخليفة أبي بكر الطوسي ثلاث عشرة خلعة"^(٥).

-
- (١) البيهقي، تاريخ، ص ٥٢٨. الحسيني، زبدة التواريخ، ص ٥. ؛ بارتولد، تركستان، ص ٤٥٥. عليان الجالودي، تطور السلطنة، ص ٢٩.
- (٢) الراوندي، راحة الصدور، ص ١٥٦-١٥٧.
- (٣) ابن الأثير، الكامل، ج ٩، ص ١٦٥-١٦٦. عليان الجالودي، تطور السلطنة، ص ٢٩.
- (٤) الراوندي، راحة الصدور، ص ١٦٧؛ البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٨؛ عليان الجالودي، تطور السلطنة، ص ٣٢.
- (٥) البيهقي، تاريخ، ص ٥٠٣-٥٠٤.

وأضفت رسالة الخليفة الشرعية على حكم السلاجقة، ويستدل من رسائلهم إلى الأمير مسعود الغزنوي أنهم عدواً أنفسهم موالي الخليفة^(١). ويذكر البنداري أن السلاجقة تباهاوا برسالة الخليفة "وازدادوا بها قوة ومنعة"^(٢)، لأنها تعني اعترافه بطغرل حاكماً على خراسان ورئيساً للسلاجقة كافة^(٣). وبدأ طغرل بك يعمل على التقرب من الخليفة وإظهار نفسه بمظهر الحاكم الحريص على مصلحة الرعية، ومن مظاهر ذلك منعه لشقيقه داود من نهب مدينة نيسابور، محتجاً برسالة الخليفة^(٤).

وعندما وصلت أخبار انتصاراتهم إلى السلطان مسعود خرج إليهم بنفسه وبعد سلسلة من المعارك تبادل الطرفان فيها النصر والهزيمة، وقعت معركة فاصلة بالقرب من داندانقان في الصحراء الواسعة بين سرخس ومرو في رمضان سنة (٤٣١هـ/١٠٣٩م)، انهزم فيها الجيش الغزنوي^(٥).

استندت السلطنة السلجوقية إلى أفراد البيت السلجوقي ابتداء بهدف توطيد نفوذ العائلة على غيرها من الجماعات الغزية والتركمانية^(٦) وضمان وحدة أفراد الأسرة وتجنب النزاع على السلطة ولذلك قسم طغرل بك البلاد بينهم، وعين كل أمير من أفراد البيت السلجوقي حاكماً على ولاية، إحساساً بأن الملك للأسرة تشترك فيه. وترك لكل

(١) الراوندي، راحة الصدور، ص ١٥٤-١٥٥.

(٢) البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٨-٩.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج ٩، ص ٦٠٨.

(٤) البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٩؛ عليان، ص ٣٢.

(٥) البيهقي، تاريخ، ص ٦٦٣. بارتولد، تركستان، ص ٤٤٧.

(٦) Bosworth, the Political and Dynastic of the Iranian Words, Cambridge History

of Iran, Vol.5, p.44. بارتولد، تركستان، ص ٤٦١؛ عليان الجالودي، تطور السلطنة، ص ٣٠.

منهم السلطة كاملة على ما بيده عن البلاد، وفتح ما يشاء من البلاد المجاورة، وضمها إلى ولايته، فولي جغري بك داود شقيق طغرل بك الأكبر معظم نواحي خراسان، واتخذ من مدينة مرو حاضرة له، وولي موسى بغيو ولايتي بست وهرارة، ومنطقة سجستان، ومنح قتلмыш بن إسرائيل جرجان والدامغان، والأمير ياقوتي السلجوقي أبهرورزجان، والأمير قادر بن جغري بك الطبسين ونواحي كرمان، وولي إبراهيم ينال -شقيق طغرل بك من أمه- قهستان، واشترك أبو علي الحسن مع أبيه موسى سلجوق بك في حكم بوشنج وبلاد الغور، واستبقى طغرل بك إلى جانبه في عاصمته الري ابن شقيقه ألب أرسلان^(١).

يعدّ انتصار السلاجقة على الغزنويين في داندانقان سنة ٤٣١هـ/١٠٣٩م البداية الفعلية لاتصالهم بالخلافة العباسية، فقد اجتمع أفراد البيت السلجوقي سنة ٤٣٢هـ/١٠٤٠م، وبعث طغرل بك بعد الاجتماع رسالة إلى الخليفة حملها الفقيه أبو إسحق الفقاعي، بهدف الحصول على اعتراف الخلافة العباسية بشرعية حكمهم للبلاد التي أصبحت في حوزتهم وأظهروا الحرص الشديد على إرضاء الخلافة عن طريق التمسك بأهداب الدين، وتنفيذ أوامره، وتجنب نواهيها. وأكدوا في رسالتهم على أن صراعهم مع الغزنويين إنما هو دفاع عن النفس وعن المسلمين، وربطوا دفاعهم بمبادئ الإسلام والعدل. كما اتسمت الرسالة بمحاولة تشويه صورة الغزنويين والتأكيد على عدم أهليتهم لحكم البلاد، مع الإشارة إلى رغبتهم في الحصول على اعتراف الخليفة بشرعية حكمهم لها ومما ورد فيها "...إنهم لما وجدوا ابن يمين الدولة مائلاً عن الخير والسمو،

(١) الحسيني، زبدة التواريخ، ص ١٧. البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٨.

مستقلاً بالشر والعتو، غاروا للمسلمين والبلاد، وهم عبيد أمير المؤمنين في حفظ البلاد والعباد، وقد سنوا سنة العدل وأسنوا سنا الفضل، وبطلوا مراسم العسف، وعطلوا مواسم الحيف"^(١).

حققت هذه السفارة رضى الخليفة عما يبيده السلاجقة من الولاء للخلافة، ورأى الخليفة أن بمقدوره كسبهم إلى جانب الخلافة ضد البويهيين فقد رد الخليفة على رسالة طغرلبيك برسالة حملها هبة الله محمد بن المأمون، وطلب منه الخليفة أن يتقرب إلى طغرلبيك حتى يحضره إلى بغداد غير أن طغرلبيك اعتذر لإنشغاله بفتح النواحي والولايات، ولبت ابن المأمون ثلاث سنوات مقيماً في الري لدى السلاجقة^(٢).

وتوالت انتصارات السلاجقة: فاستولى طغرلبيك على جرجان وطبرستان، وأقيمت له الخطبة سنة ٤٣٣هـ/١٠٤١م^(٣)، واستولى على خوارزم^(٤)، ثم على الري واتخذها عاصمة له سنة ٤٣٤هـ/١٠٤٢م^(٥)، وكان استيلاء السلاجقة على هذه المقاطعات مقدمة لاستيلائهم على بلاد فارس سنة ٤٣٥هـ/١٠٤٣م^(٦).

(١) راحة الصدور، ص ١٦٦-١٦٧؛ البنداري، ص ٨؛ الراوندي، رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ، ص ١٨-١٩؛ عليان الجالودي، ص ٣٢-٣٣.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٩، ص ٤٠٠؛ الراوندي، راحة الصدور، ص ١٦٨-١٦٩؛ البنداري، ص ٨-٩؛ عليان الجالودي، ص ٣٣.

(٣) الحسيني، زبدة التواريخ، ص ١٧. البنداري، الدولة السلجوقية، ص ٨.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص ٣٠.

(٥) ن، م، ج ٩، ص ٥٠٤.

(٦) ابن الجوزي، المنتظم، ج ٨، ص ٢٦.

واحتل إبراهيم ينال همذان، وأبقى صاحبها علاء الدين بن كاكويه والياً عليها^(١).
ثم استولى على الدينور وقرميسين وحلوان وخانقين^(٢)، كما توجه طغرل بك إلى أصفهان،
وتمكن من إلحاق الهزيمة بأبي منصور علاء الدولة بن كاكويه في المحرم سنة
٤٤٣هـ/١٠٤١م^(٣)، وأنهى حكم أسرة آل كاكوية الفارسية التي كانت تحكم همذان
وأصفهان^(٤).

ولم يلتزم طغرل بك بما تعهد به للخليفة، واعتدى العلاقات بين الطرفين
فتورنسبي استمر بين سنتي ٤٣٦هـ/١٠٤٤م-٤٤٢هـ/١٠٥٠م، عندها عاد الخليفة
للاتصال بطغرل بك إثر المظالم التي ارتكبتها القبائل التركية في مدينة أصفهان من قتل
سكانها وإغلاق مساجدها^(٥)، وترويع أهل العراق. ويشير سبط بن الجوزي ضمن
حوادث سنة ٤٤٢هـ/١٠٥٠م إلى دخول الغز مدينة نيسابور والأهواز وقتل من كان
فيهما من الترك والديلم، وتوجه مجموعة كبيرة منهم نحو العراق وحلوان، فاضطربت
بغداد وهرب إليها أهل البصرة وواسط ولم يحج في هذه السنة أحد من العراق^(٦). كما
يتحدث ابن الجوزي ضمن حوادث سنة ٤٤٥هـ/١٠٥٣م عن وصول الغز إلى حلوان
ويذكر أنهم قتلوا وسلبوا وأظهروا أنهم يقصدون بغداد، فنهاهم طغرل بك عن ذلك^(٧).

(١) راييس، السلاجقة، ص ٢٦. عليان الجالودي، تطور السلطنة، ص ٣١.

(٢) أبو الفداء، تاريخ، ج ٢، ص ١٧٦.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص ٤٣.

(٤) ن، م، ج ٨، ص ٥٢-٥٤.

(٥) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان "مخطوط"، ج ١٢، ص ١١١.

(٦) ن، م، ج ١٢، ص ١١١.

(٧) ابن الجوزي، المنتظم، ج ٨، ص ١٧.

ولا يستبعد في هذه الظروف أن يعاود الخليفة الاتصال بطغرل بك سنة ٤٤٢هـ/١٠٥٠م في رسالة حملها الماوردي أيضاً بعد أن استتجد به الأهالي، ليضع حداً لحوادث السلب والنهب التي تقوم بها القبائل الغزية، وأضفى عليه الخليفة ألقاباً تشعره بالأهمية بنظر الخلافة منها "ملاذ المسلمين، السلطان ركن الدنيا والدين"^(١).

ولم تتعد العلاقات بين السلاجقة والخلافة العباسية حتى سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م تبادل السفراء والرسائل، وفي تلك السنة دعا الخليفة طغرل بك لزيارة بغداد، وكان سبب دعوته ما آلت إليه الأوضاع الداخلية في بغداد من سوء بسبب قائد الجيش التركي أبو الحارث البساسيري، الذي عظمت هيئته، وخطب له على كثير من المنابر العراقية والأهواز ونواحيها^(٢)، ولكن ذلك لم يكن ليؤثر في مركز الخليفة بعد أن جرده البويهيون من سلطاته الدنيوية، إلا أنه خشي على استمرارية الخلافة ذاتها في ظل سعي الخلافة الفاطمية الحثيث للقضاء عليها، واستتجد البساسيري بالخليفة الفاطمي^(٣).

ورأى الخليفة أن دولة بني بويه وصلت إلى درجة من الضعف تعجز معه عن التصدي لهذه الأخطار، إضافة إلى تفاقم الصراعات المذهبية بين الطوائف المختلفة في بغداد، والصراع بين الجند الأتراك وأمرائهم البويهيين، وتوتر العلاقة بين البويهيين والسلاجقة، ويلخص ابن العمراني الوضع في بغداد عشية مجيء السلاجقة بقوله: "ثم

(١) ابن الأثير، الكامل، ص ٦٠٩-٦١٠؛ البنداري، ص ٢٨؛ عليان الجالودي، ص ٣٤.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج ٨، ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص ١٤٥؛ الراوندي، راحة الصدور، ص ١٦٩؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٩، ص ٦٠٨؛ عليان الجالودي، ص ٣٥.

(٣) الشيرازي، سيرة المؤيد في الدين، ص ٩٦.

إن الأمور في بغداد اختلت، وصار كل جندي فيها رأساً لنفسه، وانقطعت موارد البلاد^(١).

بعد أن استتبّت الأمور في غرب إيران لصالح السلاجقة، وتمكن السلطان طغرل بك من القضاء على المحاولات التي تستهدف وحدتهم، وفي مقدمتها حركة العصيان التي قام بها شقيقه إبراهيم ينال سنة ٤٤١هـ/١٠٤٩م^(٢)، وجد في دعوة الخليفة القائم فرصة لاحتلال بغداد^(٣)، بهدف فرض هيمنة السلطنة السلجوقية، وذلك بعد أن نجحت اتصالاته مع أمراء الأطراف المحيطين ببغداد، خاصة الأمير قریش بن بدران الذي خطب للسلطان طغرل بك في مدينة الموصل^(٤)، مثلما خطب له الأمير أحمد بن مروان في ديار بكر والجزيرة^(٥)، ويبدو أيضاً أن اتصالاته بالعناصر التركية التي تشكل -إلى جانب الديلم- البنية الأساسية للجيش البويهی في بغداد، وجدت نوعاً من القبول حين وعدهم بالجميل والإحسان^(٦).

وبعث طغرل بك برسالة إلى الخليفة القائم حدد فيها أهدافه من المجيء إلى بغداد، وتتلخص في: قصد الحضرة الشريفة للتبرك والانتماء لخدمتها والمسیر إلى مكة للحج، وتأمين الطريق المؤدية إلى مكة من جهة العراق، والقضاء على البدو الذين يقطعون

(١) ابن العمراني، الأنباء في تاريخ الخلفاء، ص ١٨٨.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج ٩، ص ٦٤٥-٦٤٦.

(٣) فاروق عمر، الخلافة العباسية في عصورها المتأخرة، ص ٧٧.

(٤) ابن خلدون، تاريخ، ج ٤، ص ٢٦٥.

(٥) البديسي، شرف نامه، ج ١، ص ١٩.

(٦) ابن الأثير، الكامل، ج ٩، ص ٦٠٩-٦١٠.

الطرق، وقتال أهل الشام، والمسير منها إلى مصر وتخليصها من الفاطميين، وإعادتها إلى حظيرة الخلافة العباسية^(١).

توجه طغرلبيك نحو العراق، وانتشرت أخباره في البلاد إلى أن وصلت إلى بغداد فانزعج الناس وخافوا^(٢)، وأرسل رسوله إلى الديوان في نحو ثلاثين من الغز، وما أن وصلوا إلى دار الخلافة حتى انزعج العسكر وركبوا السلاح^(٣). ويذكر ابن العبري أن الخليفة رحب برسالة طغرلبيك، وحثه على الإسراع بالقدوم إلى بغداد^(٤)، ورأى الجند الأتراك في بغداد أن الخليفة بعمله هذا خيب آمالهم، فاعترضوا بشدة مع رؤساء الديالمة على دعوته لطغرلبيك، وهددوا بسل سيوفهم على السلاجقة إن هم جاؤوا إلى بغداد^(٥).

واتخذت التدابير في بغداد لاستقبال طغرلبيك، فأوفد الخليفة رئيس الرؤساء ابن المسلمة مع القضاة والنقباء والأشراف والشهود والخدم وأعيان الدولة، وأمراء عسكر الملك الرحيم لتلقيه والترحيب به، فلقيه حاجب السلطان، وجاء بعده عميد الملك أبو نصر الكندري (وزير السلطان)، ولقي السلطان، وذكر له ما يصح ذكره عند الخليفة فشكر وأوماً إلى تقبيل الأرض، وقال: "ما أردت إلا منصرفاً عن الأوامر السامية، متمثلاً للمراسم العالية، متميزاً عن ملوك خراسان بالدنو من هذه الخدمة الشريفة ومنقماً

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج ٨، ص ١٦٤؛ ابن العمراني، الأبناء في تاريخ الخلفاء، ص ١٨٩؛ عليان الجالودي، تطور السلطان، ص ٣٥.

(٢) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، مخطوط، ج ١٢، ص ١٠٧ ب.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج ٨، ص ١٦٤.

(٤) بيات، علاقة السلاجقة بالخلافة العباسية، ص ٢٦٧.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج ٩، ص ٦٠٩-٦١٠؛ عليان الجالودي، تطور السلطنة، ص ٣٦.

من أعدائها، وسائراً إلى بلاد الشام لفتحها، وإصلاح طريق الحج فقال له رئيس الرؤساء: إن الله تعالى أعطاك الدنيا بأسرها، فاشتر لنفسك من بعضها، وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة^(١).

وبعد استقرار الأمور في بغداد بعث طغرل وزيره عميد الملك الكندري عام ٤٥٤هـ/١٠٦٢م، ليخطب له ابنة الخليفة القائم^(٢)، ولم يكن الخليفة راضياً في بداية الأمر، ولكنه قبل مع مرور الوقت وحدد مهراً لها ٤٠٠ درهم فضة ودينار واحد، كما كان مهر السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها، وعقد القران قاضي بغداد الذي رافقها إلى تبريز -التي كان قد احتلها طغرل بك عام ٤٤٦هـ/١٠٥٤م-، وأمر السلطان أن يكون الزفاف إلى دار الملك في الري، فتوجه إلى هناك وكان الجو حاراً جداً، فقرر الذهاب إلى قصره الصيفي في طبرشت لكن القدر لم يمهل، وتوفي هناك في رمضان ورجعت ابنة الخليفة مع مهرها إلى بغداد^(٣).

وحال وفاة طغرل وصل إلى الري وزيره عميد الملك الكندري بأقصى سرعة، وجلس على العرش سليمان بن داود جغرى بك الذي كانت أمه زوجة لطغرل، وكان قد خلفه طغرل على عرشه، لكن بعض الأمراء خالفوا هذا الترشيح، فانتخب نظام الملك وبعض الأمراء ألب أرسلان محمد بن داود جغرى بك محل أخيه سليمان، وكان الناس

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص١٦٤؛ عليان الجالودي، تطور السلطنة، ص٣٦.

(٢) أخبار الدول المنقطعة، ج٢، ص٤٣١؛ ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٠-٢١؛ المستوفي، تاريخ كزيدة، ص٤٣٠؛ طبرسي، مجمع البيان، ج١، ص٥٦؛ أحمد كمال الدين حلمي، السلاجقة، ص٣١.

(٣) الراوندي، راحة الصدور، ص١٧٧؛ ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٠-٢١. ابن كثير، البداية، ج١٢، ص٨٦؛ بروان، تاريخ الأدب في إيران، ص٢٢٥.

يفضلونه أيضاً، وتقبل عميد الملك الكندري مضطراً سلطة ألب أرسلان الذي جلس على العرش عام (٤٥٥هـ/١٠٦٣م)، وعزل أخاه سليمان، وقرر له حكم العراق^(١) وخراسان وأعطى الوزارة لنظام الملك^(٢).

وفي بداية عام ٤٥٦هـ/١٠٦٣م وصل إليه خبر يقول أن شهاب الدين قتلمش - وهو أحد كبار السلاجقة- قد أعلن العصيان وأغار على القرى المجاورة للري، وكان ينوي احتلالها، فأرسل جيشاً كبيراً إلى الري، وتوجه هو أيضاً إليها في محرم من نفس العام (٤٥٦هـ/١٠٦٣م)، حيث وقعت معركة حامية هزم على أثرها قتلمش وقتل، فعاد أرسلان في آخر محرم إلى الري^(٣).

خرج السلطان في ربيع الأول سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٣م من الري قاصداً حرب البيزنطيين فقطع طريق أذربيجان، واحتل عدداً من مدنها (مدينة مريم تشين، آعال

(١) الحسيني، زبدة التواريخ، ص ٥٩-٦٢؛ البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٢٦-٢٧؛ ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ٢٦-٢٧. المستوفي، تاريخ كزيدة، ص ٤٣٠؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٢٦؛ ص ٣٠٣؛ خواندامير، حبيب السير، ج ٤، مج ٢، ص ٨٥؛ محمد محمود إدريس، تاريخ العراق، ص ١١٧-١١٨؛ تاريخ إيران بعد الإسلام، ص ٢٤٠-٢٤١؛ أحمد كمال الدين حلمي، السلاجقة، ص ٣٢، ٣٣.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص ٩٦؛ وزارات در عهد سلاطين بزرك سلجوقي، ص ٤٧؛ تاريخ أدبيات در إيران، ص ٣٦١-٣٦٧.

(٣) الحسيني، زبدة التواريخ، ص ٧٩-٨٠؛ ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ٣٦-٣٧؛ المختصر في أخبار البشر، ج ٢، ص ١٩٣؛ الذهبي، العبر، ج ٢، ص ٣٠٤-٣٠٥؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٢٦، ص ٣٠٦؛ تاريخ كزيدة، ص ٤٣٠؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٥، ص ٧٠-٧١؛ عصام شبارو، تاريخ المشرق العربي، ص ٢٢-٢٣.

لآل، آني^(١). وأغضبت فتوحات السلطان ألب أرسلان هذه إمبراطور الروم (رومانوس ديوجينيس) الذي قاد في حماس بالغ إلى ميدان القتال كل رجل استطاع أن يجنده من الولايات الأوروبية والآسيوية، وبقي ثلاث سنوات يعد العدة في أرمينيا وكبادوكيا محاولاً ضرب السلاجقة، ثم قصد بلاد الشام وألحق هزيمة بقوات أمير حلب المرداسي، ولكنه لم يستطع تحقيق نصر حاسم فاضطر إلى التراجع^(٢)، فهذا الأمر هو الذي مهد لحركات ألب أرسلان العسكرية في بلاد الشام كما وضحنا ذلك أعلاه، فأدرك الإمبراطور البيزنطي ما يرمي إليه السلاجقة بحركة مضادة، بعد أن جمع جيشاً كبيراً بلغ مئتي ألف مقاتل (من الروم والروس والأرمن والبلغار واليونانيين والفرنسيين والجورجيين)، وزحف شرقاً مخترباً آسيا الصغرى حتى بلغ بلدة (ملاذكرد) من أعمال أخلاط على الفرات الأعلى شمالي بحيرة فان عند أرمينة^(٣). وفطن السلطان ألب أرسلان لخطه العدو وكان في ذلك الوقت قد بلغ عدد الجيش في أذربيجان خمسة عشر ألف فارس فقط^(٤)، فتقدم حالاً لوقف زحف العدو ولكنه أدرك أنه من الصعب أن يقاتل جيشاً ضخماً، وأدرك أن الصلح قد يكون خيراً له، وفضل أن يؤجل غزو بلاد الروم إلى وقت آخر بعد أن يستكمل استعداداته، فأرسل رسولاً إلى رومانوس يدعوه إلى

(١) الحسيني، زبدة التواريخ، ص ٨٧؛ ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ٤٠-٤١.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ٦٥.

(٣) العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، ص ١٨٥؛ السامرائي، تاريخ الدولة العربية، ص ٢٢٣.

(٤) الراوندي، راحة الصدور، ص ١٨٩؛ حسين أمين، تاريخ العراق، ص ٧٤.

الصلح، ولكن الأمبراطور أصر على الحرب ومواصلة الزحف حتى يسيطر على مدينة الري عاصمة السلاجقة^(١).

قرر السلطان السلجوقي مواجهة العدو، وكان أن انتصر السلطان في هذه المعركة ووقع الأمبراطور البيزنطي بالأسر، وحمل إلى ألب أرسلان الذي عامله بكل كرم ولطف، فافتدى الأمبراطور نفسه بألف ألف دينار وخمسمائة ألف دينار وعقد معاهدة مدتها خمسون سنة^(٢).

وتوفي السلطان ألب أرسلان سنة (٤٦٥هـ/١٠٧٢م)، وتولى السلطة بعده ابنه ملكشاه (٤٦٥هـ-٤٨٥هـ/١٠٧٢م-١٠٩٢م).

لم يقتصر ملكشاه على الولايات التي ورثها عن أبيه بل صمم على توسيع دولة السلاجقة، وبسط نفوذها ليشمل الأقاليم التي تحت سيطرة الدولة الفاطمية، فبدأ عهده بإرسال الجيوش التي سيطرت على معظم بلاد الشام، ثم أرسل جيشاً دخل الأراضي المصرية وتوغل حتى وصل القاهرة وحاصرها، ولكنه لم يستطع فتحها لشدة مقاومة الفاطميين، واستماتهم في الدفاع عنها^(٣)، فاضطر جيش السلاجقة إلى الرجوع إلى بلاد الشام، ولم يفكر ملكشاه بعد ذلك في غزو مصر مرة أخرى، غير أن السلاجقة حرصوا على تأمين بلاد الشام وانتزاعها نهائياً من الفاطميين، ولذلك أسند السلطان ملكشاه أمر

(١) عبد المنعم حسنين، سلاجقة إيران والعراق، ص ٥٦.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ٦٦؛ السامرائي، تاريخ الدولة العربية، ص ٢٢٣-٢٢٤.

(٣) العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، ص ١٨٧-١٨٨. عبد المنعم حسنين، سلاجقة إيران والعراق،

بلاد الشام إلى أخيه تاج الدين تنش في عام ٤٥٠هـ/١٠٧٧م وسمح له بفتح ما يستطع فتحه من الأقاليم المجاورة وضمها إلى دولة السلاجقة^(١).

وفي عام ٤٧١هـ/١٠٧٨م سار تنش إلى حلب، ليردها من أيدي الفاطميين إلى منطقة نفوذه، فحاصرها حتى حلت بأهلها المجاعة، وانتهز الفاطميون فرصة انشغال تنش بإعادة فتح حلب، فأرسلوا جيشاً لاحتلال دمشق، وشددوا عليها الحصار، فاستجد واليها بتنش الذي أسرع لنجدته، فانسحب الجيش الفاطمي عنها، ودخل تنش دمشق عام ٤٧٢هـ/١٠٧٩م واتخذها مقراً له وأسس فيها دولة سلاجقة الشام^(٢).

وفي نفس الوقت الذي عين فيه السلطان ملكشاه أخاه تنش على الشام، عين سليمان بن قتلمش بن إسرائيل والياً على البلاد التي فتحها السلاجقة في آسيا الصغرى وذلك في عام ٤٧٠هـ/١٠٧٧م، فسيطر سليمان على ولايتي آق سرا وقونيه، ويعد سليمان المؤسس الفعلي لدولة سلاجقة الروم^(٣).

ترك ملكشاه أربعة أولاد من ثلاث نساء، بركيارق وهو الابن الأكبر، ومحمود، ثم محمد وسنجر وهما من أم واحدة. وهؤلاء كلهم رغبوا في الحصول على السلطنة بدفع من عناصر أخرى كانت مقربة إلى ملكشاه، أو ذات صلة نسب به، وأهم هذه

(١) ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ٥٥ وما بعدها.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ١١١. فاروق عمر فوزي، الخلافة العباسية في عصورها المتأخرة، ص ٨١.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ١١١.

العناصر التي لعبت دوراً كبيراً في رسم سياسة هذه الفترة وتحريك أحداثها مجموعة النظامية، أبناء نظام الملك وزير ملكشاه، أو أقرباءه، وأعوانه الكثيرون^(١).

وفضلاً عن أبناء ملكشاه فقد كان هناك أخوته، تكش وتتش وأرسلان وأرغون، وكلُّ بدوره حاول أن يستحوذ على السلطنة، وأن يرى الخطبة تقرأ له في عاصمة الخلافة بغداد بموافقة الخليفة العباسي^(٢).

كما لعبت النساء، وخاصة زوجات ملكشاه، دورهن في حبك المؤامرات السياسية من أجل إيصال أولادهن إلى السلطنة، فعملن على التأثير على قواد الجند وعلى تجميع الأنصار حولهن، وعلى تكوين تحالفات لتحقيق مصالحهن ورسم مستقبل أبنائهن^(٣).

ويمكن تقسيم فترة حكم بركيارق من حيث صراعه في سبيل السلطنة إلى مرحلتين: المرحلة الأولى بركيارق ومحمود بن ملكشاه وتتش وقد امتدت هذه المرحلة من سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م - ٤٩٢هـ/١٠٩٨م، وكانت عناصر الصراع الرئيسية فيها هي بركيارق مؤيداً من النظامية، ومحمود تدبر وتخطط له أمه ترکان خاتون، وتتش عم بركيارق، وصاحب دمشق الذي كان قد أمره عليها أخوه ملكشاه في زمنه^(٤).

(١) ظهير الدين نيشابوري، سلجوق نامه، ص ٢٣٧.

(٢) ظهير الدين نيشابوري، سلجوق نامه، ص ٢٤٠.

(٣) ن، م، ص ٢٤٥.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ٢١٤-٢١٥.

أعلن النظامية بركيارق سلطاناً في أصفهان، بينما كان محمود قد أعلن سلطاناً في بغداد، فتحرّكت ترکان خاتون أم محمود تبغي مجابهة بركيارق في أصفهان، مما أدى إلى انسحاب بركيارق إلى الري^(١).

أما المرحلة الثانية فتبدأ بين بركيارق وأخويه سنجر ومحمد، وكان ذلك سنة ٤٩٠هـ/١٠٩٦م عندما بدأ بركيارق بمحاولة تسليم مقاليد الأمور لسنجر، وقد وضعه على رأس جيش، وعين له أتابكاً ووزيراً، وسيره إلى خراسان لقتال عمه أرسلان أرغون وذلك قبل موته، فلما سمعوا بموته جاء بركيارق إلى خراسان، وحصل الولاء لنفسه فيها، وكذلك في بلاد ما وراء النهر، ثم عاد تاركاً عليها سنجر الذي أحسن منذ البدء القضاء على الثائرين ضده فيها^(٢).

ومات بركيارق سنة ٤٩٨هـ/١١٠٥م، وخلف ابنه الصبي ملكشاه ولياً لعهدده في بغداد في عهدة أتابك له، ولكن السلطان محمد رفض سلطنة الطفل الصغير ذي الأربع سنوات، وتوجه من بلاده إلى بغداد، وحصل على السلطنة والخطبة لنفسه^(٣).

ولقد حكم محمد سلطاناً مدة ثلاث عشرة سنة (٤٩٨/١١٠٥-٥١١/١١١٨) دون أن ينازعه منازع يذكر، أما أخوه سنجر فقد بقي على بلخ في خراسان نائباً عن أخيه في المشرق حاملاً لقب ملك^(٤). ولا نجد في هذا العصر ذلك العدد الكبير من المنافسين

(١) ن،م، ص ٢١٥.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ٢٦٥.

(٣) ن،م، ص ٣٨٠.

(٤) ن،م، ج ١٠، ص ٣٨٠-٣٨١.

ولا حدة في الصراعات، وربما يعود ذلك إلى أن بركيارق كان قد قضى على منافسيه، ولأن فترة بركيارق تعد الفترة الأوضح في محاولة بعض الأمراء الحصول على مصالح وأقطاعات، فساهموا في هذا أو ذاك في النزاعات، أما في زمن محمد، فقد استقر من تمكن من البقاء بعد تلك الصراعات ومن تحقيق رغبته في الحصول على أتابكية، أو منطقة نفوذ في جهة من جهات الدولة، وخاصة في غربيها، يضاف إلى ذلك أن حروب الأخوة قد أنهكت البلاد، وكلفت السكان ضرائب باهظة، وأتلفت مرافق الحياة الاقتصادية من مزارع وأعمال، هذا بالإضافة إلى أن محمداً استطاع أن يوجد مع أخيه سنجر علاقة طيبة بحيث لا يختصمان على الإطلاق، فقد أعطى محمد لسنجر قيمة كبيرة، إذ كان ينقش اسمه على العملة إلى جانب اسمه^(١). وعندما حاول أن يحصل على تشريف تام من الخليفة لدى مطالبته المستظهر بالله أن يجالسه ويخلع عليه بنفسه، فإنه جلب معه أخاه سنجر، وتمتع الإثنان سوياً بتشريف الخلافة^(٢). وهذا كله يشير إلى أن متانة الرابطة بين الأخوين أتت ثمارها بجعل عصر محمد عصرًا هادئاً نسبياً.

وتوفي السلطان محمد في الرابع والعشرين من ذي الحجة سنة ٥١١هـ/١٧١٧م بعد فترة مرض قصيرة، وبعد أن كان قد عين ابنه محموداً ولياً للعهد بعده^(٣).

(١) ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ٣٨٤.

(٢) The Cambridge History of Iran, Vol.5, p.111.

(٣) الراوندي، راحة الصدور، ص ١٤٤. الذهبي، العبر، ج ٢، ص ٣٩٧. النويري، نهاية الأرب، ج ٢٧، النجوم الزاهرة، ج ٥، ص ٢٠٩. تاريخ كزيدة، ص ٤٤٥. وزرات در عهد سلاطين بزرگ سلجوقي، ص ١٩٢. تاريخ أدبيات در ایران، ص ٢٧١-٢٧٢.

وأعلن محمود سلطاناً خلفاً لأبيه عام ٥١١هـ/١١١٧م، ولكن وضعه ووضع البلاد كان قد بدأ بالسوء، ويبدو أن سبب ذلك هو رداءة مستشاريه الذين أساءوا التدبير، فصرفوا الأموال التي كان والده السلطان محمد قد جمعها أو اقتسموها في مدة وجيزة، وأحدثوا أزمة في مالية البلاد، كما إنهم أغروا السلطان الحدث بالانغماس في الملذات، وروجوا للمساوئ الأخلاقية في محيطه^(١). فشجع كل هذا السلطان سنجر على قصد محمود ومحاربته، وخرج محمود عندما سمح بتحريك عمه سنة ٥١٣هـ/١١١٩م، وجرت معركة بين الإثنين قرب الري انهزم فيها محمود، وانتصر سنجر، ولكنه لم ينتقم من ابن أخيه -محمود- بل عينه ولياً لعهد، وأعطاه بعض الهدايا، ثم إنه أمر أن تكون الخطبة لسنجر أولاً في جميع البلاد التابعة له، ومن بعده محمود وأن يتم نفس الشيء في بغداد، وأعاد لمحمود جميع البلاد التي كانت خاضعة له باستثناء الري، التي أراد سنجر أن تكون بيده يراقب منها محموداً لكيلا يخرج عليه^(٢).

إن انتصار سنجر هذا جعله صاحب الكلمة العليا في أراضي الخلافة العباسية حيث ضربت السكة باسمه^(٣)، وأصبح السلطان محمود وبصفة شرعية نائباً عن سنجر في العراق، وباعتراف الخليفة المسترشد^(٤).

ولقد استمرت سلطنة محمود على العراق حتى وفاته سنة ٥٢٥هـ/١١٣٠م، ولكن هذه الفترة لم تخل من صراعات بين الأخوة الثلاثة محمود ومسعود وطغرل، وقد

(١) أمين، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، ص ٩٦-٩٧؛ Klausner. The Seljuk Vezirate, p.38.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص ٢٨٦-٢٨٨.

(٣) بارتولد، تركستان، ص ٤٧١؛ حسنين، دولة السلاجقة، ص ٩٨.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج ٩، ص ٢١٦. أمين، تاريخ العراق، ص ٩٤.

انحصر الآن ميدان تنافسهم في العراق وغربي إيران، بعد أن أصبحت ممتلكات سنجر أصعب من أن يتجرأ عليها أحد أبناء محمد^(١).

استمرت بعد هذا صراعات السلاجقة مع بعضهم وازداد تدخل الخليفة المسترشد في وسطها وظلت هكذا حتى توفي طغرل في سنة ٥٢٩هـ/١١٣٤م، فسارع مسعود ليقبض الفرصة قبل فواتها وغادر على عجل إلى همدان يتبعه عسكره، فوصلها قبل أن يأتى الأمراء على شيء، أو يتمكن منافس من السيطرة على الأمور، فأعلن نفسه سلطاناً على سلاجقة العراق^(٢).

بعد خسارة سنجر في موقعة قطوان في بلاد ما وراء النهر أمام القره خطائين^(*) عام ٥٣٥هـ/١١٤٠م، جمع شتاته ووفد إلى الري عام ٥٤٣هـ/١١٤٨م. والتحق بخدمته السلطان مسعود، وجاء رسل خراسان إليه، وأرسلت إليه الهدايا من غزنه بعد أن جدد سنجر العهد مع مسعود بقي في الري ستة عشر يوماً، وخلع على السلطان مسعود الخلع الثمين، ثم عاد إلى خراسان مرة أخرى، وتوجه

(١) السامرائي، تاريخ الدولة العربية، ص ٢٨٠.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج ١١، ص ٨٩.

(*) أسس الدولة مجموعة من القبائل التركية المسماه بهذا الاسم القادمة من شمال الصين حين استقرت على حدود بلاد ما وراء النهر وأُسست لها دولة هناك سنة ٥١٨هـ/١١٢٤م وجعلت مدينة بلا ساغون عاصمة لها. بارتولد، تركستان، ص ٤٧٣. السامرائي، تاريخ الدولة العربية، ص ٣٠٥.

السلطان مسعود إلى بغداد بعد ثمانية عشر يوماً قضاها في الري، وتوفي مسعود في رجب عام ٥٤٧هـ/١١٥٢م قرب همدان^(١).

بدأ التآكل يسري في أطراف بلاد سنجر الشرقية، ونلاحظ أنه خلال السنتين ٥٤٦هـ/٥٤٧هـ-١١٥١م/١١٥٢م بدأ سنجر يدخل في نزاعات مع الغوريين^(٢) إلى الجنوب الشرقي من ممتلكاته، فقد بدأت قوتهم بالازدياد في السنوات الأخيرة، وتمكنوا من أخذ هراة التابعة للسلطان، ولكنهم بقوا على ولائهم له، ولكنهم لم يكتفوا بذلك بل قام ملكهم علاء الدين الحسين بن الحسن بالإغارة على أعمال أخرى تابعة للسلاجقة كبلخ، فاضطر سنجر إلى التوجه بحملة لمقاتلتهم سنة ٥٤٧هـ/١١٥٢م، وتمكن من الانتصار عليهم وأسر علاء الدين، ولكنه عاد فأطلقه، وأعادته إلى عاصمته فيروزكوه^(٣)، فازداد أمره قوة مما جعله يحتل غزنة أيضاً ويوسع دولته^(٤).

وأخيراً جاءت الضربة القاصمة لسنجر على يدا لقبائل التركية^(٥) الغزية التي كانت هجرت مراعيها في بلاد ما وراء النهر بسبب ضغط (القره خطائين) ونزلت قرب بلخ في خراسان، وحصلت لها هناك مشاكل مع عمال سنجر، فتوجه إليهم بنفسه

(١) الرواندي، راحة الصدور، ص ١٧٤، ٢٤٥؛ ابن الأثير، الكامل، ج ١١، ص ١٤٣؛ البنداري، دولة آل سلجوق، ص ٢٠٦. المستوفي، تاريخ كزیده، ج ١، ص ٤٥٩؛ خواندامير، حبيب السير، ج ٤، مج ٢، ص ١٠٦.

(٢) الغوريين نسبة بلاد الغور هي ولاية بين هراة وغزنة وهي بلاد باره واسعة موحشة لا تتطوي على مدينة مشهورة. انظر السمعاني، الأنساب، ج ٣، ص ٤١٥؛ ياقوت، معجم البلدان، ج ٤.

(٣) فيروزكوه: هي قلعة عظيمة حصينة في جبال غورستان بين هراة وغزنه، انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٨٤.

(٤) ظهير الدين نيشابوري، سلجوق نامه، ص ٣٨٠؛ بارتولد، تركستان، ص ٤٧١.

(٥) Klausner. The Seljuk Vezirate, p.32.

على رأس جيش كبير ضم حوالي مائة ألف، واشتبك معهم في معركة حاسمة تمخضت عن كارثة جديدة بالنسبة لسنجر، فقد تم أسره وأبيد معظم جيشه، ودخل الغز إلى خراسان وعاثوا فساداً في قراها ومدنها، ولم تنج العاصمة مرو ثم نيسابور من أيديهم فعمت الفوضى خراسان. وبقي سنجر أسيراً بأيديهم ثلاث سنوات، تمزقت خلالها خراسان، وفشلت محاولات ابن أخت سنجر الخان محمود بن محمد بن بغراخان، الذي حل محل سنجر، بالتعاون مع خوارزم شاه اتسر لإنقاذ سنجر من أسره، وفي سنة ٥٥١هـ/١١٥٦م تمكن سنجر من الهرب من أسره، ووافاه أجله في العام التالي ٥٥٢هـ/١١٥٧م^(١).

بموت سنجر انتهى حكم السلاجقة لخراسان، فتقاسمتها الأيدي وتصارعت القوى إلى أن تمكن الخوارزميون بعد ازياج نفوذهم من السيطرة عليها^(٢).

وبعد وفاة مسعود بن محمد بن ملكشاه، جلس على العرش ملكشاه بن محمود بن محمد بن ملكشاه، وكان هذا مدمناً على الشراب والصيد، ولا يهتم للأمرء ولشؤون المملكة، وبعد أربعة أشهر من الحكم اعتقله الأمراء، واستدعوا أخاه محمد واجلسوه على العرش في محرم عام ٥٤٨هـ/١١٥٣م^(٣).

أما في الفترة الأخيرة فقد لعب المماليك والأتابكة دوراً هاماً، فلما حل الضعف بالسلاجقة وانقسمت دولتهم إلى عدة فروع أخذ المماليك بخدمة أسيادهم والدفاع عن

(١) ظهير الدين نيشابوري، سلجوق نامه، ص ٣٨١. بارتولد، تركستان، ص ٤٧٩-٤٨١. Klausner, The Seljuk Vezirate, p.32.

(٢) ظهير الدين نيشابوري، سلجوق نامه، ص ٣٨٢. بارتولد، تركستان، ص ٤٩٠.

(٣) الراوندي، راحة الصدور، ص ١٧٤؛ المستوفي، تاريخ كزیده، ج ١، ص ٤٥١-١٥٢.

البلاد، وينوبون عنهم في إدارة الإمارات (الأتابكيات) المخصصة لأمرأء البيت السلجوقي، ثم لم يمض إلا زمن قصير حتى انتقلت مهمة الحكم إليهم، وأصبحوا هم الحكام^(١). فكان أتابك أدربيجان من أسرة إيلدكز القبجاقى مملوك السلطان مسعود من سلاجقة العراق، وأنوستكين جد خوارزم شاه الذى كان الساقى لدى السلطان ملكشاه، وهكذا فى هذه الفترة كانت غالبية الأراضى السلجوقية فى يد هؤلاء القادة البارزين، الذين شكلوا ما عرف بدول الأتابكة فى أواخر العصر السلجوقي^(٢)، ومنهم جان بهلوان بن إيلدكز، فسيطر على دولة سلاجقة العراق، ومن هؤلاء نكش خوارزم شاه فبعد سيطرة خوارزم شاه على خراسان والرى، وفى المعركة التى وقعت قرب الرى قُتل طغرل الثالث السلجوقي، وبقتله انتهت دولة السلاجقة فى إيران والعراق عام ٥٩٠هـ/١١٩٣م^(٣).

(١) Lambton, The Internal Structure of the Saljuk In Cambridge History of Iran, pp.227-228.

(٢) ستانلى لين بول، الدول الإسلامية، ص٣. مرتضائى، الحياة الثقافية، ص٣٣.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص٢٣٢.

الكتاب الثاني

خطط مدينة الري في العصر السلجوقي

١. المدينة
 ٢. الأسواق
 ٣. المساجد
 ٤. المدارس
 ٥. القصور
 ٦. الحدائق
 ٧. الحمامات
 ٨. المقابر والأضرحة
-

يتناول البحث معالم الري وأجزاءها التالية: المدينة، الأسواق، المساجد، المدارس، القصور، الحدائق، الحمامات، المقابر والأضرحة.

المدينة: تكونت الري من قلعة ومدينة داخلية وربض.

وكانت القلعة، ويسمى أهل الري طبرك، تقع على رأس جبيل بالقرب من مدينة الري^(١). وبنيت أسوارها من الآجر^(٢). ومن الممكن أن تكون القلعة قد ضمت قصر السلطنة ودليل ذلك ما قاله كريتر: "في أسفل الرأس الكبير الذي فيه أبراج حجرية نجمية يوجد سور محكم آخر تليه مساحة واسعة، ويشكل قلعة صغيرة من المحتمل أنه كان فيها قصر السلطة وبقية أبنية الدولة"^(٣).

وكان في القلعة حمام في الجانب الغربي منها، أما الجهة الشرقية ففيها حوض ماء. وكانت تحيط بهذه القلعة أسوار على شكل قلاع متداخلة لحماية الأبنية الملكية التي كانت داخل القلعة^(٤). وقد تم تخريب القلعة على يد السلطان طغرل بن أرسلان سنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م والسبب في ذلك أن خوارزم شاه قدم العراق ثم توجه إلى الري واستولى عليها وملك هذه القلعة، ولما قرر العودة إلى خوارزم عين أميراً عليها يعرف باسم ضمغاج وكان معه ألفا فارس، ووضع فيها الأموال والذخائر، وكان طغرل معتقلاً فيها، وعندما خرج جمع حوله العساكر وقصد الري، فهرب منها أميرها واستولى طغرل على كل ما فيها، وقد شبه طغرل القلعة بالحية ذات الرأسين أحدهما في العراق،

(١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص١٦.

(٢) إطلاعات ماهانه شماره ٧٢ اسفندماه ١٣٣٢، ص١١.

(٣) كريتر، سفرنامه، مج ١، ص٣٦.

(٤) جاكسن، سفر نامه، ص٤٣٤.

والآخر بخراسان، وتفتح فمها الواحد إلى هؤلاء فتأكلهم، وفمها الآخر إلى أولئك فتأكلهم^(١)، وعندئذ دمرها طغرل.

ويبدو أن هذه القلعة كانت خارج أسوار المدينة ربما للحصانة وجود مكان مرتفع حتى تشرف القلعة على المدينة، ولم تذكر المصادر من الذي قام ببنائها ولكن موقعها ذو أهمية كبرى؛ لأنه يشرف على المدينة كلها.

أما المدينة الداخلية والتي تسمى الشهرستان^(٢)، فهي المنطقة المحصورة بين سور القلعة والربض، وهي نفسها المدينة التي أمر ببنائها المهدي في خلافة المنصور وجعل لها فصيلاً حوله خندق وبنى فيها مسجداً جامعاً، وكان ذلك على يد عمار بن أبي الخصيب، وكتب اسمه على حائطها وتم عملها ١٥٨/٧٧٤م، وسماها المحمدية، فأهل الري يدعون المدينة الداخلة المدينة، ويسمون الفصيل المدينة الخارجة، وبساتينها واسعة ومثمرة ويوجد فيها حصن (قلعة) معروف باسم الزينبدي^(٣).

وكان في المدينة شارع واحد فقط هو ساربانان^(٤)، وكان لها سور عظيم^(٥)، وتقع فيها القصور والأبنية والبساتين والسكك^(٦).

ولمدينة الري بوابات حديدية من أشهرها دروازة آهنيين، وباب المدينة، ويقع هذا الباب قرب دار الإمارة وجامع المهدي العباسي، وكانوا يدخلون عن طريق هذه البوابة

(١) ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص١٦-١٧.

(٢) متر، آدم، الحضارة الإسلامية، ج٢، ص٢٦٨؛ W. Bartold, Hisrotical Geography of Iran, p.122.

(٣) ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص١٣٣-١٣٤.

(٤) ابن الفقيه، مختصر البلدان، ص٢٢٧.

(٥) أبو دلف، الرسالة الثانية، ص٣١.

(٦) كريمان، ري باستان، مج٢، ص٣٨.

إلى المدينة من سوق ساربانان وشارع سُ^(١). ومن الأبواب باب رأس الروذه وباب عتاب^(٢) وباب الطبرين^(٣). فكانت هذه بوابات شهرستان الري^(٤)، وهذه البوابات تقضي إلى الربض.

والربض في اللغة يعني الأبنية التي تكون حول المدينة^(٥)، والربض في الري خارج أسوار المدينة. وهذا الجزء من الري كان معروفاً بالنشاط التجاري وبنمو الصناعة وخصوصاً بالتحف المعدنية، وقد وجدت فيه الأسواق بكثافة، وذلك لعرض المنتجات الصناعية^(٦) وغيرها.

أما بوابات ربض المدينة فهي بوابة جاروب بندان في الجهة الغربية للري^(٧)، وبوابة حنظلة في الجهة الشرقية للري التي يسكنها أهل السنة^(٨)، وبوابة خراسان ويخرج منها إلى قومس وخراسان^(٩)، وكانت تعرف باسم بوابة هشام^(١٠) نسبة إلى هشام بن عبدالله الرازي الفقيه المتوفى سنة ٢٠١هـ/٨١٦م والمدفون في الري^(١١). وبوابة

(١) عبدالجليل الرازي، النقض، ص ٤٨.

(٢) الأصطخري، المسالك، ص ٢٠٨.

(٣) كريم، ري باستان، ج ١، ص ٢٤٣.

(٤) سيد محمد، ري وطهران، ص ٥١١؛ كريم، ري باستان، مج ١، ص ٢٣٧.

(٥) ابن منظور، لسان العرب، ج ٧، ص ١٥٢.

(٦) عباس قدياني، جغرافياي ري، ص ٤٨. W. Barthold, Historical Geography, p.122.

(٧) عبدالجليل الرازي، النقض، ص ٤٨.

(٨) ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٤٨.

(٩) سيد محمد، ري طهران، ص ٥١١.

(١٠) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٣٢١؛ سرز مينهاي، خلافت شرقي، ص ٢٣٢.

(١١) الاصطخري، المسالك، ص ٢٠٧؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٣٢١.

دولاب وتقع في شمال الري^(١)، (نسبة إلى قرية تعرف باسم الدولاب في منطقة الري)^(٢)، ويخرج منها إلى طبرستان وجرجان^(٣).

وهناك باب كنده - ولم يرد لها ذكر إلا في كتاب النقض-، ويبدو إن المحلة كان يقطنها أهل السنة^(٤). وتقع إمّا في الجهة الشرقية أو الجنوبية الشرقية لمدينة الري، وبوابة كوهكين وتقع في الشمال الشرقي باتجاه طبرستان^(٥).

ويذكر باب مصلحكاه: وكانت المحلة التي يقع فيها هذا الباب من المحال المهمة التي يقطنها الشيعة، وتقع في شمال غرب الري الخارجة بالقرب من سوق بليسان ومحلة رامهران^(٦).

ويبدو أن الربض كان له سور ودليل ذلك البوابات التي ذكرت مع أن المصادر لم تشر إلى ذلك.

وقد يكون الربض محلة، كما هو الحال في ربض حرب (أو محلة الحربية) ببغداد^(٧)، أو عدة محلات كما هو الحال في الري. ومحلات الربض في الري هي الآتية:

-
- (١) مجلة يادكار، سال أول، شماره ٢، ص ١٥.
 - (٢) ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ٥٥١.
 - (٣) الاضطخري، المسالك، ص ٢٠٧.
 - (٤) النقض، ص ٢٩٧، ٤٧٥، ٦٤٩.
 - (٥) الاضطخري، المسالك، ص ١٢٢؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٣٢١.
 - (٦) الراوندي، واحة الصدور، ص ٣٩٥؛ النقض، ص ٩١. انظر ملحق رقم (١).
 - (٧) ياقوت، معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٨.

١. محلة باطان، وتقع هذه المحلة غرب الري: واسمها -كما قيل- مشتق من اللفظ اليوناني لهمدان (اكبتان). وتوجد في هذه المحلة مقابر لسادات الشيعة، وقد ورد في النقض عنها "فيها تربة للسادات أكثر من بقية المناطق مثل باركرسب وساوة واية وياهو وباطان الري..."^(١). ويعني ذلك أن معظم الذين يسكنون هذه المحلة هم من الشيعة، وهذا لا يمنع من وجود جزء منها يسكنه أهل السنة، ودلالة ذلك ما جاء في النقض في هجاء أهل السنة "أهل القمار في دركنده، وقطاع الطرق باطان"^(٢).

٢. محلة بالانكران: هي من المحال التي يسكنها أهل السنة ودلالة ذلك ما يذكره كتاب النقض "... مثل أصحاب القمار في دركنده وساسة بالانكران وأصحاب حمير في ساوة"^(٣). وأهل السنة عادة يسكنون في شرق المدينة والجنوب الشرقي لها^(٤) فإنها ربما تكون شرق المدينة أو في جنوبها الشرقي.

٣. محلة جيلاباد: تقع هذه المحلة في الجهة الشرقية للمدينة وتوجد فيها إيوانات وعقود شاهقة وبرك ومنتزهات^(٥). وإلى جنوب هذه المحلة أراضي زراعية كانت تزرع فيها الأشجار المثمرة مثل الرمان والعنب^(٦).

(١) عبد الجليل الرازي، النقض، ص ٥٧٧.

(٢) ن، م، ص ٤٣٧.

(٣) ن، م، ص ٢٩٧.

(٤) أبو دلف، سفرنامه، ص ١٩، ٣٣.

(٥) ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٣٣.

(٦) أبو دلف، سفرنامه، ص ٣٠.

٤. محلة جاروب بندان: تقع في القسم الجنوبي الغربي للمدينة وتتصل بصحراء

شهریار، وقد سميت كذلك لأنها كانت تشتهر بصناعة الجواريب، واستدل على

ذلك من اسمها^(١). وكانت مركز علم ودلالة ذلك مدرسة الخواجه أمام رشيد

الرازي التي كان يدرس فيها أكثر من ٢٠٠ طالب في علوم الدين: الأصول

والفقه وعلم الشريعة وكانوا علماء عصرهم^(٢).

٥. محلة رويان: وتقع بالقرب من جيلاباد أي في الجهة الشرقية للمدينة، وكان

يسكنها الغرباء والأجانب الذين يأتون إلى مدينة الري فينزلون فيها أولاً وبعد

ذلك يختارون منازلهم^(٣).

٦. محلة زعفران جاي: وتقع في المسافة المحصورة بين حضرة عبدالعظيم والإمام

عبدالله. والمتعارف عليه أن مراسم العزاء تقام غالباً قرب الأماكن المقدسة،

وهي من الأماكن التي كانت الشيعة تقيم فيها مراسم العزاء، وجاء في كتاب

النقض "... في مجلس عزاء شهاب المشاط، وكان الناس يمزقون ملابسهم،

ويمرغون أنفسهم بالتراب ويكشفون رؤوسهم"^(٤).

(١) عبدالجليل الرازي، النقض، ص ٤٨.

(٢) ن،م، ص ٥٠.

(٣) كتاب حاضر، ص ١٩٢، النقض، ص ٥٧٠.

(٤) عبدالجليل الرازي، النقض، ص ٤٠٦.

٧. محلة ساربانان: وبقول ياقوت "وهي محلة بالري"^(١) وتقع بالقرب من برج طغرل وكانت تمتد من الشرق إلى حدود آباد^(٢). هذه المحلة من الأماكن السنية وتتنزل فيها قوافل التجار ويمر فيها نهر جيلاني وقناة شاهي.
٨. محلة كوي فيروزه^(٣): تقع هذه المحلة في النصف الغربي الجنوبي لمدينة الري، وقد بنيت فيها مدرسة في عهد السلاطين السلاجقة تعود إلى الشيعة^(٤).
٩. محلة مهدي آباد: أمر ببناء هذه المحلة المهدي العباسي، فعندما حفرُوا الأرض ووجدوا آثار منازل دمرها السيل، أمر المهدي باحضار أصحابها، وخيرهم بين استلام التعويض عنها أو استلام مسكن آخر، فبعضهم اختار استلام التعويض، والبعض الآخر أثر المساكن، فبنى لهم محله عرفت باسم مهدي آباد^(٥).
١٠. محلة ناهك أو ناهق: تخفيف لفظة نودهك مأخوذة من اسم دهك من قرى الري، وكانت سوقها من أسواق الري المشهورة وجاء عند الاصطخري "من أسواقها (الري) المشهورة: روزه، وبليسان، ودهك ونصر آباد..."^(٦). وهذه المحلة من محال السنة^(٧)، أي أنها تقع إما في الجهة الشرقية أو الجنوبية الشرقية للمدينة. وهكذا فإن محلات ريبض المدينة كانت موزعة بين السنة والشيعة.

(١) ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٢٠٥.

(٢) كريماني، ري باستان، ج١، ص١٩٩.

(٣) سيد محمد، ري وطهران، ص٤٠٨.

(٤) عبد الجليل الرازي، النقض، ص٤٩.

(٥) ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٤٣١.

(٦) الاصطخري، المسالك، ص٢٠٧.

(٧) عبد الجليل الرازي، النقض، ص٦٢٩. انظر ملحق رقم (١)، خريطة (٢).

وكان ربض الري بكل محلاته مكتظاً بالسكان والأسواق والأعمال التجارية والورش الصناعية^(١).

الأسواق

كانت أسواق الري واسعة ويستدل على ذلك مما أورده المقدسي: "الري فسيح الأسواق"^(٢).

وتقع جميع الأسواق في ربض المدينة "فالمدينة الخارجة عامرة، والأسواق والعمارات بالربض"^(٣). وكانت أغلب الأسواق مكشوفة وبلا سقف يقول المقدسي "أغلب الأسواق مشجرة وفيها شوارع عريضة"^(٤).

ومن أشهر الأسواق:

١. سوق باب الجبل: وهذا الاسم هو الترجمة العربية لباب كوهك الذي يخرج فيه المسافرين من الري باتجاه طبرستان، ويقع هذا السوق في الشمال الشرقي لمدينة الري^(٥). وكان هذا السوق مركزاً لبيع الخزف والخضروات^(١).

(١) المستوفي، نزهة القلوب، ص ٢١٨.

(٢) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٣٩٠.

(٣) ن، م، ص ٣٩١.

(٤) ن، م، ص ٣٨٨.

(٥) لسترنج، بلدان الخلافة، ص ٢٣٢.

٢. سوق باب سين: يقع جنوب الري ويستخدم أحياناً محل انطلاق يتوجه المسافرون منه إلى قم وأصفهان وشيراز^(٢). ولذلك فمن المرجح أن التجار كانوا يفدون إليه من تلك المناطق لشراء البضائع وخاصة أن أصفهان كانت تستورد الرمان من الري^(٣).

٣. جهاز سوق أوجهار بازار [الأسواق الأربعة]: ربما يقع هذا السوق في وسط المدينة، ويستدل على ذلك مما وقع في سنة ٥٩٠هـ/١١٩٣م عندما كان الوزير معين الدين مع السلطان طغرل فقتل في المعركة، وأرسل رأسه إلى بغداد، وعلقوا جثته لمدة ثلاثة أيام في الأسواق الأربعة^(٤). ومن ذلك نستنتج أن لهذه السوق أهمية كبيرة، وأنها تتمتع بموقع استراتيجي يمر فيه معظم الناس، ويأتيه معظم التجار. وكانت هذه السوق مركزاً لعرض مختلف البضائع والصناعات التي تصنع داخل الري أو خارجها، فكانت تعرض فيها التحف المعدنية والخزفية والخشبية^(٥).

٤. سوق روذة: في محلة روذة، وفي الجهة الشمالية منها يقع سوق طويل عرف باسم روذه، وكان هذا السوق يقع في الري الخارجة (ربض)، وكان قسمه الأعلى يسمى سر روذه أو رأس الروذه، أما وسطه فيسمى قطب روذة في حين سُمي أسفله أسفل

(١) ويلسن، صنایع ایران، ص ٣٠.

(٢) الاضطخري، المسالك، ص ١٢٢؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٣٢١.

(٣) ويلسن، صنایع ایران، ص ٣٨.

(٤) ابن اسفنديار، تاريخ طبرستان، ق ٣، ص ١٥٨؛ کرمانی، نسائم الأسفار، ص ٩٢.

(٥) ويلسن، صنایع ایران، ص ٦٨.

الروضة^(١)، وتكثر فيه مختلف البضائع والتجارات، بالإضافة إلى الخانات التي كانت منزلاً للتجار وقوافلهم، ويوجد فيها شارع عريض مليء بالخانات والأبنية^(٢) والمسكن^(٣).

٥. سوق ساربانان: نسبة إلى النهر الموجود في مدينة الري، وكان حوله أشجار ملتفة متصلة، وفيما بينها سوق^(٤) كان مركزاً لبيع الفواكه التي كانت تزرع بالقرب من نهريها ومن أشهرها العنب، والرمان، والتين، والسفرجل^(٥). ويعتبر هذا السوق من أكبر الأسواق؛ لأنه كانت تتم فيه أغلب معاملات البيع والشراء والتجارة في عهد السلطان طغرل بك^(٦).

ويبدو من بعض الإشارات أن جميع الأسواق كانت أسواقاً دائمة، بالرغم من عدم إشارة المصادر إلى أنها أسواق دائمة أو موسمية. ويلمس مدى اتساع وازدهار حركة البيع والشراء في أسواق مدينة الري من تقدير قيمة التعامل في سوق ساربانان بثلاثين ألف دينار في اليوم الواحد^(٧).

وكانت الدكاكين والمخازن تنتشر في الأسواق، وقد بلغت ضخامة أسواق الري أن حوى أحدها خمسمائة دكان تقريباً^(٨). وقد خدمت هذه الأسواق بما فيها من بضائع

(١) ياقوت، معجم البلدان، ج ٣، ص ٩٠.

(٢) الاصلطخري، مسالك، ص ١٢٢، انظر: ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٣٢١. ظهير الدين النيشابوري، سلجوق نامه، ص ١٣٠.

(٣) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٣٢١.

(٤) ياقوت، معجم البلدان، ج ٣، ص ٦٧. الطوسي، عجائب نامه، ص ١٣٥.

(٥) جاكسن، سفرنامه، ص ٤٣٧.

(٦) سيد محمد، ري وطهران، ص ٥١٢. انظر ملحق رقم (١)، خريطة (٢).

(٧) ن، م، ص ٥١٣.

(٨) المستوفي، نزهة القلوب، ص ١٣١.

مختلفة- جميع سكان بلاد الجبال، فكان التجار يرتادونها لتبادل البضائع والعودة إلى بلدانهم^(١).

وقد قامت في هذه الأسواق المهن التجارية التي لها صلة مباشرة بالبيع والشراء أهمها التخصص ببيع مادة معينة من السلع، أو تقديم خدمة واحدة للناس مثل بيع الأكسية والثياب وكان يسمى القائم بهذا العمل بالكسائي مثل محمد بن عبدالله الكسائي (ت ٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م)^(٢).

كما أن هناك من اتخذ بيع الكتب والاتجار بها مهنة له فصار يدعى بالوراق^(٣) ومن أشهر وراقي الري محمد بن عبدالله الرازي (ت ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م)^(٤)، وعبدالله بن بكر الرازي البغدادي (ت ٥٢٠هـ/ ١٢٢٦م)^(٥). وهناك تجار اقتصرت مهنتهم على بيع الذهب^(٦).

ومن المهن التي عرفت في أسواق الري مهنة العطارة، وهي بيع الطيب والعطور^(٧). وهناك سوق للإسكافية اتخذ فيه الأساكفة أماكنهم في دكاكينه وأرضياته، وامتهن بعض الرازيين بيع الصرم، وهو الذي تتعل به الخفاف، وسمي من يقوم ببيع الصرم "الصرام" كأبي الحسين عبدالله بن محمد الصرام الرازي^(٨).

(١) أبو دلف، سفرنامه، ص ٣١٦.

(٢) كريمان، ري باستان، ص ٣٧٠.

(٣) جرفاذقانيان أعيان بزرك الري، ص ١٢٣.

(٤) ن، م، ص ١٢٤.

(٥) ن، م، ص ١٨٦.

(٦) ظهير الدين نيشابوري، سلجوق نامه، ص ٣٨.

(٧) عباس برويز، تاريخ اجتماعي ايران، ص ٤٥.

(٨) ويلسن، صنايع ايران، ص ٨٦.

وهناك مهن خاصة ببيع الأطعمة، كبيع الفواكه المجففة^(١)، وبيع الحلوى^(٢)، وبيع الأطعمة المطبوخة^(٣)، كالشواء^(٤).

وساعدت المهن التجارية المتصلة بالبيع والشراء على إيجاد مهن أخرى كانت مهمتها تقديم الخدمات الخاصة بالأسواق، والتي أهمها الصيرفة وهي الاشتغال ببيع ووزن العملات والمعادن (النقدية) من الذهب والفضة، وكان الصيارفة يشتغلون بالتسليف والإقراض، ويتوسطون بين الناس و"دار الضرب" ويقبلون الودائع بالإضافة إلى صرف النقود^(٥). ويقال لمن يمتحن هذا العمل الصراف كأبي محمد عبدالله بن أبي بكر الرازي (ت ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م)^(٦). ومحمود بن حسين الرازي (ت ٤٩٠هـ/ ١٠٩٦م)^(٧). وبكر بن حمدان غالب الصيرفي الرازي (ت ٥١٥هـ/ ١١٢١م)^(٨). ونظراً لأهمية هذه الخدمة في إسناد حركة البيع والشراء، قام سوق كبير خاص بها يسمى سوق الصيارفة^(٩).

ومن مهن الخدمات التجارية التي ظهرت في أسواق الري، توزيع البضائع كي يعرف التاجر مقدار البضاعة التي سيشتريها، وهذا النوع من المهن مرتبط بالتجار

-
- (١) ويلسن، صنايع إيران ص ٦٧.
 - (٢) ميرخواند، روضة الصفا، ص ٨٩.
 - (٣) ظهير الدين نيشابوري، سلجوق نامه، ص ٩١.
 - (٤) ن، م، ص ٩١.
 - (٥) الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص ١٦٥، ١٦٧؛ محمد جراد مشكور، تاريخ اقتصادي إيران، ص ١٣٠.
 - (٦) جرفانقاني، أعيان بزرك الري، ص ٤٩.
 - (٧) ظهير الدين نيشابوري، سلجوق نامه، ص ٤٥.
 - (٨) طوسي، عجائب نامه، ص ٣٩.
 - (٩) عبدالجليل رازي، النقض، ص ١٣٠.

وليس بعامة الناس لأن الوزانين والقبانين يزنون البضائع الكثيرة ذات الأحجام الضخمة، ولهم دكاكين خاصة، تتوفر فيها الموازين والقبانات الكبيرة التي تتحمل الأوزان الثقيلة^(١)، وممن اشتهر بهذه المهنة، أبو حسن حسين بن عبدالله الوزان الرازي (ت ٥٨٠هـ / ١١٨٤م)^(٢).

في بناء الأسواق ركزت القباب والأسقف على مجموعة كبيرة من الأقواس والطاقات البسيطة المدومة الزخارف والنقوش، وحتى أسقف الدكاكين كانت على شكل قنب صغيرة. ويبدو أن وراء اتباع نظام القنب هذا، كان لتوفير بعض البرودة في تلك المنطقة الحارة صيفاً، وإيجاد قدر من الدفء في فصل الشتاء القارس، ويطلق السكان المحليون (اسم بازار) على السوق في الري^(٣).

وتعتقد الباحثة أن هذا الطراز من العمارة ظهر بعد النصف الأول من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، حيث كانت المواد المستعملة في البناء إلى ذلك الوقت الأخشاب والطين^(٤).

تقع الشوارع الرئيسية لمدينة الري في الأسواق التي كانت تربط نقاط المدينة العامرة، وأغلبها تقع مقابل بوابات المدينة، ووردت أسماؤها في المصادر بأسماء الأسواق والبوابات. وهناك اسم شارع كبير ليس على اسم بوابة أو سوق وهو شارع السر ويقول فيه ابن كوبويه:

(١) محمد جواد مشكور، تاريخ اقتصادي إيران، ص ١٣٨.

(٢) جرفاذقاني، أعيان بزرگ الري، ص ١٢٥.

(٣) زكي محمد حسن، الفنون الإيرانية، ص ١٣٠.

(٤) ظهير الدين نيشابوري، سلجوق نامه، ص ١٢٨.

وشارع السرّ يمناه ويسرته محففان بأنهار وأغصان^(١)

ويبدو من هذا البيت أن هذا الشارع كان على جانبيه ماء وأشجار، ويرافق اسم سر اسم السربان "أحسن الأرض مخلوقة الري ولها السر والسربان"^(٢). ولا يمكن أن يأتي اسم السر والسربان مصادفة، ومن المتعارف عليه أن الشوارع إذ تكون متجاورة تأتي أسماؤها متتالية^(٣).

ورغم أن جميع الشوارع الرئيسة كانت أسواقاً أيضاً، إلا أن السر لم يذكر على أنه سوق، مع العلم أنه يقع في ربض المدينة، ومحل الأسواق ومركز العرض والطلب، كما أن شارع السر لم يكن يقع في شهرستان؛ لأن ابن كربويه ذكر شارعاً واحداً فقط لشهرستان (في ذكر شوارع الري)^(٤):

أنتى لها كجنان في شوارعها يطفحن في كل بستان وميدان
أو كالمدينة شطّاها وشارعها من المصلّى إلى صحراء أزوان
إن هذا الشارع كان شارع السربان، وعلى هذا فإن شارع سر كان يقع في ربض المدينة والسربان يقع في شهرستان الري.

هذه الشوارع ظلت حتى في عهد السلاجقة ودلالة ما ذكرته المصادر التي تحدثت عن هذه الفترة^(١).

-
- (١) ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص ٢٧٣؛ ظهير الدين النيشابوري، سلجوق نامه، ص ١٣٨.
(٢) ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص ٢٧٣؛ الطوسي، عجائب نامه، ص ١٦٠؛ ياقوت، معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٣١.
(٣) ظهير الدين النيشابوري، سلجوق نامه، ص ١٣٩؛ ياقوت، معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٣١.
(٤) ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص ٢٧٢؛ ظهير الدين النيشابوري، سلجوق نامه، ص ١٣٩.

المساجد والجوامع

مارست المساجد والجوامع دوراً فاعلاً في تنشيط الحركة العلمية، وقدمت خدمات كبيرة في نشر العلوم الإسلامية واللغة العربية في الري قبل نشوء المدارس وبعدها، واحتفظت بأهميتها التعليمية رغم نشوء المدارس فيما بعد في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، كما ساهمت بشكل فاعل وكبير في تطوير العلوم الدينية والمعارف العلمية. وكانت بؤرة استقطاب علمي، حيث تعقد مجالس العلم المتنوعة مثل مجالس النظر، والإملاء، والتحديث، والوعظ والتذكير، كما كانت تقام فيها خطبة الجمعة وخطبة العيدين^(١). وبالإضافة إلى ذلك الدور الكبير، كان القضاء يمارسون عملهم في بعض شؤون القضاء في المساجد كأبي محمد بن الحسن بن محمد الرازي لمتوفى سنة (٤٥٠هـ/١٠٥٨م) الذي جلس قاضياً في جامع طغرل^(٢).

وعند الحديث عن المساجد والجوامع لا بد من التفريق بينهما فالمساجد الجامعة تقام فيها الصلوات المفروضة بشكل عام، لأعداد كبيرة من الناس في الجمع والعيدين والمناسبات الهامة ذات المساس بحياة المسلمين، مثل: انحباس المطر، والقحط، وكسوف الشمس وخسوف القمر، وأما المساجد فمكائنها الطبيعي في الأحياء والمحلات، وتقام فيها الصلوات الخمس المفروضة، (وهذه الصلوات يمكن تأديتها في المنازل)^(٣).

(١) Lambton, MASDID, The Encyclopedia of Islam, Vol. 6, p.645

(٢) عبد الجليل الرازي، النقض، ص ١٣٠.

(٣) عبد الحميد سعد، الحياة الدينية، ص ٣٣.

كانت الري إحدى المدن الإسلامية التي أُقيم فيها عدد كبير من المساجد، وهذا ما جاء في نزهة القلوب "قام أمير المؤمنين المهدي بالله بإحياء عمارتها وصارت مدينة عظيمة، مثلما يقال فيها ثلاثين ألف مسجد وألفين وسبعة وخمسين منارة"^(١). ويذكر صاحب "هفت إقليم" الذي كان من أهل الري "... كان في الري ٩٦ حياً، في كل حي ٤٦ زقاقاً،... وفي كل زقاق ألف مسجد"^(٢)، وهذا أمر مبالغ فيه.

وكان أول مسجد في الري من بناء قرظة بن كعب الأنصاري وجاء في فتوح البلدان للبلاذري "آخر من فتحها قرظة بن كعب الأنصاري في ولاية أبي موسى الكوفة لعثمان بن عفان، فاستقامت، وكان عمالها ينزلون حصن الزينبدي، ويقيمون في مسجد اتخذ بحضرته وقد دخل ذلك في فصل المحدثات"^(٣)، ومن الجوامع والمساجد في الري:

١. جامع المهدي أو الجامع العتيق: أكبر جامع في الري بناه المهدي وهو أمير، وكان يطلق عليه أحياناً باسم الجامع العتيق نسبة إلى بابه، ولأنه أقدم من بقية الجوامع. وذكر ابن الفقيه الهمداني "... وبني مسجدها المهدي في خلافة المنصور، وبني مدينتها أيضاً وخندق حولها، وجرى ذلك على يدي عمار بن أبي الخصيب، وكتب اسمه على حائط جامعها، فأتى بناءها سنة (١٥٨هـ/٧٧٤م)^(٤). ويقع هذا الجامع على طرف المدينة جنوب قلعة (طبرك) في (شارستان) أو المحمدية في شرق

(١) نزهة القلوب، المقالة الثالثة، ص ٥٣.

(٢) الرازي، هفت إقليم، ج ٣، ص ٣. نقلاً عن حسين كريماني، ري باستان، ج ١، ص ١٠٧، مرتضائي، الحياة الثقافية، ص ٤٧.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣١٩. مؤلف مجهول، تاريخ سيستان، ص ٧٧.

(٤) ابن الفقيه الهمداني، مختصر البلدان، ص ٢٦٩.

الري القديمة^(١). وكان مركزاً لأصحاب الحسين بن محمد البخار^(٢) الذين كانوا من المعتزلة من أهل الكلام^(٣). وكان قائماً في العصر السلجوقي^(٤).

٢. مسجد حنظلة: بني هذا المسجد في شرق الري في منطقة الشوافع. وقد أشار ياقوت الحموي إلى هذا المسجد: "... قال أبو الفضل بن ظاهر درب حنظلة بالري، ينسب إليه أبو حاتم محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي وابنه عبدالرحمن بن أبي حاتم، وداره ومسجده في هذا الدرب رأيتُه ودخلته..."^(٥). وكان هذا المسجد من أهم المساجد التي نالت اهتمام من قبل نظام الملك^(٦).

٣. جامع روضة: بني في محلة روضة التي كانت من أهم المراكز التجارية في الري، كما قال ابن حوقل "... وأعظم المحلات الروضة وبها معظم التجارات والخانات"^(٧). وبناء هذا المسجد في إحدى المراكز الاقتصادية يدل على أهميته، وكان يصلى فيه أصحاب المذهب الأشعري^(٨). وكان يصلى فيه السلطان ألب أرسلان كل جمعة^(٩).

-
- (١) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٣٩١. النقض، ص ٥٩٨.
 (٢) عبد الجليل الرازي، النقض، ص ٥٩٨.
 (٣) الشهرستاني، الملل والنحل، ج ٢، ص ١٠٠، تبصرة العوام، ص ٩١.
 (٤) عبد الجليل الرازي، النقض، ص ٥٩٩.
 (٥) ياقوت، معجم البلدان، ج ٣، ص ١٣٧.
 (٦) ظهير الدين النيشابوري، سلجوق نامه، ص ١٩٠.
 (٧) الاضطخري، مسالك الممالك، ص ١٢٢؛ ابن حوقل، صورة الأرض. وانظر مرتضائي، الحياة الثقافية، ص ٤٦.
 (٨) عبد الجليل الرازي، النقض، ص ٥٩٨.
 (٩) عبد الجليل الرازي، النقض، ص ٤٩٨.

٤. مسجد الشجرة: يقصد به مقام السيد عبدالعظيم الحسيني الذي كان مندوباً من قبل الإمام علي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي أبي طالب، المشهور بالهادي الإمام العاشر عند الإمامية (الإثنا عشرية)، وقد توفي في مدينة الري سنة ٢٥٠هـ/٨٦٤م، وذكره صاحب عمدة الأنساب بقوله: "... عبدالعظيم السيد الزاهد المدفون بمسجد الشجرة بالري..."^(١). هذا المسجد بني في سكة الموالي في جنوب غرب الري. وهو وقف عبدالجبار بن عبدالوهاب في القرن الثالث الهجري. وفي عهد البويهيين أصبح لهذا المسجد مكانة رفيعة، وفي عهد السلاجقة قام الوزير مجد الملك القمي بتجديده في عهد السلطان بركياروق، وهذا المسجد لا يزال موجوداً^(٢).

٥. جامع طغرل: بنى طغرل بك سلطان السلاجقة في مدينة الري المسجد الجامع للحنفية شرق قصر الولاية في القسم الذي يسكنه الحنفية. وجاء في النقض "مسجد طغرل للحنفيين"^(٣). وكان هذا الجامع واسعاً وكان يستمع المواعظ فيه عشرون ألف شخص^(٤). جاء في لب التواريخ، "كان طغرل يبني لنفسه منزلاً في أي وقت يشاء، بنى أولاً مسجداً ثم شرع بالعمارة"^(٥).

(١) جمال الدين الداودي، عمدة الأنساب، ص ١٠٧.

(٢) عباس القمي، مفاتيح الجنان، ص ٥٤، مرتضائي، الحياة الثقافية، ص ٤٧.

(٣) عبدالجليل الرازي، النقض، ص ٥٩٨.

(٤) ن، م، ص ٤٠٥.

(٥) لب التواريخ، ص ١٠٥.

٦. مسجد عبدالرحمن النيسابوري: ينسب هذا المسجد إلى الشيخ المفيد أبي محمد النيسابوري الذي كان يدرس هناك. ويمكن أن يحدد بناء هذا المسجد حوالي سنة ٤٧٦هـ/١٠٨٣م في عهد ملكشاه السلجوقي وقد قام بالتدريس فيه الشيخ النيسابوري، كما أشار النقض: "... حدث الشيخ المفيد أبو محمد عبدالرحمن بن أحمد النيسابوري رحمه الله كان يحدثنا في الري في مسجده سنة ست وسبعين وأربعمائة" (١).

٧. مسجد الغري: بنى هذا المسجد في شمال غرب الري في عهد السلاجقة وكان من أحد المراكز التعليمية في مدينة الري، أشار إليه صاحب بشارة المصطفى (ت ٥٣٠هـ/١١٣٦م) وقال: "أخبرنا الشيخ الفقيه أبو النجم محمد بن عبدالوهاب بن عيسى الرازي بالري في درب زامهران بمسجد الغري، وكان ذلك في صفر سنة عشرة وخمسمائة..." (٢). وهذا يدل على أهمية هذا المسجد التعليمية في عهد السلطان ملكشاه السلجوقي، وكان في حي يسكنه الشيعة.

٨. جامع القائد ساوتكين أو الجامع الجديد: بناء القائد ساوتكين قطب الدين عماد الدولة، كان من أمراء ألب أرسلان، ولقبه ملكشاه بعد جلوسه على العرش بلقب عماد الدولة وأعطاه إدارة فارس وكرمان وإمارة الحج (٣). وكان الهدف من بنائه أن يكون لأصحاب الحديث مسجد جمعة، ولم تذكر المصادر سنة بنائه (٤).

(١) عبدالجليل الرازي، النقض، ص ٥٢٩.

(٢) الطبري، بشارة المصطفى، ص ٩٦، ١٠٣. مرتضائي، الحياة الثقافية، ص ٤٧.

(٣) الطبري، بشارة المصطفى، ص ٥٩٨. البنداري، تواريخ آل سلجوق، ص ٤٨. سبط ابن الجوزي،

مرآة الزمان، ص ٢٢٤. حسين كريمان، ري باستان، ج ١، ص ٣٢٧.

(٤) البنداري، تواريخ آل سلجوق، ص ٥٩٩.

المدارس

مع تطور العلوم في العالم الإسلامي، وإقبال الناس على حلقات العلم، لا بد من البحث عن مركز تعليمي يخصص للتعليم إلى جنب المسجد، فالمسجد، قام بدور هام في الحياة العلمية، إلا أنه كان مركزاً دينياً شاملاً، ثم الحوار والمناظرات والتدريس كلها أمور كانت قد تؤثر على المصلين، وتتدخل بجو الهدوء الذي يفترض أن يسود في المساجد^(١).

ويذكر المقرئ بأن المدارس كانت من الأمور المستحدثة في الإسلام، وأنها لم تكن تعرف زمن الصحابة أو التابعين، وإنما حدث ذلك بعد القرن الرابع الهجري، وأن أول مدرسة كانت قد بنيت في نيسابور وهي المدرسة البيهقية. ثم بنى الغزنويون بعض المدارس في دولتهم^(٢).

أما التطور الهام في المدارس وانتشارها في الإسلام، فيرجع إلى الوزير السلجوقي نظام الملك (ت ٤٨٥هـ/١٠٩٢م) الذي ينسب إليه أول نمط من المدارس الحكومية التي ظهرت في الإسلام وانتشرت بشكل كبير، بحيث وجدت في بعض المدن في أرض الخلافة العباسية باستثناء مدينة الري، ولم يعرف سبب عدم نشوء مدرسة نظامية فيها، مع أنها مقر حكم السلاجقة، وقد سميت هذه المدارس بالمدارس النظامية نسبة إلى مؤسسها نظام الملك، لتؤدي إلى جانب غرضها التعليمي وظيفة ثانية متمثلة

(١) FORBES, W., MADRASA, The Encyclopedia of Islam, Vol.5, p.1123.

(٢) المقرئ، كتاب المواعظ والاعتبار، ج ٣، ص ٣١٤؛

FORBES, W., MADRASA, The Encyclopedia of Islam, Vol.5, p.1129.

في محاربة الدعوة الاسماعيلية وإعداد موظفين أكفاء، وقد زودت هذه المدارس بما تحتاجه من المدرسين والكتب وحددت لها الأوقاف التي تكفي للإنفاق عليها^(١).

أمّا تخطيط المدارس فقوامه صحن مكشوف تطل عليه قاعات ذات قباب ويكون لكل منها إيوان وسط كل وجهة من الجهات الأربع التي تشرف على الصحن، وتحف بالأواوين قاعات، وكانت المدارس تتكون من طابقين: طابق يدرس فيه الطلبة، وطابق يسكنه الأساتذة والطلبة^(٢).

وكان في الري مدارس عديدة، ولا يوجد اليوم دليل على مكانها، وقد وردت أسماء بعضها في المصادر، ومنها:

١. مدرسة السيد تاج الدين محمد كتيبي الكبيرة في محلة "كلاه دوزان"، والتي كان سكانها من الشيعة. بنيت المدرسة في عهد طغرل بك ٤٢٩هـ/١٠٣٧م - ٤٥٥هـ/١٠٦٣م. عندما اتخذ الري عاصمة له. وأشار صاحب النقض إلى أن مجالس الوعظ في المدرسة كانت تعقد مرتين في الأسبوع كما أشار إلى تدريس العلوم الشرعية، وإلى مجالس المناظرة وإقامة صلاة الجمعة، وقراءة القرآن الكريم إضافة إلى وجود السكن للطلاب والفقهاء والزهاد، والسادات والغرباء^(٣).
٢. مدرسة شمس الإسلام حسكابابويه (الشيخ حسن بن حسين بن حسن بن بابويه القمي الرازي). شيدت في عهد السلطان ملكشاه (٤٦٥هـ-٤٨٥هـ/١٠٧٢م-١٠٩٢م)

(١) عبدالله العمري، تاريخ العلم، ص ٢٤؛ FORBES, MADRASA, The Encyclopedia of Islam, Vol.5, p.1123.

(٢) عمر رضا كحالة، الفنون الجميلة، ص ٤٩؛ أبو صالح الألفي، الفن الإسلامي، ص ٢١٠؛ FORBES, MADRASA, The Encyclopedia of Islam, Vol.5, p.1121.

(٣) النقض، ص ٣٥. مرتضائي، الحياة الثقافية، ص ٤٩.

في شمال الري قرب قصور السلاطين السلاجقة على نهر سورين. كانت هذه المدرسة من أهم مدارس الشيعة في عهد ملكشاه السلجوقي، وكان فيها تعليم القرآن الكريم، وإقامة صلاة الجماعة ومجالس الوعظ. وكانت مركزاً للفقهاء والفتوى وتدرّس الفقه^(١).

٣. مدرسة علي جاستي الفقيه، بنيت في عهد ملكشاه السلجوقي (٤٦٥هـ - ٤٨٥هـ/١٠٧٢م - ١٠٩٢م) على يد خواجه مبرك في جنوب الري في منطقة حي أصفهان، وكانت تقام فيها مجالس الوعظ وصلاة الجماعة وقراءة القرآن^(٢)، إضافة للتدريس.

٤. مدرسة السيد زاهد أبو الفتوح، في محلة بوابة اهنين من أبنية عهد ملكشاه^(٣) (٤٦٥هـ - ٤٨٥هـ/١٠٧٢م - ١٠٩٢م).

٥. مدرسة الخواجه عبدالجبار مفيد، في منطقة باب الحديد (دروازه آهنين)، وكانت مدرسة للشيعة بنيت في عهد ملكشاه (٤٦٥هـ - ٤٨٥هـ/١٠٧٢م - ١٠٩٢م) وأوائل عهد ابنه بركيارق (٤٨٥هـ - ٤٩٨هـ/١٠٩٢م - ١١٠٤م)، على يد السيد شرف الدين المرتضى نقيب الري^(٤). كانت هذه المدرسة مركزاً للوافدين فقد كان فيها أربعمائة من الطلاب من مختلف بقاع العالم الإسلامي، قصدوا هذه المدرسة لطلب

(١) عبدالجليل الرازي، النقض، ص ٣٥، كريم، طبرسي، ص ٢٩٣.

(٢) عبدالجليل الرازي، النقض، ص ٣٥.

(٣) ن، ص ٣٥. مجالس المؤمنين، ج ١، ص ٩٣، خوانساري، روضات الجنان، ج ٢، ص ٣٠٧.

(٤) نور الله شوشتری، مجالس المؤمنين، ج ١، ص ٩٣. مرتضائي، الحياة الثقافية، ص ٥٠.

العلم، كما ذكر صاحب النقض بقوله، "مدرسة خواجه عبدالجبار مفيد التي يدرس فيها أربعمائة بين الفقيه والمتكلم والمتعلم من أقطار العالم الإسلامي"^(١).

٦. مدرسة الشيخ حيدر مكي: بنيت هذه المدرسة في عهد السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي (٤٩٨-٥١١هـ/١١٠٤-١١١٧م) في حي مصلحكاه للشيعية في شمال غرب الري^(٢).

٧. مدرسة خواجه شرف مرادي: أشار إليها ابن اسفنديار بقوله: "مولاي شرف مرادي هو الذي شيد في الري "مدرسة الخانقاه والزاوية"^(٣).

٨. مدرسة السلطان محمد السلجوقي: بنيت هذه المدرسة في عهد السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي (ت سنة ٥١١-٤٩٨هـ/١١٠٤-١١١٧م) لأهل السنة والجماعة، وذكرها صاحب شد الإزار "في ترجمة الإمام شمس الدين النعماني وقال: "روى ابن القتاد في سيرته أن جده الإمام شمس الدين محمد النعماني كان يدرس في مدرسة السلطان محمد شاه ببلدة الري مدة مديدة، فلما توفي السلطان واختلف الناس رجع إلى بغداد..."^(٤). ويعتقد أن المقصود بالسلطان محمد شاه هو محمد بن ملكشاه السلجوقي؛ لأن خلافاً برز في الري بعد موت السلطان^(١).

٩. مدرسة محمد بن قطب الدين الراوندي: شيدت هذه المدرسة في شمال غربي الري في حي مصلحكاه أحد مناطق الشيعة، ولم تشر المصادر إلى تاريخ بناء هذه

(١) النقض، ص ٣٥. حسين كريمان، طبرسي ومجمع البيان، ج ١، ص ٤٥. مرتضائي، الحياة الثقافية، ص ٥١.

(٢) عبدالجليل الرازي، النقض، ص ٣٦.

(٣) ابن اسفنديار، تاريخ طبرستان، ج ٣، ص ١٥٤، مرتضائي، الحياة الثقافية، ص ٥٠.

(٤) شيرازي، شد الإزار، ص ٣٠٤.

المدرسة، وأشار ابن القاشاني إلى وجود المدرسة فقط بقوله: "حدثني الشيخ الإمام العابد الزاهد ظهير الملك والدين حجة الإسلام والمسلمين، عماد الحاج والحرمين، بقية المشايخ، أبو الفضل محمد بن الشيخ قطب الدين الراوندي رحمه الله، وأجازني بقراءتي عليه بمدرسته ببلدة الري بمحلة باب المصالح في شهور تسع وتسعين وخمسمائة"^(٢).

١٠. مدرسة وزانيان: وهي من أهم المدارس التي تخص أهل السنة والجماعة في فترة الدراسة، شيدها الوزير أبو سعد القمي، وقد أشاد بها صاحب النقض "وزين الملك أبو سعد القمي الذي جلد كل يوم ثلاث مرات في المدن والقلاع، وقد أنشأ مدرسة قاضي محمد وزان، وأهل السنة هم مدينون له حتى يوم القيامة"^(٣). ولم تشر المصادر إلى تاريخ إنشاء المدرسة بالضبط، ولكن يبدو أنها أنشئت أواخر القرن الخامس الهجري؛ لأن الوزير أبو سعد زين الملك القمي قتل عام ٥٠٠هـ/١١٠٦م^(٤).

١١. مدرسة أبي الفضائل سعد بن محمد المشاط الرازي: قال السمعاني في ترجمته "وله يد باسطة في علم الكلام... وكان يعظ ويتكلم في مسائل الخلاف وله قبول أصحابنا من عوام الري وأهل قزوین لقبته بالري يوماً في الطريق، وكان

(١) مرتضائي، الحياة الثقافية، ص ٥١.

(٢) أرموي، تعليقات النقض، ص ١٤٦.

(٣) عبد الجليل الرازي، النقض، ص ٢٢١، ٤٧٣، كرمانی، نسائم الأسفار، ص ٥٤.

(٤) السمعاني، الأنساب، ج ٢، ص ٥٨٢.

يخضب بالسواد، ويلبس الحرير، ويحمل معه سيفاً، وكانت ولادته ٤٧٩هـ/١٠٨٦م بالري ووفاته ٥٤٦هـ/١١٥١م، ودفن في مدرسته بالري^(١).

١٢. مدرسة شاه غازي: وكانت من المدارس المشهورة في حي للشيعه بنيت في القرن السادس الهجري في منطقة (زامهران) في الري على يد شاهنشاه غازي رستم بن علي بن شهریار أحد ملوك طبرستان (٥٥٨هـ/١١٦٣م). وقد أشاد بها ابن اسفنديار في تاريخ طبرستان، وقال: "لأجل السيد كمال الدين مرتضى من قزوين وأخيه السيد قوام الدين أمر شاهنشاه غازي رستم بإعطاء مائة وعشرين ألف دينار ذهبي لإنشاء المدرسة في حي (زامهران) في الري، واشترى سبع قرى من أمهات القرى في الري ووقفها على المدرسة، وأمر بالنفقات من الرز والسكر والسمن والعصيد والقصة والقصيعة من مازندران (طبرستان)، وكان ذلك لخدمة الفقهاء والمدرسين والمتولين الذين يعملون يدرسون في المدرسة المذكورة"، وأضاف ابن اسفنديار (٦١٣هـ/١٢١٦م) أن المدرسة كانت موجودة في عصره، وكان أولاد الأشراف وأكثر من مائتين من العلويين في قزوين يتمتعون بأوقافها^(٢).

١٣. مدرسة محلة فيروزه: بنيت في عهد ملكشاه (٤٦٥هـ-٤٨٥هـ/١٠٧٢م-١٠٩٢م).

(١) السمعاني، التعبير، ج١، ص٢٩٥.

(٢) ابن اسفنديار، تاريخ طبرستان، ج٣، ص٩١؛ مرتضائي، الحياة الثقافية، ص٥٣.

١٤. مدرسة الخواجة الإمام رشيد الرازي في حي بوابات جاروب بندان جنوب غرب الري، بنيت في عهد السلطان محمد^(١) بن ملكشاه السلجوقي (٤٩٨-٥١١هـ/١١٠٤-١١١٧م)، وفيها حوالي مائتا طالب يدرسون الفقه والأصول وعلم الشريعة. وكانت هذه المدرسة عامرة تشمل سكناً للفقهاء والطلاب، وكانت تتمتع بمكتبة فاخرة^(٢).

وفي هذه المدارس كان يدرس القرآن والفقه والحديث وعلم الكلام والتفسير وعلم القراءات^(٣). ومن الجدير بالذكر أنه رغم اهتمام نظام الملك الطوسي بإنشاء المدارس النظامية في مشرق العالم الإسلامي -خاصة في المدن الرئيسية كبغداد وأصفهان ونيسابور والبصرة ومرو والموصل وبلخ وهرات^(٤)،- لم تشر المصادر إلى أنه أنشأ مدرسة في مدينة الري مع أنها كانت من حواضر سلاطين السلاجقة^(٥). وقد ذم نظام الملك في كتابه "سياست نامه" أهل الري، كما هاجم الشيعة فيها هجوماً شديداً للهجة^(٦).

القصور:

-
- (١) سيد محمد، ري وطهران، ص ٤٠٩؛ عباس قدياني، جغرافياي ري، ص ٢٥.
 - (٢) عبد الجليل الرازي، النقض، ص ٥٨٨. نور الله شوشترى، مجالس المؤمنين، ج ١، ص ٩٣.
 - مرتضائي، الحياة الثقافية، ص ٥٠.
 - (٣) عبد الجليل الرازي، النقض، ص ٥٩٠.
 - (٤) السبكي، طبقات الشافعية، ج ٨، ص ٣١٠.
 - (٥) عبد الجليل الرازي، النقض، ص ١٤٥.
 - (٦) نظام الملك، سياست نامه، ص ٢٨٧.

وينتظر أن تكون في الري -وهي مقر الحكم- قصور متعددة، ويمكن الإشارة إلى بعضها:

١. قصر سيد أباد: بني هذا القصر للسيدة شيرين ابنة الأصبهذ رستم، زوجة فخر الدولة وأم مجد الدولة، عام ٤٣٤هـ/١٠٤٢م في العصر البويهى في الري. وذكر ياقوت إن "سيد أباد" قصر بالري وقرية من قراها، وكلاهما أنشأته السيدة شيرين في سنة أربع وثلاثين وأربعمائة، ولم يرد ذكر لمكان هذا القصر لكن يمكن القول أنه بني في نفس محلة فخر آباد^(١).

٢. آخر رستم: بني هذا القصر والد السيدة شيرين زوجة فخر الدولة، وكان بناءً ملكياً^(٢)، وورد ذكره في سلجوقنامه حين هاجم السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه الري، ونزل في آخر رستم^(٣). ويستنتج من ذلك أن السلطان جاء إلى الري عن طريق همدان، وعلى هذا فإن آخر رستم كان يقع خارج بوابة باطان التي كانت المخرج إلى همدان.

٣. قصر علي بن كامه: كان علي بن كامه الديلمي من القادة في عهد آل بويه في الري، وقضى عليه فخر الدولة في بداية حكمه عام ٣٧٣هـ/٩٨٣م^(٤). كان لعلي بن كامه قصر في الري -في قصران الداخل من نواحي الري-^(١). وكان قصر علي بن كامه لا يزال عامراً في الري في بداية الدولة السلجوقية، ودخل

(١) ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٢١١.

(٢) طوفان هفتكي، شهر بورسال، ١٣٠٧؛ شماره ٣، ص٦.

(٣) سلجوق نامه، ص٦٠؛ الراوندي، واحة الصدور، ص٦٠.

(٤) مسكويه، ذيل تجارب الأمم، ص٩٥.

طغرل إليه وعثر على كنز هناك، كما جاء في تاريخ كزيدة "جعل طغرل من الري دار الملك ونزل فيها في قصر علي بن كامه، وعثر هناك على مكان من الري وأخرج منه الكنوز...." (٢).

تحدثنا عن القصور التي بنيت في عهد بني بويه في مدينة الري التي كانت دار ملك للبويهيين، ولكن المصادر أغفلت القصور التي بنتها السلاجقة في مدينة الري، أو لعل السلاجقة لم يبنوا قصوراً في هذه المدينة، واستخدموا القصور التي بناها البويهيون، ودلالة ذلك ما ورد عن قصر آخر رستم، أو قصر علي بن كامه اللذين نزل فيها سلاطين السلاجقة.

الحدائق

كان في داخل الري وخارجها حدائق ومنتزهات مع قصور فخمة بسبب كثرة المياه فيها، إضافة إلى أرضها الخصبة، ومن أشهر حدائقها "باغ شوريا"، والتي ذكرت في سلجوقنامه في أحوال أرسلان بن طغرل بن محمد "نزل السلطان في مدينة الري بقصر الأمير إينانج في حديقة شوريا يوم الجمعة الثامن عشر من صفر عام ٥٦١هـ/ ١١٩٥م" (٣).

وهذه إشارة إلى وجود الحدائق في مدينة الري، لكن المصادر لم تتوسع في

الحديث عن الحدائق.

(١) ن، م، ص ٢٩٩.

(٢) تاريخ كزيدة، ص ٤٣٧.

(٣) ظهير الدين نيشابوري، سلجوق نامه، ص ٧٨؛ الراوندي، واحة الصدور، ص ٢٩٢.

حمامات المدينة:

كانت في الري حمامات نظيفة، فقد جاء في أحسن التقاسيم "الري بلد جليل... طيب الحمامات..."^(١).

كان الماء الفائض من هذه الحمامات يجري في الأزقة التي تسير فيها المياه المعدنية الجارية، لذلك يقول زكريا القزويني في هذا الباب: "... مياه هذه المدينة جارية في نفس المدينة من أقدر المياه؛ لأنهم يغسلون فيها جميع النجاسات، وتمشى إليها مياه الحمامات..."^(٢). وكان بها مياه ساخنة ينقع بها الأشخاص المصابون بالجرب^(٣).

المقابر والأضرحة

لا شك أن المقابر من أجزاء المدينة الإسلامية المهمة؛ لأن الإسلام احترام الإنسان في مماته كما هو في حياته، واتخذ أساليب خاصة للغسل والدفن.

ولما دخل الإسلام الري، صار الناس يتقيدون بتعاليم الإسلام في دفن موتاهم، وتعددت المقابر في المدينة وفقاً لحاجة الناس الذين تزايدوا مع مرور الأيام. وترد إشارات في المصادر إلى مجموعة من المقابر دون تصريح -للأسف- من المؤرخين أحياناً بمواقعها، أو أية تفصيلات أخرى لها.

(١) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٣٩٠.

(٢) القزويني، آثار البلاد، ص ٣٧٥.

(٣) أبو دلف، الرسالة الثانية، ص ٣٣.

كانت مقابر أفراد الأسر الحاكمة أبراجاً أسطوانية في معظم الأحيان، ولها سقف مخروطي الشكل، كان بعض هذه الأبراج مضلعاً نجمي الشكل، كما في أبراج الري^(١).

وحيث توفيت خاتون زوجة السلطان طغرل بك بزنجان سنة ٤٥٢هـ/١٠٦٠م حمل تابوتها إلى الري ودفنت فيها، وأقيم لها ضريح في نخجر، وشيد عام ٥٨٢هـ/١١٨٦م وكان شكله مستديراً ذا قمة مخروطية أملس الجسم، أو بآخايد بعيدة الغور تجرى في دعائم حادة الأطراف أو مستديرة^(٢).

وحيث توفي شرف الدين على بن أبي القاسم منصور بن أبي سعد الصاعدي قاضي نيسابور سنة ٤٥٤هـ/١٠٦٢م - وكان موته بالري - دفن في مقبرة محمد بن الحسن الشيباني، صاحب أبي حنيفة، وكان القاضي حنفياً^(٣). وربما كانت هذه المقبرة مخصصة لدفن القضاة فقط إذ أن الذين دفنوا فيها حسب الإشارات الواردة هم القضاة فحسب.

في سنة ٤٦٤هـ/١٠٧١م دفن ألب أرسلان سلطان العالم محمد بن داود جغرى بك التركي في الري^(٤). وشيد له بناء في مقبرة الأسرة الحاكمة ودفن فيها^(٥).

(١) أبو صالح الألفي، الفن الإسلامي، ص ٢١١؛ علام، فنون الشرق، ص ١٣٦.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ١٢.

(٣) ن، ج ١١، ص ٢٥٣.

(٤) الباخري، دمية القصر، ج ٢، ص ٧٤٦.

(٥) كريم، ري باستان، مج ١، ص ١٠٢.

وتوجد مقبرة في مدينة الري لا يعرف اسم صاحبها ترجع إلى عام ٥٣٤هـ/١١٣٩م، وهي عبارة عن بناء أسطواني من الطوب له حافات ذات زوايا كبيرة، وسقفها مخروطي^(١).

ويبدو من المصادر أن محلة الروضة كانت تضم مقبرة للأمرء، ومقبرة للعامة، مقبرة الفردوس، ومقبرة بهشتيان^(٢)، لكن الأرجح أن مقبرتي الفردوس وبهشتيان اسمان لمقبرة واحدة، لأن كلمة (بهشتيان) الفارسية تعني جنة الخلد أو الفردوس^(٣). وجرى العادة أن يدفن العلماء، وكبار الفقهاء في منازلهم أو مدارسهم أو مساجدهم، كأبي الفضائل سعد بن محمد المشاط الرازي (ت ٥٤٦هـ/١١٥١م)، الذي دفن في مدرسته بالري^(٤).

(١) أبا أقطاي، فنون الترك، ص ٤٣.

(٢) ظهير الدين نيشابوري، سلجوق نامه، ص ١٣٠، ١٣٥؛ رازي، عبدالله، تاريخ إيران، ص ٩٥.

(٣) انظر التونجي، المعجم الذهبي، ص ١٢٦.

(٤) عبدالجليل الرازي، النقض، ص ٢٢١.

الفصل الثالث المدنية العامة

المؤسسات الإدارية في مدينة الري في العصر السلجوقي

١. السلطنة
٢. الوزارة
٣. الولاية
٤. القضاء
٥. الدواوين

السلطنة

يدل المفهوم اللغوي لكلمة سلطان على معنيين، الأول: أنها مشتقة من الفعل الثلاثي سلط، وتعني الحجة البالغة، والبرهان الواضح، أو القدرة والقهر والغلبة^(١)، لقوله تعالى: {ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين^(٢)}. أي حجة ظاهرة، فسلطان كل شيء حدثه وسطوته^(٣). وسمى بذلك، لأنه حجة على وجود الله لقوله: {فانفذوا... لا تنفذون إلا بسلطان^(٤)}.
 أما المعنى الثاني: فهو أنها مشتقة من السليط وهو الزيت المضىء، وتأتي بمعنى الوضوح. وينتهي كلا المعنيين إلى معنى القدرة على امتلاك السلطة "فالأمراء يقال لهم سلاطين؛ لأنه بهم تقام الحجة والحقوق"^(٥)، أو كما يقول ابن جماعة (ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م)، "سُمي السلطان سلطاناً إما لمملكته وقدرته، وإما لكونه حجة على وجود الله وتوحيده، أو هو السليط؛ لأنه يضاء بعدله وتدبيره على رعيته، كما يضىء السليط بنوره على أهله"^(٦).

وفي المدلول الاصطلاحي تعني كلمة السلطان: ذا السلطة ويطلق هذا اللقب على الأمير القوي أو الحاكم المستقل^(٧)، ويوضح ابن جماعة مصدر سلطاته بقوله: "أنه

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج ٦، ص ٣٢٦-٣٢٧.

(٢) سورة هود، آية ٩٦.

(٣) العيني، السيف المهند، ص ٩٥، عليان الجالودي، تطور السلطنة، ص ٦٢.

(٤) سورة الرحمن، آية ٣٠٢.

(٥) ابن منظور، لسان العرب، ج ٦، ص ٣٢٧؛ عليان الجالودي، تطور السلطنة، ص ٦٢.

(٦) ابن جماعة، تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام، ص ٧٣-٧٤؛ عليان الجالودي، تطور السلطنة، ص ٦٢.

(٧) الباشا، الألقاب الإسلامية، ص ٣٢٣؛ عليان الجالودي، تطور السلطنة، ص ٦٢.

تفويض عام لإقليم أو عمل من إمام المسلمين "ال خليفة" للسلطان، يجيز له تقليد القضاة والولاية وتدريب الجيوش واستيفاء الأموال من جميع جهاتها، وصرفها في وجوهها المختلفة وقتال المشركين، ويعتبر في السلطان المتولي من جهة الخليفة ما يعتبر في الخليفة، ما خلا النسب؛ لأنه قائم مقامه^(١).

استخدمت كلمة سلطان ابتداء استخداماً عاماً في الدولة الإسلامية، دون أن يكون لها مفهوم اصطلاحي محدد وكانت تعني الحاكم أو الحكومة أو تدل على الخليفة نفسه، وخاصة منذ العصر الأموي الذي تحولت فيه الخلافة حسب رأي العلماء إلى ملك، وعلى ما جاء في الأثر "السلطان ظل الله على الأرض، يأوي إليه كل مظلوم من عباده، فإن عدل كان له الأجر، وعلى الرعية الشكر، وإن جار وظلم كان عليه الإثم وعلى الرعية الصبر"^(٢).

وعلى الرغم من ورود لقب (السلطان) في نص تذكاري في اصطخر، بمعنى الغلبة والسيادة، وإطلاقه على الأمير البويهى بهاء الدولة^(٣)، وعلى الرغم أيضاً من إطلاق هذا اللقب على الأمير أبي شجاع(فناخسرو) الذي تولى الحكم ٤٠٣هـ/١٠١٢م^(٤)، فهذا لا يعني اتخاذه لقباً رسمياً أو اعتراف الخليفة به، بل كان محاولة من بعض

(١) ابن جماعة، تحرير الأحكام، ص ٦٠؛ عليان الجالودي، تطور السلطنة، ص ٦٢.

(٢) ابن خلدون، المقدمة، ص ١٨٨-١٩٠.

(٣) الباشا، الألقاب الإسلامية، ص ٣٢٤؛ عليان الجالودي، تطور السلطنة، ص ٦٩.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج ٩، ص ٢٩٣.

البويهيين بالزيادة في ألقابهم، فهو هنا زيادة على ألقاب السيادة الأخرى كلقب عضد الدولة، وبهاء الدولة^(١).

وحين حاول الأمير البويهي أبو كاليجار أن يحصل على لقب سلطان من الخليفة القائم، وأن يلقب "بالسلطان المعظم مالك الأمم" رفض الخليفة ذلك على لسان رسوله، اقضى القضاة، الماوردي؛ لأن السلطان المعظم ومالك الأمم هو الخليفة، وبعد مداوالات أقر الخليفة أن يلقب بمالك الدولة، بعد أن يقدم الهدايا للخليفة^(٢).

وفي الوقت الذي رفض فيه الخلفاء العباسيون لقب السلطان لبني بويه خوطب محمود بن سبكتكين الغزنوي (٣٨٩هـ/٩٩٨م - ٤٢١هـ/١٠٣٠م) من قبل أتباعه بلقب سلطان، وأرسل للخليفة القادر مقدماً ولاءه، وتسلم من الخليفة القادر تاجاً وعهداً بولاية خراسان، ولقب يمين الدولة وأمين المملكة^(٣).

ولم يتخذ السلاجقة ابتداءً لقب سلطان، والإشارات إلى النظام السياسي عند الأتراك الغز قليلة، نجد واحدة عند ابن فضلان الذي قام برحلته سنة ٣٠٩هـ/٩٢١م، إذ يقول "ملك الترك الغزية يقال له يبغيو"^(١).

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج ٩، ص ٣.

(٢) ن، م، ج ٩، ص ٣؛ المقرئ، السلوك، ج ١، ق ١، ص ٤٩؛ عليان الجالودي، تطور السلطة، ص ٧٠.

(٣) نظام الملك، سياسة نامة، ص ٩٠؛ عليان الجالودي، تطور السلطنة، ص ٧٠.

وحظي زعيم السلاجقة "سلجوق" قبل هجرتهم إلى أطراف العالم الإسلامي بلقب "سوباشي" أي قائد الجيش^(٢).

وعندما عبر السلاجقة إلى خراسان، وفشل واليها من قبل الغزنويين سوري ابن المعتز في التصدي لهم^(٣)، اضطر السلطان مسعود سنة ٤٢٦هـ/١٠٣٤م إلى الاعتراف بهم حكماً لولايات نسا وفراوه ودهستان، ومنح كلاً من الأخوين طغرل وداود حفيدي سلجوق وعمهما يبغو لقب دهقان، وتسلم كل منهم من الخلع ما يتفق مع منصب الوالي، فتسلموا قلنسوة ذات ركنين، ولواء، وخلعة مطرزة على طريقة الفرس، وجوادم، وسرجاً، ومنطقة من ذهب على طريقة التركمان، وثلاثين ثوباً غير مخيطة^(٤). واتخذ لقب شاهنشاه جغري بك داوود في مرو في أول جمعة من شهر رجب سنة ٤٢٨هـ/١٠٣٦م. وضربت النقود باسمه^(٥). واتخذ السلاجقة لقب شاهنشاه^(٦) أثر انتصارهم على الغزنويين في معركة باب سرخس سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م^(٧)، واتخذته

-
- (١) يبغو: هو لقب لكبير ملوك الترك. الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ١٤١، ابن فضلان، الرحلة، ص ١٠١-١٠٣؛ عليان الجالودي، تطور السلطنة، ص ٧٢.
- (٢) ابن الأثير، ج ٩، ص ٤٧٣؛ عليان الجالودي، تطور السلطنة، ص ٧٢.
- (٣) البيهقي، تاريخ، ص ٥١٨-٥٢١؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٩، ص ١٧٨-١٧٩.
- (٤) ابن الأثير، الكامل، ج ٩، ص ٤٧٨؛ البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ص ١٠-١٢.
- (٥) ابن الأثير، ج ٩، ص ٤٧٨-٤٧٩؛ عليان الجالودي، تطور السلطنة، ص ٧٢.
- (٦) شاهنشاه: لقب فارسي كان يلقب به ملوك إيران قبل الإسلام، ومعناه ملك الملوك، انظر حسن الباشا، الألقاب، ص ٣٥٣-٣٥٤.
- (٧) البيهقي، تاريخ، ص ٥٧٩؛ البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ص ١٠-١٢؛ عليان الجالودي، تطور السلطنة، ص ٧٢.

طغرلبك في نيسابور^(١)، وحين تقدم السلاجقة غرباً انفرد طغرلبك بالسلطة، واتخذ لقب "سلطان الإسلام"^(٢).

ويعد طغرلبك (٤٢٩هـ/١٠٣٧م - ٤٥٥هـ/١٠٦٣م) المؤسس الفعلي للسلطنة السلجوقية^(٣)، والسلطان الأول من سلاطينهم، إذ ترد الإشارة إلى أنه خطب له في مدينة نيسابور في شهر ذي القعدة سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م، وأمر أن تقرأ الخطبة على منابرها. باسم السلطان المعظم ركن الدنيا والدين أبو طالب طغرلبك^(٤)، وأن تضرب النقود باسمه في البلاد التي تم للسلاجقة السيطرة عليها^(٥). إلا أن أقدم الدنانير التي وصلت حتى الآن من فترة حكم طغرلبك تعود لسنة ٤٣٢هـ/١٠٤٠م^(٦)، ولم يرد فيها لقب السلطان وإنما تلقب بلقب "الأمير الأجل والأمير السيد"^(٧)، ولم يرد لقب سلطان على الدنانير التي ضربت في الري في السنوات ٤٣٢هـ/١٠٤٠م، ٤٣٧هـ/١٠٤٥م^(٨). وهذا يناقض ما تذكره المصادر التاريخية من أنه أعلن نفسه سلطاناً سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م.

-
- (١) ابن الأثير، ج ٩، ص ٤٨١، عليان الجالودي، تطور السلطنة، ص ٧٢.
 - (٢) الدوري، دراسات، ص ١٢٣؛ بارتولد، تركستان، ص ٤٥٣؛ عليان الجالودي، تطور السلطنة، ص ٧٢.
 - (٣) زامباور، معجم الأنساب، ج ٢، ص ٣٣٣.
 - (٤) الحسيني، زبدة التواريخ، ص ٩؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٩، ص ١٧٩؛ عليان، تطور السلطنة، ص ٧٣.
 - (٥) بارتولد، تاريخ الترك، ص ١٠٤-١٠٥.
 - (٦) عرفه، الأحوال السياسية في العراق والمشرق، ص ٨٩-٩٩.
 - (٧) الباشا، الألقاب الإسلامية، ص ١٩٢.
 - (٨) ن، ص ١٩٢.

ويذكر أن الخليفة العباسي اعترف بسلطنته سنة ٤٣٢هـ/١٠٤٠م^(١)، وهذا لم يرد في دنانيره، ومن المرجح أن اتخاذ طغرلبيك لقب السلطان رسمياً لم يتم قبل سنة ٤٣٧هـ/١٠٤٥م، وإنما بعد أن تمكن من بسط سيطرة السلاجقة على كثير من الأقاليم التابعة للغزنويين والبويهيين، ووافق الخليفة القائم على منحه اللقب رسمياً، وأول دينار يحمل لقب سلطان وصلنا كان سنة ٤٣٨هـ/١٠٤٦م المضروب في الري، وعليه لقب "السلطان الأعظم شاهنشاه أبو طالب"^(٢).

وكان لبدواة السلاجقة، أثر واضح في نظم الحكم التي طبقوها؛ فلم يكن هناك نظام معين متفق عليه لاعتلاء العرش السلجوقي، وكان يتولى السلطنة، أقوى أفراد الأسرة وأكثرهم نفوذاً^(٣)، وفي بداية الأمر كان الأكبر سناً يتولى الحكم^(٤)، ذلك أن سلجوق بن دقاق حين توفي خلفه ابنه الأكبر اسرائيل الملقب بأرسلان ييغو، وحين قتل هذا خلفه أخوه الأكبر ميكائيل بن سلجوق^(٥).

واتفق الزعماء والأمراء الكبار على أن يكون لهذه الدولة رئيس واحد، فالأقوى وأكثر شجاعة يحمل اسم السلطان، فقد كانت خراسان من نصيب جغرى بك داود الشقيق الأكبر للسلطان طغرلبيك^(٦)، وأعطيت ولايات بسّت وهُراه وسجستان لموسى

(١) الراوندي، راحة الصدور، ص ١٦٨-١٦٩.

(٢) الراوندي، راحة الصدور، ص ١٦٩؛ الحسيني، زبدة التواريخ، ص ١٧؛ الألقاب الإسلامية، ص ١٩٣.

(٣) الحسيني، زبدة التواريخ، ص ٢٥.

(٤) بارتولد، تاريخ الترك، ص ٨٦.

(٥) الراوندي، راحة الصدور، ص ١٥؛ اليزدي، العراضة، ص ٢٩.

(٦) البيهقي، تاريخ ٥٧٩؛ الحسيني، زبدة التواريخ، ص ٤٠-٤١؛ إدريس، رسوم السلاجقة، ص ٢٣؛

عليان الجالودي، تطور السلطنة، ص ٧٢.

يبغو، ابن عم السلطان، أما ولايات جرجان والدامغان^(١)، فقد كانت من نصيب قتلمش بن إسرائيل، ومنح قارود بن جغرى بك ولايات الطبسين وكرمان، وأعطى إبراهيم ينال شقيق السلطان لأمه ولاية قهستان ونواحي جرجان، وأعطى موسى بن سلجوق وابنه الحسن ولايات بوشنج وبلاد الغور^(٢).

ولكن طريقة اختيار السلطان طغرل بك أول سلاطين السلاجقة اختلفت عن طريقة اختيار السلطان ألب أرسلان وملكشاه، فقد كان اختيار طغرل بك حسب رغبة قادة السلاجقة الأوائل لشجاعته وقدرته الفذة. أما اختيار السلطان ألب أرسلان فلم يكن كاختيار طغرل بك، بل بناء على رغبته ورغبة وزيره نظام الملك، بعد موت طغرل بك سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م، وكان طغرل بك قد تزوج بأرملة أخيه جغرى بك التي طلبت منه أن يجعل ابنها سليمان ولياً لعهدده على الرغم من صغر سنه^(٣). ولما علم ألب أرسلان بجلوس أخيه غير الشقيق سليمان على عرش السلاجقة، سار (بمساعدة وزير نظام الملك) إلى الري، حيث مكان سليمان، فاستولى على السلطنة بسبب ما عُرف عنه من

(١) الراوندي، راحة الصدور، ص ١٦٥؛ الحسيني، زبدة التواريخ، ص ١٠٧؛ حسين أمين، نظام الحكم، ص ٢١٠.

(٢) الراوندي، راحة الصدور، ص ١٦٥؛ الحسيني، زبدة التواريخ، ص ٢٠٧.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج ٨، ص ٢٣١؛ الراوندي، راحة الصدور، ص ١٦٩؛ البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٢٧، ٢٨؛ ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ١٠؛ حسين أمين، تاريخ العراق، ص ١٨١-١٨٢؛ بارتولد، تاريخ الترك، ص ١٠٥. حسين أمين، نظام الحكم، مجلة سومر، مج ٢٠، ص ٢١٠.

الشجاعة والقوة^(١)، ثم أرغم الكندري وزير طغرلبك على إقامة الخطبة له في الري، -
مقر نظام الحكم- وقرر أن يكون سليمان ولياً لعهد^(٢).

أما ملكشاه فقد تم تعيينه بناءً على وصية أبيه ألب أرسلان، بأن يتولى ابنه
العرش من بعده^(٣).

ولعل ما قام به ألب أرسلان من توريث عرشه لابنه، فتح المجال لأن يصبح
العرش وراثياً من بعده، مما أدى فيما بعد إلى التنافس والتنازع حول العرش السلجوقي.
وقد كانت مراسيم تعيين السلطان السلجوقي، تتم بالانصياع له وطاعته، وبمبايعة
الجند والقواد وحكام الأقاليم والأطراف، ولكن شرعية السلطان السلجوقي لم تكن تكتمل
رغم هذا التعيين والاعتراف والمبايعة إلا بعهد الخليفة العباسي الذي كان لازماً؛ إذ أن
الخليفة يضيف الشرعية على حكم السلطان^(٤). ولذا فبعد أن تولى طغرلبك السلطنة سنة
٤٢٩هـ/١٠٣٧م شرع في مراسلة الخليفة العباسي القائم بأمر الله سنة
٤٣٢هـ/١٠٤١م في بغداد، للحصول على اعتراف منه بالسلطنة، وقد وصف طغرلبك
نفسه في رسالته بأنه عبد أمير المؤمنين، ولما وصلت الرسالة إلى دار الخلافة سر بها
الخليفة^(٥)، وأرسل أفضى القضاة أبا الحسن الماوردي رسولاً إلى طغرلبك في مدينة

(١) الراوندي، راحة الصدور، ص ١٨٥؛ الحسيني، زبدة التواريخ، ص ٢٩-٣٠؛
Lambton, The internal structure of the Saljuq Empire the Cambridge History of
Iran, v5, p.219.

(٢) البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٣٠-٣١؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٦٤.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج ٨، ص ٢٦٠؛ ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ١١٩؛ اليزدي، العراضة،
ص ٧١؛ The Saljuq Empire, v5, p.220.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج ٩، ص ١٨٨.

(٥) ن، م، ص ١٨٨.

الري داعياً إياه إلى دار الخلافة العباسية في بغداد^(١). وكان مع الماوردي كتاب التفويض لطغربك بحكم البلاد التي في حوزته^(٢)، وبذلك تحقق لطغربك ما أراد، واكتملت بذلك صفته الشرعية كسلطان للسلاجقة، فتلقب بعدئذ بلقب "السلطان المعظم ركن الدنيا والدين أبو طالب محمد"^(٣).

أما مراسيم التفويض العام لطغربك بالسلطة - كانت تتم في مدينة بغداد ولكن المصادر لم تشر إلى المراسيم التفويض أنها كانت تتم في مدينة الري - من الخليفة العباسي القائم بأمر الله سنة ٤٤٩هـ/١٠٥٧م^(٤)، فيتحدث عنها ابن الأثير والبنداري، وكذلك هلال بن المحسن الصابي^(٥). فعندما دخل طغربك، كان الخليفة قد جلس جلوساً عاماً ومشهوداً، وذلك يوم السبت لخمس من ذي القعدة، وجلس وزيره رئيس الرؤساء ابن المسلمة، واستدعي النقباء والقضاة والشهود والأعيان، واستدعي نقيب العباسيين والعلويين، وقاضي القضاة، والحجاب، وحضر السلطان طغربك ومعه وزيره عميد الملك الكندري، فقدمت له من خيل الخليفة فرس شهباء، فركبها وعليه قباء أسود وعمامة مثلثة مذهبية، ودخل دار الخلافة وبين يديه أولاد الملوك والأمراء وأشراف القواد والجميع بغير سلاح، وخرج لاستقباله رئيس الرؤساء، فرُفعت ستارة البهو، وظهر الخليفة بمجلسه فدخل عليه

(١) الراوندي، راحة الصدور، ص ١٨٧؛ البنداري، آل سلجوق، ص ٩.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج ٨، ص ١٦٦؛ الحسيني، زبدة التواريخ، ص ٩.

(٣) Osborn: Islam Under Khalifa Baghdadid, p.319

(٤) يذكر أن دخول طغربك بغداد للمرة الأولى كان سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م، انظر البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ص ١٢.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج ٩، ص ٢٢١؛ البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ص ١٦-١٧؛ هلال بن المحسن الصابي، رسوم دار الخلافة، ص ٩٠، ٩٤.

طغرل بك^(١)، والخليفة على سرير عال من الأرض بنحو سبعة أذرع، وعلى كتفه البردة وبيده القضيب، فلما رآه السلطان قَبَّل الأرض دفعات كثيرة^(٢)، ونصب له كرسي دون السرير، فجلس عليه، فقال رئيس الرؤساء "اصعد ركن الدين" وأصعد أبو منصور الكندري مفسراً ومترجماً معرباً ما كان معجماً^(٣)، وفسر له عميد الملك الكندري تفويض الخليفة إليه، وقال الخليفة لرئيس الرؤساء، "قل لركن الدين أمير المؤمنين حامد لسعيك، شاكر لفضلك، أنس بقربك، وقد ولاك جميع ما ولاه الله تعالى من بلاده، ورد إليك مراعاة عبادته فاتق الله فيما ولاك الخليفة. ففسر له عميد الملك القول، فقام وقبل الأرض وقال: "أنا خادم أمير المؤمنين وعبد متصرف على أمره ونهيه، ومشرف بما أهلني له واستخدمني فيه، ومن الله تعالى استمد المعونة والتوفيق"^(٤). ثم استأذن طغرل بك في أن ينهض فأذن له^(٥)، ثم أقيضت عليه سبع خلع جبات سود في زيق^(٦) واحد، ومنحت له مملكة الأقاليم السبعة، وشرف بعمامة سوداء مذهبة فجمع له بين تاجي العرب والعجم، وقلده الخليفة سيفاً محلى بالذهب، وطوق بطوق من ذهب، وسور بسوارين من ذهب^(٧)، وكان أحسن ما خلع على طغرل بك (لقب ملك المشرق والمغرب)^(٨).

(١) البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ص ١٦.

(٢) القلقشندي، مآثر الأنافة، ج ٢، ص ٢٣٩.

(٣) البنداري، آل سلجوق، ص ١٦.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج ٨، ص ١٨٢؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٩، ص ١٢١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٢، ص ٧٣؛ ميرخواند، حبيب السير، ج ٤، ص ١٠٦.

(٥) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٨، ورقة ١٢٨.

(٦) زيق: ومعناه زيق الجيب المكفوف والزيق ما كان من جانب الجيب، وزيق القميص وما أحاط بالعنق، ابن منظور، لسان العرب، ج ٣، ص ١٩٠١.

(٧) البنداري، آل سلجوق، ص ١٧؛ الحسيني، زبدة التواريخ، ص ١٨.

(٨) ابن الجوزي، المنتظم، ج ٨، ص ١٨٢؛ ميرخواند، حبيب السير، ج ٤، ص ١٠٦.

وكان تفويض ألب أرسلان عن طريق الرسل^(١)، فعندما تم لألب أرسلان أمر السلطنة أرسل قاضي الري (أبا عمر محمد بن عبدالرحمن) إلى بغداد وزوده برسالتين. إحداهما للخليفة، والأخرى لوزيره ابن جهير^(٢)، فأخرج الخليفة القائم بأمر الله وزيره "فخر الدولة ابن جهير" لتلقي رسل السلطان، وجلس الخليفة جلوساً عاماً، وشافه الرسل بتقليد ألب أرسلان السلطنة، وسلمت الخلع بمشهد من الناس^(٣)، وأمر الخليفة أن يخطب للسلطان السلجوقي في مساجد بغداد، وأن يكون لقبه "السلطان المعظم عضد الدولة، وتاج الملة أبو شجاع ألب أرسلان محمد بن داود"^(٤)، وقد ردّ ألب أرسلان على إنعام الخليفة عليه بإرسال مبلغ من المال وبعض الهدايا إليه^(٥).

أما تفويض السلطة لملكشاه سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٢م فكان أن بعث ملكشاه رسوله سعد الدولة كوهرائين^(٦) سنة ٤٦٦هـ/١٠٧٣م إلى الخليفة القائم بأمر الله العباسي، يطلب عهداً منه، فجلس الخليفة العباسي جلوساً عاماً لهذه المناسبة، ومعه ولى عهده المقتدي بأمر الله، والنقباء وقاضي القضاة والوزير فخر الدولة بن جهير، وسلم الخليفة إلى كوهرائين عهد السلطان ملكشاه بالسلطنة، وقرأ ابن جهير أوله، وسلم إليه اللواء بعد

(١) لم يثبت من خلال قراءة المصادر أن السلطان ألب أرسلان قابل الخليفة العباسي أبداً طوال فترة

سلطنته ٤٥٥هـ/١٦٠٣م-٤٦٥هـ/١٠٧٢م.

(٢) الحلبي، ملخص تاريخ الإسلام، ج٦، ورقة ٣٨.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٣٦٣؛ ط بيروت.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٢٣٤-٢٣٥.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٣٦٨؛ ابن طباطبا، الفخري، ص٢١٦.

(٦) سعد الدولة كوهرائين: شحنة بغداد في عهدي ألب أرسلان وملكشاه. الراوندي، راحه الصدور،

ص١٩٠-١٩١؛ البنداري، آل سلجوق، ص٤٥.

أن عقده الخليفة بيده، ولم يمنع أحد من الدخول إلى دار الخلافة، فامتلاً صحن دار السلام بالعامّة، حتى هنا الناس بعضهم بعضاً بالسلامة من كثرة الزحام^(١).

وكان الخليفة العباسي يمنح الألقاب للسلّاطين السلاجقة بعد موافقته على تفويضهم السلطة والحكم^(٢)؛ فقد لقب الخليفة السلطان طغرل بك عندما دخل بغداد لأول مرة سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م^(٣) بلقب (المعظم ركن الدنيا والدين أبو طالب طغرل بك محمد بن ميكائيل بن سلجوق)^(٤). كما عاد ولقبه بملك المشرق والمغرب^(٥). وعندما قابله طغرل بك للمرة (الثانية) سنة ٤٤٩هـ/١٠٥٧م زاد في ألقابه فأضاف (يمين أمير المؤمنين)^(٦). كما وجد على نقد مضروب بمدينة السلام سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م^(٧).

ومن ألقاب طغرل بك الأخرى لقب ركن الدين^(٨)، لقب نقش على نقوده الذهبية في مدينة الري^(٩)، ومنها أيضاً لقب (السلطان المعظم الأمير السيد أبو طالب)^(١٠). وهو مضروب على نقده الذهبي في مدينة الري سنة ٤٣٤هـ/١٠٤٦م^(١١). أما ألب أرسلان

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص١٥٥؛ ط دار الكتب العلمية، بيروت؛ ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٤٠٣.

(٢) الراوندي، راحة الصدور، ص١٥٩؛ إدريس، رسوم، ص٣٥.

(٣) البغدادي، تاريخ بغداد، ج٩، ص٤٠٤؛ عليان الجالودي، تطور السلطنة، ص٧٢.

(٤) الراوندي، راحة الصدور، ص١٥٩؛ ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص١٦٩؛ عليان الجالودي، تطور السلطنة، ص٧٣.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص١٨٢.

(٦) الحسيني، زبدة التواريخ، ص١٩؛ حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، ص٢١٤.

(٧) محمد باقر الحسيني، دراسة إحصائية للكنى والألقاب، ص٢٤٠.

(٨) ن، م، ص١٦٠.

(٩) ن، م، ص١٥٦.

(١٠) ن، م، ص١٥٤.

(١١) ن، م، ص١٦٠.

فقد تلقب بشاهنشاه^(١)، وملك الإسلام، وقد نقش ذلك على نقوده الذهبية في مدينة الري^(٢)، كما لقب بركن الدين وهو لقب نقش على نقده المضروب في الري سنة ٤٦١هـ/١٠٦٨م^(٣).

ومن ألقاب السلطان ملكشاه (جمال الملة)، و(جلال الدولة)، و(ركن الإسلام)، و(السلطان المعظم)، وهي ألقاب موجودة على نقوده الذهبية المضروبة في الري^(٤). ومن أبرز مظاهر تطور مؤسسة السلطنة استقرار تقسيم السلطات الدينية والسياسية بين الخليفة والسلطان، وهو ما أصبح نهجاً سارت عليه السلطات التركية المتعاقبة، فالسلطان يتولى السياسة والحرب والإدارة، بينما اختص الخليفة بتعيين القضاة وخطباء المساجد والوعاظ والمدرسين. ويظهر هذا التقسيم بصورة جلية في فترة ضعف السلاطين، عندما حاول الخلفاء ممارسة سلطة سياسية مستقلة، فقد احتج السلطان على ما عده انتقاصاً من الحقوق السلطانية، وأن الخليفة يجب أن يشغل نفسه بواجباته كإمام يصلّى بالناس، وذلك أشرف وأفضل المهمات، وعليه أن يترك مسألة الحكم إلى السلاطين الذين أوكلت لهم هذه المهمة^(١).

وقد برزت هذه المسألة بوضوح في فترة الصراع على السلطة بين السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه ٥١٤هـ/١١٢٠م - ٥٤٧هـ/١١٥٢م والخليفة المسترشد بالله ٥١٢هـ/١١١٨م - ٥٢٩هـ/١١٣٤م، فقد تقرررت القواعد "على مال يؤديه (السلطان)

(١) ن،م، ص ١٦٧.

(٢) محمد باقر الحسيني، دراسة إحصائية للكنى والألقاب، ص ١٥٦.

(٣) ن،م، ص ١٥٥-١٥٩.

(٤) ن،م، ص ٢٤٠.

للخليفة، وأن لا يعود إلى جمع العساكر، وأن لا يخرج من داره^(٢). وبعد مقتل الخليفة المسترشد جاء ابنه الراشد بالله ٥٢٩هـ/١١٣٤م - ٥٣٢هـ/١١٣٧م إلى الحكم^(٣).

وقد حرص نظام الملك - وهو خير ممثل لطبقة الإداريين الفرس - في فترة وزارته الطويلة للسلطانين ألب أرسلان وولده ملكشاه على إرساء أسس هذا التحالف، بهدف الوقوف في وجه القوى المعارضة للدولة وهو يوصي السلطان ألب أرسلان بأن يكون كتبة الدولة من الفرس، وأن يكون القائمون على شؤونها من شافعية خراسان، لحماية الدولة على حد قوله، من أن يتغلل فيها ذوو الأطماع السيئة، فإذا سمح لليهودي والزرديشتي والرافضي بتولي الكتابة للأتراك (السلاجقة)، وهم على مذهب الديالمة على حد قول نظام الملك - "واستولت عليهم الغفلة فليست فيهم حمية على الدين، ولا شفقة على المال ولا رحمة بالرعية ... فإن يوطدوا أقدامهم يلحقوا بالأتراك ويحققوا بالناس الأذى إنه لمن الخير ألا يكون للأعداء وجود بين ظهرانيها"^(٤).

ويورد نظام الملك قولاً للسلطان ألب أرسلان - ينصح فيه السلطان ملكشاه قائلاً "أما وأنت تركي، فينبغي أن يكون جيشك خراسانياً، وأن يكون عمالك وكتبتك وأعوانك ومتصدروا شؤونك خراسانيين"^(١).

وهذه القناعة التي تأكدت لدى نظام الملك، بأهمية الدور الذي قامت به طبقة الإداريين الخراسانيين في إرساء قواعد السلطة السلجوقية، هي التي جعلته يقول بكل

(١) عليان الجالودي، تطور السلطنة، ص ٧٦.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج ١١، ص ٢٧.

(٣) إقبال، الوزارة، ص ٣٧-٣٨.

(٤) نظام الملك، سياسة نامة، ص ١٨٣.

صراحة وحدة للسلطان ملكشاه عندما أوقع الوشاة بين الاثنين، بأن دوام قلنسوة "سلطنة" ملكشاه مرتبط ببقاء دواة نظام الملك، وأن بقاء أحدهما مرتبط بالآخر^(٢).

وتحدد لقب السلطان في العصر السلجوقي، فأصبح يطلق على الحاكم الأعظم بينما يطلق لقب الملك على بقية أمراء الأسرة السلجوقية^(٣). والسلطنة من الناحية الفقهية تتمتع بعموم الولاية، فهي مستمدة من تفويض صادر من الخليفة، أما من الناحية الواقعية، فهي زعامة قامت في ناحية من النواحي، وصارت ولاية استيلاء وتغلب^(٤). وقد ورث السلاجقة النظم والتشكيلات الإدارية المتبعة سابقاً عند السامانيين والغزنويين وتعاونوا مع الأرستقراطية الفارسية، واعتمدوا على أبناء هذه الطبقة المتمثلة بالوزراء وكتاب الدواوين، لتسيير أمور دولتهم، بينما انصرفوا إلى الشؤون العسكرية بسبب أميتهم وعدم كفايتهم في الأمور الإدارية^(٥).

فالسلطان سنجر ٥١١هـ/١١١٧م - ٥٥٢هـ/١١٥٧م آخر السلاطين الكبار كان أمياً^(٦). ولا يوجد ما يدعو إلى الافتراض أن أسلافه من السلاطين كانوا أكثر ثقافة منه، وإذا ما كان السلطان أمياً، فلن يتاح له الإلمام بالكيفية التي تدار بها إمبراطوريته الشاسعة، ومن ثم فإن هذه المسؤولية تقع على عاتق الوزير، وهذا ما يفسر وجود

(١) ن، م، ص ١٨٥، ٢١٢-٢١٣.

(٢) الحسيني، زبدة التواريخ، ص ٦٧-٦٨.

(٣) كاهن، تاريخ العرب الشعبية الإسلامية، ص ٣٠١.

(٤) عليان الجالودي، تطور السلطنة، ص ٧٧.

(٥) بارتولد، تركستان، ص ٤٥٥.

(٦) عليان الجالودي، تطور السلطنة، ص ٧٨.

وزراء مثل نظام الملك الطوسي^(١)، تمتعوا بسلطان لم يتمتع به أمثالهم في العهود السابقة^(٢).

الوزارة

طوال العصر العباسي الأول ١٣٢-٢٣٢هـ/٧٤٩-٨٤٦م كانت الخلافة قوية ومسيطرة على الأمور، مما جعل الوزير يتصرف وفق توجيهات الخليفة، ومع ذلك فكثيراً ما نكب الخليفة وزيره^(٣).

أما في العصر العباسي الثاني ٢٣٢هـ/٨٤٦م-٣٣٤هـ/٩٤٥م والذي عرف بعصر نفوذ الأتراك، فقد أخذ نفوذ الخلفاء في الضعف، وبالتالي ضعف منصب الوزارة^(٤)، باستثناء فترة الانتعاش المؤقت للخلافة زمن المعتضد والمكفي، والفترة الأولى لحكم المقتدر حين ظهر وزراء أقوياء. وفي فترة أمير الأمراء انتقلت السلطة إلى قائد الجيش، فتراجعت سلطة الوزير، وفي سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م دخل البويهيون بغداد وذلك في عهد الخليفة المستكفي بالله العباسي، واستبدوا بالحكم دون خلفاء بني

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج ٩، ص ٦٤-٦٨.

(٢) بارتولد، تركستان، ص ٤٥٥.

(٣) ابن طباطبا، الفخري، ص ٤٠٩؛ ابن خلدون، العبر، ج ٣، ص ٢٢٩.

(٤) الدوري، عبدالعزيز، دراسات في العصور العباسية، ص ٣٧١. متز، الحضارة الإسلامية، ص ١٢٨؛

حسين أمين، نظم الحكم، ص ٢١٣.

العباس، فصارت الإدارة لوزراء البويهيين، واشتهر بعضهم^(١)، وأصبح للخليفة كاتب يدير شؤونه^(٢). وفي سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م دخل السلاجقة بغداد، فعاد نظام الوزارة تدريجياً إلى الظهور، وأخذ الخليفة يعين وزيراً له^(٣) إلى جانب وزير السلطان الذي كان منصبه من أهم المناصب الإدارية؛ لأن الوزير كان يشرف على كافة الدواوين، ويشرف على جميع أعمال الدولة، ويستطيع أن يؤثر في سياستها في الداخل والخارج^(٤).

وتشرف الوزارة في العصر السلجوقي على مجموعة الإدارات التي تختص كل واحدة منها بشأن من شؤون الديوان، وتعرف باسم الصدارة، ويطلق على القائم بأعمالها اسم (خواصة بزرک) أو الصدر أو الدستور^(٥)، وقد عرف الوزير السلجوقي، (بالصدر الأعظم أو السيد الأعظم)^(٦).

(١) ابن طباطبا، الفخري، ص ٢١٥؛ الدوري، عبدالعزيز، دراسات في العصور العباسية، ص ٢٤٩.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص ٩٥؛ الزهراني، الوزارة في الدولة العباسية في العهدين البويهي والسلجوقي، بيروت، ١٩٨٦، ص ٧؛ متر، الحضارة الإسلامية، ص ١٢٦.

(٣) حسين أمين، نظم الحكم، ص ٢١٢.

(٤) عبد المنعم حسنين، إيران، ص ١٦٢.

(٥) إقبال، الوزارة، ص ٤٣.

وكان طغرل بك أول سلطان سلجوقي اتخذ وزيراً يقيم معه في الري حاضرة السلطنة السلجوقية ويقوم بمساعدة السلطان في سفره وحضره^(٢). وعلى العموم كان الوزير يساعد السلطان في المهام السياسية والإدارية والمالية، ولقد كان منصب الوزارة من أهم المناصب في سلك الوظائف السلجوقية نظراً لاتساع نفوذه وسلطانه، ولكونه المنصب التالي بعد منصب (السلطان) في الدولة السلجوقية بمختلف أقاليمها^(٣).

آخر طغرل بك تعيين وزير له حتى يستقر حكمه، فبعد أن أنهى حكم مسعود الغزنوي في نيسابور سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م - بعد معركة فاصلة بين الغزنويين والسلاجقة - قام بنقل حضرته إلى الري سنة ٤٣٤هـ/١٠٤٢م^(٤)، ثم اتخذ وزيراً يساعده في مهامه، وكان وزيره أبو الفتح الرازي، أول وزير لأول سلطان سلجوقي^(٥). كان الرازي يعمل في بداية أمره في خدمة الملك علاء الدين بن كاكويه (ت ٤٣٣هـ/١٠٤١م)، الذي حكم أصفهان، وأسس دولة الأكراد الكاكوية في فارس^(٦)، ثم لازم ولده (فراموز) الذي أرسله برسالة إلى طغرل بك، فأعجب هذا به، وطلب منه البقاء في بلاطه، ثم خلع

(١) عبد المنعم حسنين، إيران، ص ١٦٢.

(٢) إقبال، الوزارة، ص ٤٤.

(٣) بارتولد، تركستان، ص ٤٥٥؛ حسنين، إيران، ص ١٦٣؛ CARLA L. The Seljuk, p.38-39.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج ٩، ص ١٧٥-١٧٦.

(٥) هندوشاه، تجارب السلف، ص ٢٦٠-٢٦١.

(٦) عصام عبدالرؤوف، الدول المستقلة، ص ٤٦-٤٧.

عليه طغرل بك، وأسند إليه منصب الوزارة، الأمر الذي أغضب فراموز الكاكوي، فأمر بنهب قصر أبي الفتح ومصادرة أمواله^(١)، وحين حاصر طغرل بك مدينة أصفهان ٤٤٣هـ/١٠٥١م، وكان بها فراموز الكاكوي^(٢)، انتهى الأمر بعقد صلح بينهما يقضي بأن يدفع فراموز مائة ألف دينار، وعاد طغرل بك إلى طبرستان، وأرسل أبا الفتح الرازي إلى أصفهان ليتسلم المال من فراموز، ولما عاد أبو الفتح من مهمته إلى مدينة الري، وأوصل المال لخزانة السلطان سرّ به السلطان غاية السرور، ونعته بالأمين، وقال: "لو أنه أخذ المال ولجأ إلى بعض القلاع، وتحصن بها لصعب علينا الوصول إليه"^(٣). ولكن أبا الفتح طلب الإعفاء من منصبه فجأة، فوافق طغرل بك^(٤)، وأسند الوزارة إلى أبي القاسم عبدالله الجويني الذي اعتبره ابن الأثير أول وزير لطرغرل بك^(٥)، ولعل ذلك يرجع إلى عدم وضوح الوضع لدى وجود معلومات لدى ابن الأثير فيما يتعلق بوزارة أبي الفتح الرازي، وربما يعود السبب أيضاً إلى قصر المدة التي قضاها الرازي في وزارته.

ويذكر ابن الأثير^(٦) أن الجويني تولى الوزارة لطرغرل بك سنة ٤٣٦هـ/١٠٤٤م،

وعليه يكون قد تولّاها بعد ترك أبي الفتح الرازي الوزارة^(٧).

(١) هندوشاه، تجارب السلف، ص ٢٦٠-٢٦١.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج ٩، ص ١٧٦.

(٣) إقبال، الوزارة، ص ٦١.

(٤) هندوشاه، تجارب السلف، ص ٢٦٠-٢٦١.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج ٩، ص ١٨١.

(٦) ن، ص ١٨١.

(٧) إقبال، الوزارة، ص ٦٤.

والجويني هذا هو نفس الشخص الذي كان يلقب بسالاركو زكان، ومعناه بالفارسية رئيس الديوان^(١)، وقد كان يشغل منصب الرئاسة في نيسابور قبل مجيء السلاجقة إلى خراسان، وهو الذي ساعد طغرل بك عند قدومه إلى نيسابور سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م والتحق بخدمته^(٢)، وتم عزل عن الوزارة، غير أنه لا يعرف الوقت الذي عزل فيه وعاد إلى رئاسة الديوان مرة أخرى وعمل مشرفاً على أملاك طغرل بك، وظل في هذا المنصب حتى نهاية عمره^(٣).

وتولى الوزارة لطغرل بك رئيس الرؤساء أبو عبدالله الحسين بن علي بن ميكائيل^(٤). أو (ابن ميكال الغزنوي)^(٥)، غير أنه لا يعرف الوقت الذي بدأت فيه وزارته ولا الوقت الذي انتهت فيه^(٦)، ولكن يذكر أنه تولى بعد ذلك منصب رئاسة ديوان الرسائل والإنشاء لطغرل بك -في مدينة الري مقر حكم السلاجقة- في عهد وزارة عميد الملك الكندري^(٧) (٤٤٧هـ/١٠٥٥م).

وتولى منصب الوزارة أبو الحسن الدهستاني وهو صاحب حسين الميكالي، وكان من أسرة مرموقة في نيسابور قدمت العديد من العلماء الذين خدموا المذهب

(١) البيهقي، تاريخ، ص ٦٠٤؛ عبد المنعم حسنين، إيران، ص ٣٤٥.

(٢) البيهقي، تاريخ، ص ٦٠٤.

(٣) الباخري، دمية القصر، ج ١، ص ٦٣.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج ٩، ص ١٨١.

(٥) خواند امير، دستور الوزراء، ص ٢٢٨؛ إقبال، الوزارة، ص ٦٤-٦٥.

(٦) إقبال، الوزارة، ص ٦٤.

(٧) الباخري، دمية القصر، ج ١، ص ٦٣.

الحنفي، كما قدمت العديد من الإداريين والموظفين، وقد عمل أبو الحسن في خدمة الغزنويين قبل أن تلحقه أسرة السلاجقة بخدمتها^(١).

ويبدو أن الدهستاني عرف بالجور والظلم، فقد شمل جوره وظلمه خراسان والعراق، وشكاه أحد شعراء عصره بقوله:

لله درّ عصا بة نـاـدمتهم كانوا عصارة هذه الإعصار
فبليت بعدهم بكل مؤاجر ما بين قصار إلى عصار^(٢)

ثم ولي الوزارة عميد الملك الكندري، وهو أبو منصور محمد بن نصر الكندري^(٣) من بني شيبان، ولد بناحية كنور من قرى نيسابور^(٤)، وكان معروفاً بالذكاء والفروسية، وقد اشتهر عنه أنه كان عالماً بالعربية والفارسية^(٥)، ولهذا فقد قدمه الإمام الموفق النيسابوري إلى طغرل بك الذي ألحقه بخدمته، وجعله كاتباً له نظراً لحاجته إلى رجل يجيد اللغتين (العربية والفارسية)^(٦). وقد خدم الكندري طغرل بك خدمات جليلة، فقد كان رجلاً فاضلاً حازماً مدبراً عاقلاً حكيماً^(٧).

-
- (١) أحمد معوض، أضواء على تاريخ، ص ٨٨-٨٩.
(٢) الباخريزي، دمية القصر، ج ٢، ص ٦٤.
(٣) هندوشاه، تجارب السلف، ٢٦١.
(٤) خواندامير، دستور الوزراء، ص ٢٤٤.
(٥) المقرئزي، اتعاط الحنفا، ج ١، ص ٢٥٦.
(٦) ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ١٠؛ إقبال، الوزارة، ص ٦٧.
(٧) هندوشاه، تجارب السلف، ص ٢٦١.

ولعل عميد الملك الكندري كان أول وزير سلجوقي مشهور، وقد استمرت فترة وزارته -كما يرى صاحب (تجارب السلف)-^(١) ثمانية أعوام^(٢)، وإن كان من الممكن اعتبار فترة نفوذه عشرين عاماً إذا عدت الفترة التي قربه فيها طغرل بك إليه، وجعله مشيراً له^(٣).

والواقع يشير إلى أن التحاق الكندري بخدمة طغرل بك لا يمكن أن يكون قد تم في العام الذي دخل فيه طغرل بك نيسابور وهو عام ٤٢٩هـ/١٠٣٧م؛ لأن عميد الملك كان وقتها في الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة من عمره، ولا بد إذن أن يكون قد التحق بخدمته بعد سنوات^(٤).

وخلال فترة وزارة الكندري بلغت الدولة السلجوقية أقصى اتساعها^(٥)، فقد دخل طغرل بك بغداد سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م وكان الكندري معه، بل إنه التقى مع وزير الخليفة ابن المسلمة نائباً عن السلطان طغرل بك^(٦).

وأخذ ابن المسلمة يتصرف بشكل يهدف إلى توثيق العلاقة بالسلطنة، رغم قيام الجيش السلجوقي بنهب دوره ودور أصحابه^(٧)، إذ يذكر أن ابن المسلمة قدم الأموال

(١) البنداري، آل سلجوق، ص ٣١؛ إقبال، الوزارة، ص ٦٦، على أنه تولى الوزارة لطغرل بك ٤٤٧هـ/١٠٥٥م وأنها تلت وزارة نظام الملك الدهستاني. انظر، إقبال الوزارة، ص ٦٨.

(٢) هندوشاه، تجارب السلف، ص ٢٦١.

(٣) أحمد معوض، أضواء على تاريخ، ص ٩٠؛ وهذا يعني أن طغرل بك قد قربه منذ سنة ٤٣٥هـ/١٠٤٣م، وعمره عشرون عاماً.

(٤) كريماني، ري باستان، ص ٢٠٣.

(٥) إقبال، الوزارة، ص ٦٧.

(٦) البنداري، آل سلجوق، ص ١٢؛ إقبال، الوزارة، ص ٦٦-٦٧؛ CLARA L. The Seljuk, p.38.

(٧) ابن خلدون، تاريخ، ج ٣، ص ٥٥٨؛ العزام، الوزارة، ص ١١٥.

اللازمة لنفقات الجيش السلجوقي والتي تقدر بثلاثمائة ألف دينار^(١). وحاول التوفيق وتحقيق المصالحة بين السلطان طغرلبيك وأخيه إبراهيم ينال^(٢). كما سعى لمنع خاتون -أم السلطان- من الخروج ببقايا الجيش السلجوقي لنجدة السلطان بعد انفصال إبراهيم ينال^(٣). ويفترض أن الإجراءات التي اتخذها ابن المسلمة كانت ستعزز مركزه عند السلطنة، لكن النتيجة كانت عكس ذلك إذ يذكر أن السلطان تقدم للخليفة باعتقال وزيره بحجة الاستيلاء على الأموال لصالحه^(٤).

وكان ابن المسلمة على رأس الخارجين لاستقبال السلطان طغرلبيك ووزيره في وفد من القضاة والنقباء والأشراف^(٥)، ويبدو أن سيطرة ابن المسلمة وقوة شخصيته جعلت السلاجقة أثناء اللقاء حريصين على كسب وده، حيث ترجل الوزير السلجوقي عميد الملك الكندري لابن المسلمة، وقدم له جنباً من جنائب السلطان^(٦)، وعند مقابلة ابن المسلمة للسلطان طغرلبيك قام السلطان له وأجلسه بجانبه^(٧).

ولم يكن اختيار الخليفة أبا تراب ابن الأثيري لنيابة الوزارة، ليلقى الاستحسان من قبل السلطنة ولا سيما الوزير عميد الملك الكندري، الراغب أصلاً بمنصب وزارة

(١) الصابئ، عيون، ص ٤.

(٢) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ٤٤٨-٤٨٠، ص ٢٧-٢٨.

(٣) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ص ٣٢.

(٤) الأزدي، أخبار الدول، ص ١٤٠.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج ٩، ص ٦٠٢. العزام، الوزارة، ص ١١٥.

(٦) الأصفهاني، نصره الفترة، ص ٨. ابن الأثير، الكامل، ج ٩، ص ٦١٠. العزام، الوزارة، ص ١١٥.

(٧) البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ص ١٢. العزام، الوزارة، ص ١١٥.

الخلافة^(١)، لذلك كان الكندري يترفع عن الجلوس مع ابن الأثيري أو الاستجابة لمطالبه^(٢)، وأخيراً سعى الكندري به إلى السلطان، فكتب إلى الخليفة بعزله، فعزله^(٣). وكان وزير الخليفة ابن دارست أيضاً على علاقة سيئة بالسلطنة، فكره السلطان ووزيره استخدامه بحجة جهله وإملاقه^(٤)، وازداد غيظ السلطنة عليه لصلته الوثيقة بالخليفة وقربه منه^(٥)، لذلك لما قدم الكندري بغداد للضغط على الخليفة لتزويج ابنته للسلطان، حضر للديوان دون إظهار التقدير والاحترام للخليفة ووزيره^(٦). وأثناء مروره مع ابن دارست بمسجد كتب عليه معاوية خال عليّ، أغلظ لابن دارست بالقول "أما تستحيون تكتبون على مساجدكم هذا"، ولما أعد ابن دارست دعوة له في الديوان شرع يأكل وغلمانهم يتصافعون بمخاد الديوان حتى تقطعت^(٧). إن تصرفات الكندري دليل أن ابن دارست لم تكن له سلطة بجانبه، ومع ذلك نجح الكندري باقناع السلطان ليرسل إلى الخليفة بعزله فاستجاب الخليفة، الذي لم تكن لديه قدرة على رفض طلبه^(٨).

(١) البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٢٤. سبط بن الجوزي، مرآة الزمان (٤٤٨-٤٨٠هـ)، ص ٢٤٨.

(٢) الصابي، عيون، ص ١٥٢.

(٣) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان (٤٤٨-٤٨٠هـ)، ص ٢٤٨. العزام، الوزارة، ص ١١٦.

(٤) البنداري، تاريخ دولة، ص ٢٤.

(٥) خواند امير، دستور الوزراء، ص ٢٠٠.

(٦) البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٢٢. سبط، مرآة (٤٤٨-٤٨٠هـ)، ص ٨٠. العزام، الوزارة، ص ١١٦.

(٧) الصابي، عيون، ص ١٥٥. العزام، الوزارة، ص ١١٦.

(٨) خواند امير، دستور الوزراء، ص ١٩٥.

وقد شارك الكندري طغرلبك في كل تحركاته، فقد شاركه في القضاء على فتنة البساسيري وقتله^(١)، وهو الذي خطب له ابنة الخليفة القائم بأمر الله العباسي، وتوسط لدى الخليفة والسلطان في إنهاء مراسيم الزواج، مما أثار حفيظة الخليفة العباسي عليه^(٢).

ومما يؤخذ على الكندري أنه كان شديد التعصب على الشافعية وخاصة الأشاعرة، يدل على ذلك أنه أمر بلعنهم مع الشيعة، على منابر خراسان، ومما شجعه على ذمهم ولعنهم أنه سمع سيده طغرلبك يذمهم^(٣). ومما شجعه أيضاً أن سيده اعتنق الإسلام على المذهب الحنفي، وهو مذهب الكندري فتعصب له^(٤)، غير أن الكندري عدل عن التعصب لمذهبه فيما بعد، بل حاول التآليف بين الحنفية والشافعية^(٥).

وعندما توفي طغرلبك كان الكندري بعيداً عن الري، وكان قد بعث إليه قبل موته، فحضر قبل أن يُدفن وأخذ البيعة لسليمان بن داوود؛ لأنه كان قد نص عليه^(٦)، مما أثار حفيظة ألب أرسلان، ونظام الملك، فقتلاه سنة ٤٥٧هـ/١٠٦٠م^(٧).

-
- (١) البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ص ١٢، ١٣.
 - (٢) الخطيب، البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٩، ص ٣٩٩-٤٠٤.
 - (٣) نظام الملك، سياسة نامه، ص ١٥٦؛ بروان، تاريخ الأدب، ص ٢١٨.
 - (٤) الراوندي، راحة الصدور، ص ١٤٦.
 - (٥) البنداري، آل سلجوق، ص ٣٠-٣١.
 - (٦) ابن الجوزي، المنتظم، ج ٨، ص ٢٣١-٢٣٢؛ البنداري، آل سلجوق، ص ٢٧؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٢٦، ص ٢٠٤-٢٠٥. محمد إدريس، تاريخ العراق والمشرق، ص ١٣٩.

أمّا ألب أرسلان فقد استوزر نظام الملك الطوسي، وهو الحسن بن علي بن اكثم (نظام الملك) سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م^(٢) ولد نظام الملك في (نوقان)، إحدى قرى الرادكان بطوس سنة ٤٠٨هـ/١٠١٨م^(٣) في أسرة من الدهاقين، وماتت أمه قبل فطامه، وأصيب والده بعد ذلك بكثير من الأزمات المالية، ورغم ذلك فقد نال نظام الملك قسطاً من التعليم، وقرأ القرآن الكريم في طوس، وتعلم اللغة العربية فيها، كما درس الحديث في مدن خراسان كمرو ونيسابور^(٤). ودرس العلوم العقلية: كالحساب والمنطق، والعلوم اللسانية: كاللغة والنحو، وبعد أن أمضى ما يقارب عشر سنوات بطوس تضاعف طموحه، ولم يجد فيما تعلمه ما يشبع رغبته، فأخذت أحلامه تؤرقه، وتملك عليه تفكيره فغادرها إلى نيسابور بصحبة استاذة وبرغبة من والده حيث قدّمه إلى الإمام "الموفق هبة الله" النيسابوري^(١)، فشهد منه الرعاية والعطف حتى أُلِفَ خدمته

(١) الراوندي، راحة الصدور، ص ١٧٦-١٧٧؛ الحسيني، زبدة التواريخ، ص ٢٥؛ ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ١١؛ البنداري، آل سلجوق، ص ١١، ٣؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٢٦، ص ٢٥.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج ٩، ص ٢٦٤-٢٦٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٢، ص ١٤٠.

(٣) طوس: مدينة بخراسان، تشتمل على الطابران ونوقان فتحت أيام عثمان بن عفان، وبها قبر هارون الرشيد وعلي بن موسى الرضا، ياقوت، معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٩-٥٠؛ عبد الهادي محبوبة، نظام الملك، ص ٢٣٥.

(٤) نظام الملك، سياسة نامه، ص ١٥.

هبة الله" النيسابوري^(١)، فشهد منه الرعاية والعطف حتى أُلِفَ خدمته وأنسَ مجلسه، وقضى معه قرابة أربعة أعوام تلقى فيها علوم العصر على يده^(٢).

وقد عرف نظام الملك بتاج الحضرتين؛ لأنه وزر لألب أرسلان وملكشاه^(٣)، وقد بلغت الدولة السلجوقية في عهده أوج قوتها^(٤).

لم يرق للسلطنة ما يتمتع به فخر الدولة بن جهير (وزير الخليفة)^(٥) بدار الخلافة، لذلك فأرسلت رئيس العراقيين أبا أحمد النهاوندي، وابتكين السليماني، وأخذوا يتدخلون بأعمال فخر الدولة ابن جهير بحجة إجراءاته المعادية للسلطنة، ولا سيما سياسته تجاه بني عقيل أمراء الموصل، واستدعائهم لبغداد، وحين حاول فخر الدولة الحد من تصرفاتهم، قام رئيس العراقيين بأخذ إقطاعه الذي بقي بحوزته، حتى راسل الخليفة السلطنة بشأنه^(٦).

(١) الموفق هبة الله النيسابوري، كان كثير المودة للعلماء ومهّد للسلاجقة منذ تأسيس دولتهم واستقبل إبراهيم بنال عند وصوله إلى نيسابور كما تعاون مع طغرل بك عند فتحه لها. انظر البيهقي، ص ٦٠١، ٦٠٥.

(٢) عبد الهادي محبوبه، نظام الملك، ص ٢٣٨-٢٤٠.

(٣) خواندامير، دستور الوزراء، ص ٢٤٥-٢٦٥.

(٤) البنداري، آل سلجوق، ص ٧٠-٧٢؛ إقبال، الوزارة، ص ٣٩.

(٥) فخر الدولة: محمد بن محمد بن جهير الملقب بفخر الدولة، وزر للقائم سنة ٤٥٤هـ/١٠٦٢م وهو الذي أخذ البيعة للمقتدي بالله سنة ٤٦٨هـ/١٠٦٥م بعد وفاة جده القائم وظل وزيراً حتى عزل سنة ٤٧١هـ/١٠٧٨م بناء على أمر نظام الملك ثم عاد للوزارة ثانية سنة ٤٧٢هـ/١٠٧٩م. انظر ابن الجوزي المنتظم، ج ٨، ص ٢٥٦، ٣١٧، ٣١٨.

(٦) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان (٤٤٨هـ-٤٨٠هـ)، ص ١١٥، العزم، الوزارة، ص ١١٧.

وبلغ من نفوذ نظام الملك إن استطاع عزل فخر الدولة بن جهير عن الوزارة سنة ٤٦٠هـ/١٠٦٧م، بعد أن تكدرت علاقته بابن جهير (فخر الدولة) بدسائس المفسدين، ولم يعد للوزارة حتى طيب خاطر نظام الملك^(١).

وقد أحس فخر الدولة بحرج موقفه، وتقدم بإرسال ابنه عميد الدولة إلى دار السلطنة لاستعطاف نظام الملك، وقد صادف عميد الدولة النجاح بمسعاه، وزوجه نظام الملك حفيدته صفية ابنة رئيس جرجان، وعاد إلى بغداد برضى السلطنة عن والده^(٢).

عاد فخر الدولة ثانية إلى الوزارة للخليفة (٤٧٢هـ/١٠٧٩م)، وسعى جاهداً لإرضاء السلطنة، فحين أوقف نظام الملك الأوقاف على المدرسة النظامية ببغداد، حضر فخر الدولة إلى بيت النوبة بدار الخلافة مع القضاة والعدول لكتابة كتب الأوقاف^(٣).

آتت سياسة المصاهرة ثمارها، فلما خرج عميد الدولة محمد بن محمد بن جهير (ت ٤٩٣هـ/١٠٩٩م) عام ٤٦٢هـ/١٠٦٩م لعقد زواج الخليفة على ابنة السلطان ألب أرسلان استقبله النظام بحفاوة حتى رغبه الزواج من ابنة السلطان^(٤)، وحظي بالإكرام أيضاً من قبل السلطان فأثناء المرور بأصفهان في طريق العودة، خرج الأمير ملكشاه لاستقباله وخصه بالترحيب، وأفاض الخلع عليه^(٥). ثم تأزمت علاقة فخر الدولة بالسلطنة عام ٤٦٤هـ/١٠٧١م، فأرسل السلطان أبا العلاء محمد بن الحسين إلى بغداد

(١) خواندامير، دستور الوزراء، ص ١٩٦. العزام، الوزارة، ص ١١٨.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٦، ص ١٩٩؛ ابن خلكان، وفيات، ج ٥، ص ١٣١-١٣٢؛ العزام، الوزارة، ص ١٢٢.

(٣) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان (٤٤٨-٤٨٠هـ)، ص ١٤٠. البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٣٧. خواندامير، دستور الوزراء، ص ١٩٧. العزام، الوزارة، ص ١١٨.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج ٦٦، ص ١٤٠. البنداري، تاريخ دولة، ص ٤٥-٤٦. محمد حسين شندب، الحضارة الإسلامية، ص ٢٨.

(٥) البنداري، تاريخ دولة، ص ٤٦. العزام، الوزارة، ص ١١٩.

ليكون وزيراً للخليفة بعد أن خلع عليه، ولقبه وزير الوزراء، وأقطع نصف إقطاع ابن جهير، وذلك بتدبير من نظام الملك^(١).

ويبدو أن تصرفات السلطنة هذه أغاظت الخليفة بدليل امتناعه عن استقبال أبي العلاء، لكن السلطنة أصرت على موقفها، وأرسلت سعد الدولة الكوهرائين برسالة إلى الخليفة، فطلب تأديتها دون حضور فخر الدولة وأمام إصرار الخليفة اضطر إلى دفع الكتاب في خريطة سوداء، والرسالة في رقعة، وكان فيها الشكوى من ابن جهير وذكره بالقبيح، والإصرار على عزله^(٢).

سعى فخر الدولة لكسب رضى السلطنة، واستغلال أي مناسبة للتعبير عن الإخلاص والولاء، فحين خرجت الخاتون زوجة الخليفة للري، خرج عميد الدولة لتشجيعها مع الخدم إلى النهروان^(٣)، ولما وصل نعي السلطان ألب أرسلان بغداد، جلس فخر الدولة في صحن دار الخلافة للعزاء، ولما وصل رسول ملكشاه يحمل كتاب طلب التقليد، قام فخر الدولة بقراءة أوله. وحين أرسل عميد الدولة من قبل الخلافة إلى دار السلطنة حاملاً للتقليد ومهنئاً بالسلطنة^(٤). سعى عميد الدولة جاهداً لاستغلال المناسبة لتحسين صورة والده لدى السلطان (ملكشاه) ووزيره النظام، ويبدو أنه صادف بعض

(١) سبط نب الجوزي، مرآة الزمان (٤٤٨-٤٨٠هـ)، ص ١٥٥. العزام، الوزارة، ص ١١٩.

(٢) الصابي، عيون، ص ٢٧٣-٢٧٤، العزام، الوزارة، ص ١١٩.

(٣) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ص ١٦٠، العزام، الوزارة، ص ١١٩.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ٩٠؛ سبط بن الجوزي، مرآة الزمان (٤٤٨-٤٨٠هـ)، ص ١٦٦-

١٦٨، العزام، الوزارة، ص ١١٩.

النجاح، إذ أن الوزير نظام الملك بعث في ذات العام ٤٦٥هـ/١٠٧٢م بكتاب إلى فخر الدولة، يخبره بوقعة السلطان ملكشاه مع عمه قاروت بك وأسره إياه^(١).

تأزمت علاقة فخر الدولة بالسلطنة بدسائس الوشاة^(٢) إلى النظام إضافة إلى قدوم مؤيد الدين بن نظام الملك إلى بغداد، وانشغال الخليفة ووزيره عن استقباله، وحاول فخر الدولة استرضاءه، إذ ركب إليه في موكب، وترك الخليفة استقبال عميد الدولة القادم من الري لأجله^(٣)، لكن دون جدوى. وازدادت العلاقة تدهوراً بعد أن أشيع ببغداد تشجيع نظام الملك للسلطان ملكشاه على قتل عمته كوهرخاتون، وقولهم بنظام الملك "ما كفاه بناء هذه المدرسة النظامية، وغصبه لأرض الناس حتى دخل بالدماء"^(٤). فاعتبر نظام الملك فخر الدولة المسؤول عن التشجيع عليه^(٥). ورغم أن عميد الدولة رأى في خروجه لأخذ البيعة من ملكشاه للخليفة المقتدي فرصة لإرضاء نظام الملك وتكذيب ما نسب إلى أبيه (فخر الدولة بن جهير)^(٦) إلا أن ظروف بغداد، والصراع بين الشافعية والحنابلة حالت دون نجاحه، فما أن تجددت الفتنة عام ٤٧٠هـ/١٠٧٧م بين الحنابلة والشافعية ووصل الخبر لنظام الملك، حتى اتهم فخر

(١) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان (٤٤٨-٤٨٠هـ)، ص ١٦٠. العزام، الوزارة، ص ١٢٠.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٦، ص ١٥٤. العزام، الوزارة، ص ١٢٠.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٦، ص ١٥٧. البنداري، تاريخ دولة، ص ٥١. العزام، الوزارة، ص ١٢٠.

(٤) الصابي، عيون، ص ٢٩٨؛ البغدادي، تاريخ دولة، ص ٥١.

(٥) الصابي، عيون، ص ٣٢٣. العزام، الوزارة، ص ١٢٠.

(٦) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان (٤٤٨-٤٨٠هـ)، ص ١٧٨، العزام، الوزارة، ص ١٢٠.

الدولة^(١)، وأرسل إلى الخليفة طالباً عزله، ولتأكيد طلبه أرسل شحنة بغداد سعد الدولة الكوهرائين، ورغم تمسك الخليفة بوزيره إلا أن الشحنة أصر على طلبه، مما أجبر فخر الدولة على طلب الاستعفاء ولزوم منزله^(٢).

لكن الخليفة وجد الفرصة للتخلص من السيطرة السلجوقية، وعزل عميد الدولة عن النيابة^(٣)، ولم يكن اختيار أبي شجاع ظهر الدين للنيابة برضى السلطنة، فقد كان نظام الملك يكرهه^(٤)، إضافة إلى ولده مؤيد فكتب إلى الخليفة طالباً عزله فعزله^(٥).

ورشح السلطان بتأثير الوزير نظام الملك عميد الدولة بن جهير لوزارة الخليفة، وكتب نظام الملك إلى الخليفة بحقه "وأن أحداً لا يقوم مقامه، وأنني ما رضيت عنه وزوجته بولدي، رميت كل عداوة كانت من جهتي، وصافيته إلا للقرب من الخدمة"^(٦). وفي هذا دليل على العلاقة الوطيدة التي تربطه بالوزير نظام الملك، والذي ظل الملك يدعمه حتى توفي سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م^(٧).

-
- (١) الصابي، عيون، ص ٣٥١. إقبال، وزارة السلاجقة، ص ١٨٩. العزام، الوزارة، ص ١٢١.
 (٢) ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ١٠٩-١١١. البنداري، تاريخ دولة، ص ١٥٥. العزام، الوزارة، ص ١٢١. محمد حسين شندب، الحضارة الإسلامية، ص ٣٤.
 (٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٦، ص ١٩٩؛ البنداري، تاريخ دولة، ص ٥٥.
 (٤) السبكي، طبقات الشافعية، ج ٤، ص ١٣٧.
 (٥) الصابي، عيون، ص ٣٧١.
 (٦) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٦، ص ٢٠٠. العزام، الوزارة، ص ١٢٢.
 (٧) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٦، ص ٢٩٩. العزام، الوزارة، ص ١٢٦. Carla. L. The Seljuk .Verzirate, p.29.

أدار نظام الملك أمور السلطنة السلجوقية بما كان يتمتع به من دراية وحنكة وتدبير^(١). ولنظام الملك فضل كبير على سلاطين السلاجقة؛ فقد كان له دور في إجلال ألب أرسلان على العرش -في مدينة الري-^(٢)، وكان استقرار أمور ملكشاه وقضائه على منافسيه يعود إلى فضل النظام وكفاءته^(٣)، هذا بالإضافة إلى كفاءة معاونيه^(٤). ونظراً لأهمية الجيش فقد أولاه نظام الملك جل عنايته، ومما يثبت ذلك ويدل بنفس الوقت على بعد نظر النظام ما ذكره ابن الأثير من أن السلطان ملكشاه استعرض جيشه سنة ٤٧٣هـ/١٠٨٠م، فأمر بإسقاط سبعة آلاف جندي لم يعجبه حالهم، فاعترض نظام الملك على ذلك الإجراء، وقال للسلطان "إن هؤلاء ليس فيهم كاتب ولا تاجر ولا خياط، ولا من له صنعة غير الجندية، فإذا أسقطوا لا نأمن أن يقيموا منهم رجلاً، ويقولوا هذا هو السلطان، فيكون لنا منهم شغل، ويخرج من أيدينا أضعاف ما لهم" فلم يقبل السلطان ملكشاه قوله، فسار أولئك الجند إلى تنش أخو السلطان ببوشنج فقوى بهم^(٥).

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٦، ص ٧٠-٧٢؛ العزّام، الوزارة، ص ٣٩.

(٢) ابن الأثير، الباهر، ص ٩-١٠؛ إقبال، الوزارة، ص ٣٩-٤٠.

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٥، ص ٢٨٤؛ أبو المحاسن، النجوم الزاهرة، ج ٥، ص ١٣٥.

(٤) البنداري، آل سلجوق، ص ٧٠-٧٢؛ إقبال، الوزارة، ص ٣٩.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ١١٨-١١٩.

ويعرف نظام الملك بحبه الشديد للصوفية؛ فقد كان المتصوفة موضع عنايته، حتى قيل أنه لم يكن يعير اهتمامه لغير الأئمة والمتصوفة^(١)، فكان يؤمن لهم نفقاتهم سنوياً، كما اهتم بخوانقهم^(٢).

أمّا أشهر أعمال نظام الملك على الإطلاق فهو تأسيس المدارس النظامية^(٣)، فعلى الرغم من أن تأسيس المدارس في ديار الإسلام كان سابقاً عليه، وأنه لم يكن مبتكراً له، فقد كان النظام في أول من سن نظاماً تربوياً جديداً، يتمثل في تعيين رواتب، وتخصيص مساكن لطلاب العلم، وتأمين سكن ونفقات للمدرسين، حتى أن المدارس النظامية في بغداد ونيسابور والري وغيرها قد كانت مجهزة ليل نهار^(٤).

وخلال السنوات العشر التي كان فيها نظام الملك وزيراً لألب أرسلان، والعشرين سنة التي وزر فيها لملكشاه، انشغل بتنفيذ أمرين هامين، أولهما: العمل على دعم المذهب السني، ومحاربة الشيعة عامة والباطنية خاصة^(٥).

-
- (١) العروضي، السمرقندي، جهاز ومقالة، ص ٦٧-٦٨؛ عبد الهادي محبوبة، نظام الملك، ص ٢٤١.
- (٢) الخانقاه: مكان يجتمع فيه الصوفية للذكر والعبادة ويعرف بالتكية فارسي الأصل، عبد المنعم حسنين، قاموس الفارسية، ص ٢١٣.
- (٣) البندراي، آل سلجوق، ص ٥٨-٦١؛ خواندامير، دستور الوزراء، ص ٢٤٦؛ عبد الهادي محبوبة، نظام الملك، ص ٣٥٣.
- (٤) نظام الملك، مقدمة سياست نامه، ص ١٧؛ عبد الهادي محبوبة، نظام الملك، ص ٣٥٣-٣٦٤.
- (٥) نظام الملك، مقدمة سياست نامه، ص ٢٠٣.

وثانيهما: إنشاء المدارس النظامية^(١). ومن أهم أعمال نظام الملك كتاب (سياسة نامة)، وهو من أهم الكتب التي كتبت بالفارسية في زمنه وأكثرها قيمة؛ لما يحتويه من الأخبار والروايات التاريخية علاوة على ما يشتمله من آراء سياسية كان نظام الملك يؤمن بها بدليل قوله (لقد اتخذت هذا الكتاب إماماً لي وعليه أسير) وقد قام بإهداء كتابه هذا إلى السلطان ملكشاه^(٢).

لكن العلاقات ساءت بين السلطان ووزيره، وقتل نظام الملك على يد ألد أعدائه وهم الباطنية (٤٨٥هـ/١٠٩٢م)^(٣)، واتهم ملكشاه بتدبير ذلك على خلفية علاقاته السيئة في أواخر حياته معه، ومما قيل في رثاء نظام الملك قول الشاعر الحكيم الأنوري^(٤).

لقد رحل حامي العالم من ظلم الأفلاك.

ورحل وحيد عصره وفريد زمانه

ورحل منظم ومدبر العالم

ورحل برحيله السرور والصفاء (عن) العالم

وقد تم دفنه في أصفهان.

(١) يحيى الخشاب، نظام الملك، ص ٥٥٧.

(٢) نظام الملك، سياسة نامة، ص ٢٠٣-٢٠٨؛ عبد الهادي محبوبة، نظام الملك، ص ٤٥٧.

(٣) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٢، ص ٤٧٩؛ الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص ٦٥؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص ٤٧٦؛ ابن خلدون، تاريخ، ج ٥، ص ١٤-١٥؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٢٦، ص ٣٣٠-٣٣١؛ عبد الهادي محبوبة، نظام الملك، ص ٢٦٣.

(٤) خواند امير، دستور الوزراء، ص ٢٥٨؛ بروان، تاريخ الأدب، ص ٤٦٢-٤٩٤.

خلف نظام الملك في الوزارة الرئيس (أبو) الغنائم جمال الدين تاج الملك
مرزبان بن خسرو فيروز الشيرازي^(١). ولد تاج الملك الشيرازي في فارس سنة
٤٣٨هـ/١٠٤٦م من أب كان يشغل منصب الوزارة، وعنه تعلم تاج الملك آداب الكتابة
ومفاهيم الوزارة وفنونها^(٢).

التحق تاج الملك بخدمة الأمير السلجوقي "فضل الدين عماد الدولة (ساوتكين)
المعروف (بالرهنك)^(٣)، والذي حكم كرمان وفارس والعراق سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٣م،
وهو العام الأول من حكم السلطان ملكشاه.

حظي تاج الملك باهتمام الأمير ورعايته، وظل يزاوّل عمله (كتابة) إلى أن قدّمه
(ساوتكين) إلى السلطان ملكشاه بسبب كفاءته في أعمال الديوان، فقبله السلطان في
جهازه الإداري، ووكل إليه بعض أولاده^(٤)، ونال ثقته، وعهد إليه بخزائنه الخاصة
وبيوته السلطانية، فأصبح مشرفاً على شؤون الملابس السلطانية^(٥)، كما كلفه السلطان
بالاتصالات والمهام العسكرية، وجعل له ديوان الإنشاء والطغراء^(٦).

(١) البنداري، آل سلجوق، ص ٦٤؛ إقبال، الوزارة، ص ١٤٤.

(٢) خواندامير، دستور الوزراء، ص ٢٥٦؛ إقبال، الوزارة، ص ١٤٤.

(٣) الرهنك، تعني القائد، ورتبه في الجيش بدرجة مقدم، النوري، حسن، اصطلاحات ديواني، ص ١٣٣.

(٤) هو الأمير أبو شجاع أحمد الملقب بملك الملوك وعضد الدولة وتاج الملة عدة أمير المؤمنين، ابن

ملكشاه الذي كان قد اختاره ولياً لعهد سنة ٤٨٠هـ/١٠٨٧م، وهو في الحادية عشرة من عمره أن

تاج الملك مرزبان كان وزيره، ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص ٤٥٦؛ إقبال، الوزارة، ص ١٥١.

(٥) الراوندي، راحة الصدور، ص ٢٠٧.

(٦) البنداري، آل سلجوق، ص ٦٤-٦٥.

كان تاج الملك رجلاً فصيحاً ماهراً سخيّاً، شهماً^(١)، وكان يطلب الجاه ويسعى في نيل منصب الوزارة، الأمر الذي جعله متلوناً متقلّباً، ففي الوقت الذي كان فيه يوقر نظام الملك ويعظمه غاية التعظيم، كان يشوه صورته لدى السلطان ملكشاه^(٢).

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل إن تاج الملك تأمر على نظام الملك مع بعض خواص السلطان وعلى رأسهم مخدومته ترکان خاتون، زوجة ملكشاه وهي العدو التقليدية^(٣) لنظام الملك، واشترك معهما في المؤامرة مجد الدولة القمي المستوفى^(٤)، وسديد الملك أبو المعالي العارض^(٥)، وكانا أيضاً من أشد الناس عداوة لنظام الملك.

اجتهد تاج الملك في إبعاد نظام الملك عن الوزارة وبفضل مساعدة مجد الملك وسديد الملك أمسك بزمام أمور الديوان، واستولى على أموال الدولة، وأعمال المملكة، وبات يصرف شؤونها بمساعدتهما، وهما اللذان أوغرا صدر السلطان عليه^(٦). وعجّل مقتل نظام الملك بتولي تاج الملك (أبي الغنائم) الوزارة لملكشاه، ونظراً لأن الجميع كانوا يرون فيه الوزير بدل نظام الملك^(٧)، فقد رشح للوزارة، ولكنه لم يهنأ بها، ففي اليوم الذي وقع عليه الاختيار فيه ليكون وزيراً، خرج ملكشاه للصيد فأصيب بالحمى^(٨)،

(١) ن، م، ص ٦٤؛ الراوندي، راحة الصدور، ص ٢٠٧.

(٢) الراوندي، راحة الصدور، ص ٢٠٧. البنداري، آل سلجوق، ص ٦٤.

(٣) الحسيني، أخبار الدولة، ص ٦٩؛ خواندامير، دستور الوزراء، ص ٢٥٦.

(٤) الراوندي، راحة الصدور، ص ٢٠١.

(٥) ن، م، ص ٢١٠.

(٦) إقبال، الوزارة، ص ١٤٥.

(٧) هندوشاه، تجارب السلف، ص ٢٨١.

(٨) إقبال، الوزارة، ص ١٤٦-١٤٧.

ومات يوم الجمعة في منتصف شوال سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م^(١)، وهو اليوم الذي حدد لتتصيب تاج الملك وزيرا.

نادى تاج الملك بابن مخدومته ترکان خاتون (واسمه محمود) سلطاناً على السلاجقة، وأطلق عليه لقب (ناصر الدنيا والدين) وكان عمره يتجاوز الرابعة^(٢).

وكان تاج الملك قد اتفق مع ترکان خاتون على إخفاء موت السلطان، وأرسل شخصاً إلى العاصمة أصفهان للقبض على ولي العهد برکیارق، وهو الابن الأكبر لملكشاه، وقاما بحبسه^(٣)، فثار النظامية (جند نظام الملك وأتباعه) بسبب حقنهم على الوزير لتيقنهم بأنه قاتل سيدهم (نظام الملك)^(٤)، وانضموا إلى برکیارق وخلصوه من سجنه، ونقلوه من أصفهان إلى الري، وجهزوا أنفسهم لمقابلة خاتون وتاج الملك، فالتقوهم في بلدة بروجرد^(٥) في أواخر ذي الحجة سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م^(٦). انتصر برکیارق، وفرض حصاراً حول بروجرد، فتقدم إليه تاج الملك وعرض خضوعه وطاعته وكان قد فرّ من موقعة بروجرد، فألقي القبض عليه بعد فراره بمدة قصيرة^(٧).

(١) البنداري، آل سلجوق، ص ٦٥.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص ٤٨٤.

(٣) البنداري، آل سلجوق، ص ١٨١.

(٤) إقبال، الوزارة، ص ١٤٧.

(٥) بروجرد: بلدة من همدان الكرج وهي مدينة حصينة كثيرة الخيرات تحمل فواكهها إلى الكرج،

ياقوت، معجم البلدان، ج ١، ص ٤٠٤.

(٦) ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص ٤٨٥.

(٧) ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص ٤٨٥.

عرض تاج الملك على بركيارق والنظامية^(١) دفع مائتي ألف دينار بصفة تعويض لهم، وكاد بركيارق أن يسلمه الوزارة لولا ثورة النظامية الذين كانوا يكونون حقداً شديداً لتاج الملك، وأخبروا بركيارق بأنهم لا يقنعون إلا برأس تاج الملك^(٢). وانتهى الأمر فعلاً بهجومهم عليه وقتله، وكان ذلك في الثاني عشر من محرم ٤٨٦هـ/ ١٠٩٣م^(٣).

أمّا عن مراسيم الوزارة، فيعتبر السلطان طغرل بك أول من بدأها، فقد كان اختيار الوزير يتم من السلطان شخصياً^(٤).

وكانت المراسيم تتم في مدينة الري مر نظام الحكم، تبدأ بأن توضع أمام الوزير دواة إشارة إلى قيامه بمهام وظيفته^(٥)، ثم يقوم السلطان بإصدار منشور بحق وزيره^(٦)، وكان المنشور يحمل إلى الوزير من قبل أمير من أمراء الدولة، وكان على الوزير أن يركب من داره إلى دار السلطنة مرتدياً لباس التشاريف، وبين يديه الحجاب والقواد والغلمان^(٧).

أمّا مركوب الوزير فقد كان بغلة خاصة عليها قماش مطرز بالذهب، وكان سرجها من حرير وفي وسطه جلد فهد، وكان يقودها الغلمان حتى وصول الموكب إلى

-
- (١) ن، م، ص ٤٨٥.
 - (٢) إقبال، الوزارة، ص ١٤٧.
 - (٣) ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص ٤٨٥.
 - (٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ١، ص ١٠١-١٠٢.
 - (٥) الراوندي، راحة الصدور، ص ٢٧٢.
 - (٦) الصابي، عيون، ص ١٥٢. ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ١٤. العزام، الوزارة، ص ٨٩. حسين أمين، نظم الحكم، ص ٢١٦.
 - (٧) الصابي، عيون، ص ١٥٢. ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٥، ص ٣٤٤. خواندامير، دستور الوزراء، ص ١٩٥. العزام، الوزارة، ص ٨٨.

دار السلطنة، وبعد حضور الأعيان والقضاة وأركان الدولة يتم تلاوة نص التقليد، وبعد الانتهاء يقوم الوزير فيقبل يد السلطان، ويقول "لقد قبلت وتقلدت"^(١).

وقد أثر عن السلاجقة أنهم كانوا يلقبون وزراءهم بألقاب فخرية مضافة إلى أسمائهم، وكان السلطان طغرل بك أول من لقب وزيره الدهستاني بلقب (نظام الملك)^(٢)، ولقب الكندري بعميد الملك ووصفه بـ (سيد الوزراء) مضافاً إلى عميد الملك عنما قضى على فتنة البساسيري^(٣).

ويعتبر نظام الملك الطوسي أول وزير سلجوقي تلقب بأكثر من لقب ولعل ذلك يعود إلى كفايته وإخلاصه في عمله، ومن ألقابه في عهد ألب أرسلان (خواجه بزرگ) أي الوزير العظيم، ومن ألقابه أيضاً (قوام الدين والدولة رضى أمير المؤمنين)^(٤)، وهو لقب خلعه عليه الخليفة القائم تكريماً له ومكافأة على جهوده، ولم يؤثر عن الخلفاء أنهم منحوا لقباً لأي وزير سلجوقي غيره^(٥)، ومن ألقابه (أتابك الجيوش)^(٦)، لقب به من قبل ملكشاه. أمّا لقب تاج الحضرتين فلقب به لأنه وزر لسلطانين، وأطلق عليه سلاطين السلاجقة ألقاباً أخرى مثل قوام الدين، وصدر الإسلام، وسيد الوزراء، وخليفة

(١) الصابي، الوزراء، ص ٧٩.

(٢) إقبال، الوزارة، ص ٦٤.

(٣) البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٢٠.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج ٨، ص ٢٣٥؛ ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ٨٠؛ البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٧٢.

(٥) خواند امير، دستور الوزراء، ص ٢٥٤-٢٥٦.

(٦) نظام الملك، مقدمة سياست نامه، ص ١٥؛ ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ٨٠؛ خواند امير، دستور الوزراء، ص ٢٥٤-٢٥٦.

السلطان، وغيث دولة السلطان، وزير ملك بلاد السلاجقة، وغيث الدور، والصدر الأجل^(١).

الولاية

استطاع السلاطين العظام بحكم تقاليدهم القبلية أن يضموا إليهم جميع إخوتهم، وبني عمومهم، وأبناء جلدتهم من السلاجقة، وأخذوا منهم الطاعة والولاء بالرضا تارة، وبالقهر تارة أخرى، فقد استطاع أول سلاطينهم أن يكسب ولاء جميع أفراد البيت السلجوقي وطاعتهم^(٢). وقد بلغت الدولة بفضل الولاء والطاعة أوج قوتها، وضمت إليها مناطق واسعة^(٣). ويرجع الفضل في وضع نظام اللامركزية في الحكم إلى طغرل بك؛ فقد عين أمراء البيت السلجوقي كل على ناحية من نواحي الدولة، ولقب كل واحد منهم بلقب ملك، فقد جعل (جغري بك) أكبر أخوته سناً حاكماً على مرو، وخصه بمعظم خراسان وتلقب بالملك، كما كان موسى ييغو كلان -أكبر السلاجقة سناً- حاكماً على بست وهرارة وسجستان وما جاورها من الجهات التي فتحها، وكان موسى هذا يحمل لقب ملك، أما قاورد بيك وهو أكبر أبناء جغري بك، فقد عين حاكماً على ولاية

(١) إقبال، الوزارة، ص ٧١-٧٥.

(٢) البنداري، آل سلجوق، ص ٨.

(٣) عبد المنعم حسنين، السلاجقة، ص ١٦٩.

الطبيين وكرمان، وكان يلقب ملكاً، وكان إبراهيم ينال حاكماً على قهستان وجرجان^(١)، في حين لزم الأمير ألب أرسلان خدمة^(٢) عمه طغرل بك، وبقي معه ليدبر أموره^(٣).

وقد كان لتعيين والي الولاية أو أميرها مراسيم متبعة في مدينة الري، فقد كانت تعدّ له الخلعة أو الزي الخاص، وهي خلعة فاخرة تشتمل غالباً على منطقة من الذهب، وقبعة ذات ركنين، وسرج ذهبي بألف مثقال، وعدد من الغلمان، ومقدار كبير من المال لا يقل عن مائة ألف درهم، وعدد من الملابس، والأفيال والكوسات^(٤) والراية^(٥).

وكان الوزير يعدّ كتاب العهد ليقرأ أمام السلطان في المجلس ويشهد عليه الحضور، ثم يقسم الأمير على الوفاء ويباركة السلطان^(٦).

كان الوالي يمارس كافة السلطات المدنية، وهو الذي يعين صاحب الشرطة في كل مدينة أو ناحية من نواحي ولايته، وتسند إليه قيادة القوات العسكرية في الولاية^(٧). كانت الري مقرّاً للسلطان طغرل بك، وكان مسؤولاً عن إدارتها، تم تعيين أمير أو شحنة عليها. والشحنة من المناصب التي استحدثها السلاجقة، ويتمتع شاغل هذا المنصب بسلطات بوليسية، وإدارية وعسكرية، فهو المسؤول عن إدارة المدينة، والمحافظة على أمنها واستقرارها، وملاحقة الخارجين على النظام ومعاقبة المسيئين^(٨).

(١) الراوندي، راحة الصدور، ص ١٦٨، ١٦٩.

(٢) الراوندي، راحة الصدور، ص ١٦٨؛ الحسيني، أخبار الدولة، ص ٢٢، ٢٣.

(٣) الراوندي، راحة الصدور، ص ١٦٨؛ الحسيني، أخبار الدولة، ص ٢٢، ٢٣.

(٤) الكوسات: جمع كوست وهو الطبل الكبير، انظر البيهقي، تاريخ، ص ٨٠٤.

(٥) البيهقي، تاريخ، ص ٢٩١، ٤١٣.

(٦) ن، م، ص ٢٩٦.

(٧) بدر عبدالرحمن، رسوم، ص ٧٠، ٧١.

(٨) حسين أمين، نظام الحكم، ص ٢٢٠.

ولقد حدد نظام الملك الشروط الواجب توافرها فيمن يتولى وظيفة الشحنة ومن ذلك قوله "ليبحث في كل مدينة عمن له شفقة في الدين، وعلى أمور الدين، ويخاف الله تعالى، وليس بصاحب غرض، ثم يقال له إننا نضع هذه المدينة أو الناحية أمانة في عنقك، عليك أن تحيط بكل شيء، وتتحرى كل صغيرة وكبيرة، ثم تحيطنا علماً بالحقيقة سراً وعلانية لكي نأمر باتخاذ التدبير اللازمة"^(١). بل إن نظام الملك أوجب على من تتوافر فيه هذه الصفات أن يلتزم بقبول الوظيفة، وإلا أجبر على تحملها^(٢).

ويبين ابن خلدون الأسباب التي دعت السلاجقة إلى تعيين شحنة بأنها "كثرة الفتن وانتشار الزعار والمفسدين، هذه الفتن التي كانت بين أهل السنة والشيعة، وبين الحنابلة والشافعية"^(٣).

القضاء

يعتبر النظام القضائي من أهم النظم الإسلامية، وقد وجد منذ عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وهو نظام ذو أهداف سامية دعا إليها الإسلام بشدة حيث يقوم على أساس الفصل بين الناس في الخصومات (حسماً للتداعي، وقطعاً للتنازع وفقاً

(١) نظام الملك، سياست نامه، ص ٨٣.

(٢) كريمان، ري باستان، ج ١، ص ١٣٨.

(٣) ابن خلدون، المقدمة، ص ٤٥١.

"(للقواعد) المستقاة من الكتاب والسنة"^(١)، أي أن مهمة القاضي الأساسية تكمن في الفصل بين المتنازعين حسب الشريعة الإسلامية"^(٢).

وفي العصر العباسي ازدادت أعباء ومهام القضاة بصورة كبيرة، حيث أضيف إلى أعمالهم أحياناً أعمال أخرى مثل الحسبة، وبيت المال، والنظر في أموال المحجور عليهم، وفي وصايا المسلمين وتزويج الأيامي، والإفتاء والولاية على المساجد، والخطابة، والإمامة، والتدريس^(٣). وكذلك الإشراف على مؤسسات الدولة، كما يتضح من الكتابات الأثرية على بعض الآثار الإسلامية^(٤). ولقد كان القضاء من حيث المبدأ مستقلاً في أحكامه^(٥)، وكان القضاة يعينون من قبل الخلفاء^(٦)، وكان هذا حقاً من حقوق الخليفة حتى في العهدين البويهى والسلجوقي^(٧). وعلى الرغم من أن السلطان كان يختار القضاة في العصر السلجوقي، حيث كان على الخليفة الموافقة فقط على اختيار السلطان السلجوقي القوي؛ لأن بقاءه في الخلافة مرهون بإرادة السلطان، وعلى الرغم من ذلك لم يكن باستطاعة البويهيين والسلاجقة في أي وقت تعيين القضاة دون موافقة

(١) الذهبي، العبر، ج٣، ص٤٧٧؛ الزعبي، القضاء، ص١٢٩.

(٢) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص١١١. القلقشندي، صبحى الأعشى، ج٦، ص٢٣. أحمد الشامي، الحضارة، ص٨٨؛ الزعبي، القضاء، ص٦٧.

(٣) ابن خلدون، المقدمة، ص٢٢١؛ حسن إبراهيم حسن، النظم الإسلامية، ص٢٨١؛ عصام شبارو، القضاء، ص٢٠.

(٤) حسن الباشا، الفنون والوظائف، ج٢، ص٨٣٣-٨٤٠؛ متر، الحضارة الإسلامية، ج١، ص٤١٢.

(٥) جعفر خصبك، القضاء في العراق، ص٨٦، ٨٧.

(٦) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٦٥-٦٨؛ متر، الحضارة الإسلامية، ج١، ص٣٩٦.

(٧) جعفر خصبك، القضاء، ص٨١.

الخليفة؛ لأن هذا مرتبط بالإسلام، وهذا ما كان يحترمه هؤلاء الأجانب والعجم في الخليفة والعلماء المسلمين^(١).

وكان في الحياة الديوانية نزعة قوية إلى جعل المناصب وراثية من الأب إلى الابن، وأظهر ما كان ذلك في مناصب القضاء، ففي القرنين الثالث والرابع تقلد قضاء القضاة من أسرة واحدة وهي أسرة أبي الشوارب ثمانية رجال ببغداد^(٢)، هذا عدا ستة عشر قاضياً آخرين من هذه الأسرة وظلوا بنوabi بردة منذ حوالي ٣٢٥هـ — ٩٣٧م يتقلدون قضاء القضاة بفارس أجيالاً كثيرة، كما ظلوا قروناً كثيرة منذ ٤٠٠ وقضاة غزنة.

وكذلك توارث آل النعمان قضاء القضاة ثمانين سنة في عهد الفاطميين بمصر. وقد لاذت شوكة هذه الأسرة التي توارثت القضاء زيادة هائلة، وذلك لأن نظام الاستخلاف في المناصب ظهر في القضاء، كما كان في مناصب الولاية وحكم الأقاليم، ونجد في صور المخاطبات التي ترجع إلى أوائل القرن الرابع الهجري أنه كان بمصر قاض واحد وكان القاضي عبدالجبار قاضي قضاة بني بويه يجمع بين قضاء الري وهمذان والجبال^(٣).

(١) صفية سعادة، تطور منصب قاضي القضاة، ص ١٦، ١٧.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج ٥، ص ٨٣؛ عصام شبارو، القضاء، ص ٨٣؛ متز، الحضارة الإسلامية، ج ١، ص ٤٢٥.

(٣) متز، الحضارة الإسلامية، ج ١، ص ٤٢٥، ٤٢٦.

وقد انتقل هذا المنصب إلى كل الدول الأخرى التي عاصرت أو تلت الخلافة العباسية^(١). فقد اتخذ سلاطين السلاجقة قاضي قضاة لهم يقيم معهم في حاضره السلطنة السلجوقية، وذلك خلاف قاضي القضاة في العصر العباسي^(٢)، ولا بد أن يكون سنياً وفق مذهبهم^(٣).

وأيضاً تميز منصب قاضي القضاة في عهد السلاجقة العظام بظاهرة جديدة، حيث سيطرت عائلة واحدة على منصب قاضي القضاة وتوارثتها أباً عن جد، بدءاً من ٤٤٧هـ/١٠٥٥م حتى سنة ٦١٣هـ/١٢١٦م في العراق وهم الدامغانيون^(٤)، ومن أشهر من تقلد منصب قاضي القضاة زمن السلاطين العظام أبو عبدالله محمد بن علي بن الحسين بن عبدالملك الدامغاني، وهو أول من تقلد هذا المنصب في العصر السلجوقي، وقد ولد أبو محمد في دامغان، ودرس فيها الفقه، ولما بلغ عمره الحادية والعشرين انتقل إلى بغداد حيث تابع دراسته للفقه والحديث على يد علماء بغداد^(٥).

(١) أحمد عبدالرزاق، الحضارة، ص ١٠٥.

(٢) إدريس، رسوم، ص ٩٦.

(٣) الراوندي، راحة الصدور، ص ١٤٥-١٤٨.

(٤) الدامغانيون هي أسرة تنسب إلى دامغان بلدة من بلاد قومس تقع بين الري ونيسابور وكانت كثيرة الفواكه ونسب إليها عدد من العلماء وكان أشهرهم قاضي القضاة أبو عبدالله محمد بن علي بن محمد الدامغاني حنفي المذهب وتولى منصب قاضي القضاة أكثر من واحد من أولاده. انظر: السمعاني، الأنساب، ج ٢، ص ٢١٢؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٩٣-٤٩٤.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٥، ص ٣٥١-٣٥٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٢، ص ٥٨.

ولقد كان أبو محمد متمرساً في الفقه كتمرسه في القضاء، وقد تقلد منصب قاضي القضاة حتى وفاته سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م^(١).

ويرجع سبب اختيار الدامغاني قاضياً للقضاة في بغداد إلى أمرين كلاهما مر بالنسبة للخليفة ولأهل بغداد أمّا الأول: فهو أن وزير طغرلبيك الكندري كان معروفاً بتحيزه للمذهب الحنفي، وأنه صمم على تعيين قاضي القضاة من الأحناف^(٢)، ولذلك لقي اقتراح اسم الدامغاني الحنفي قبولاً عند عميد الملك الكندري والسلاجقة في آن واحد^(٣). والثاني هو أن السلاجقة أرادوا اختيار قاضي للقضاة، لكي يضمّنوا استمرار ولائه، ثم إنه كان إيرانياً، وإيران مركز قوة للسلاجقة؛ وكان يتكلم الفارسية، وهي اللغة كان يفهمها السلاجقة^(٤).

وسيطر السلطان السلجوقي على قاضي القضاة في بغداد، وأظهرت الحوادث التاريخية مدى ولاء أبي عبدالله الدامغاني التام للسلاجقة في بغداد ففي سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م اشترك الدامغاني في مقاومة البساسيري، فكان جزاؤه السجن لتواطئه مع السلاجقة من قبل البساسيري^(٥)، وتم الإفراج عنه فيما بعد، بعد تعهده بدفع ما يناهز الثلاثة آلاف دينار إلا أنه لم يسلم إلا سبعمائة دينار فقط^(٦)، ويبدو أنه أعفي من التزامه

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٤٤٨.

(٢) الراوندي، راحة الصدور، ص١٥٧.

(٣) صفية سعادة، تطور منصب، ص١٠٩.

(٤) ن، م، ص١٠٩.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٦٥٥.

(٦) ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص١٩٦.

المادي نتيجة قبوله أخذ البيعة للخليفة الفاطمي المستنصر بالله^(١) ومع ذلك، وعندما عاد طغرلبيك إلى بغداد^(٢). لم يتردد الدامغاني في الخروج لملاقاته، والترحيب به وكان هو الشخصية المهمة الوحيدة التي رحبت بالسلطان السلجوقي وبصحبته بعض الشهود^(٣)، وما كان هذا الموقف إلا ليثبت ثقة طغرلبيك الكاملة بأبي عبدالله الدامغاني^(٤).

وحدث آخر يلقي الضوء على العلاقة الوثيقة بين السلاجقة وبين قاضي القضاة هو زواج طغرلبيك من ابنة الخليفة القائم بأمر الله، والذي كان طغرلبيك يأمل في تأمين الخلافة لذريته بالتصاهر بين العائلات السلجوقية والعباسية^(٥)، وعندما نقل الكندري طلب السلطان إلى الخليفة رفض الخليفة رفضاً تاماً^(٦)، وهنا هدده الكندري بترك بغداد، وارتداء الثياب البيضاء بدلاً من السوداء التي ترمز إلى الولاء العباسيين، وأجرى الترتيبات اللازمة لإبلاغ طغرلبيك جواب الخليفة^(٧). وهذا يعني تهديداً كاملاً للخليفة بنقل ولاء السلاجقة للفاطميين ذوي الشعار الأبيض.

وهنا جاء دور الدامغاني الذي اجتمع بالخليفة العباسي القائم بأمر الله وشرح له خطورة قراره، مؤكداً له أنه فور سماعه بهذا الرفض سيقوم طغرلبيك باجتياح بغداد

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص١٩٦؛ ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص٥٩١.

(٢) ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص٥٩١.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص١٩٦.

(٤) صفية سعادة، تطور منصب، ص١١١.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٢١٩؛ ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٩.

(٦) البنداري، آل سلجوق، ص٢٧؛ الحسيني، أخبار الدولة، ص٢١-٢٢؛ وفاء محمد علي، الزواج السياسي، ص٨٧.

(٧) اليافعي، مرآة الجنان، ج٢، ص٧٢.

وأخذها عنوة^(١). وكان هذا الحوار كافياً لقبول الخليفة تزويج ابنته من السلطان

المسن^(٢). وبالطبع كان أبو عبدالله الدامغاني هو الشاهد الرئيسي في حفل الزفاف.

وبلغت مهابة القضاة عند سلاطين السلاجقة درجة كبيرة فأجلوهم، وزادوا في

أعطياتهم، واحترموا أحكامهم ونفذوها^(٣).

وكان القضاة يلبسون الخف والطيلسان^(٤)، والجلابيب الواسعة ذوات الأكمام

الواسعة، والتي جعلوها ثلاثة أشبار، وكانت هذه الأكمام تقوم مقام الجيوب، يحفظ فيها

الإنسان ما يحتاجه من الدنانير والكتب^(٥). كما كان القاضي يلبس العمامة السوداء^(٦)،

والدنية^(٧). ولبس القضاة أيضاً القراقفات والقمص^(٨). وكان لكل قاض حاجب ينظم دخول

الناس عليه^(٩).

وكان يشترط فيمن يتولى القضاء سبعة شروط هي:

١. أن يكون رجلاً.

-
- (١) صفية سعادة، تطور منصب، ص ١١١.
 - (٢) ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ٩؛ ابن خلدون، تاريخ، ج ٤، ص ٥٩٦.
 - (٣) الراوندي، راحة الصدور، ص ٤٤١؛ البنداري، آل سلجوق، ص ٧٦.
 - (٤) الطيلسان، كساء أخضر لحمته أو سدته من صوف يلبس الخواص من العلماء والمشايخ والقضاة. انظر دوزي، معجم الملابس، ص ٢٨٠.
 - (٥) حبيب زيات، أزياء الأكمام، ص ٤٦٥-٤٧٦.
 - (٦) ميخائيل عواد، صور مشرقة، ص ٤٥.
 - (٧) الدنية: تجمع على الدينات، قلنسوة بشكل الدن، محددة الأطراف، طولها نحو شبرين تتخذ من ورق وفضة على هيئة عيدان، وتغشى بالمواد، وتزين أحياناً بشقائق صفر طوال، تتدلى على الصدر كان يلبسها القضاة عامة في العصور الإسلامية. انظر ميخائيل عواد، دنية القاضي في العصر العباسي، ص ٩٧٩-٩٨١.
 - (٨) القراقفات، جمع قراقف، قلانس مستديرة ضخمة، كان يلبسها القضاة والفقهاء فوق رؤوسهم، أيام العباسيين. انظر ميخائيل عواد، صور مشرقة، ص ٥٨.
 - (٩) حسن أنوري، اصطلاحات، ص ١٩٨.

٢. أن يكون عاقلاً صحيح التمييز بعيداً عن السهو والغفلة.
 ٣. أن يكون حراً.
 ٤. أن يكون مسلماً.
 ٥. أن يكون عدلاً، والعدالة أن يكون ظاهر الأمانة عفيفاً عن المحارم، بعيداً عن الريب، مأموناً في الرضا والغضب.
 ٦. أن يكون سليماً في السمع والبصر ليصح بها إثبات الحقوق ويفرق بين الطالب والمطلوب، ويميز المقر من المنكر ليتميز له الحق من الباطل.
 ٧. أن يكون عالماً بالأحكام، وعلمه بها يشتمل على علم بأصولها والإلمام بفروعها. وأصول الأحكام في الشرع أربعة هي: القرآن، والسنة، وتأويل السلف، والقياس^(١).
- وعرض الماوردي في كتابه أدب القاضي بإسهاب الشروط التي يجب توافرها في القاضي^(٢)، وفي كتابه "تسهيل النظر" اعتبر القضاة طبقة أساسية لا يستغنى عنها الملك في حكمه لأنهم موازين العدل وحراس السنة باتباعها في أحكامهم وبهم ينصف المظلوم من الظالم في رد ظلامته والضعيف من القوي في استيفاء حقه^(٣)، وهنا أضاف الماوردي صفات لا بد من مراعاتها في اختيار القضاة بعد الشروط المعتبرة فيهم

(١) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ١١١-١١٢؛ مصطفى الشكعة، معالم الحضارة الإسلامية، ص ٧٥-٧٦؛ عصام شبارو، القضاء، ص ٣٣١.

(٢) الماوردي، أدب القاضي، ج ١، ص ٦١٨-٦٤٣؛ عصام شبارو، القضاء، ص ٢٣٠.

(٣) الماوردي، تسهيل النظر، ص ٢٠٤؛ عصام شبارو، القضاء، ص ٢٣٢.

الشرع وهي "أن يكون القاضي حسن العلانية، مأمون السريرة، كثير الجد، قليل الهزل، شديد الورع، قليل الطمع"^(١).

كما ذكر الماوردي أن ولاية القضاء تنعقد إما مشافهة في حالة الحضور فيقال "قلدتك ووليتك واستخلفتك واستتبتك"، وأما مكاتبة ومراسلة في حال الغياب باستعمال إحدى هذه الألفاظ: "اعتمدت عليك، عوّلت عليك رددت إليك، جعلت إليك، فوضت إليك، وكلت إليك، أسندت إليك"^(٢). وكذلك ذكر الماوردي أنواع ولاية القضاء سواء أكانت عامة أم خاصة وبنظره يجوز أن تكون ولاية القاضي عامة^(٣)، حيث يقلد النظر في جميع الأحكام في جزء معين من الدولة حيث يقوم بفصل المنازعات وقطع التشاجر والخصومات وإيصال الحقوق إلى المستحقين والنظر في الأوقاف وتنفيذ الوصايا وعقد الزواج وإقامة الحدود على مستحقيها ومراقبة شهوده وأمنائه واختيار نوابه والعدل في القضاء، كما يجوز للقاضي أن يعين للبحث في قضية واحدة تنتهي ولايته بمجرد انتهاء من هذه القضية^(٤).

وكما يرى الماوردي، عدم جواز قبول القاضي هدية من أحد الخصوم ولا من أحد من أهل عمله كما لا يجوز له تأخر البت في قضية إلا بعذر وليس له أن يحكم في قضية تخص والديه أو أولاده أو أن يشهدهم أو يشهد عليهم^(١).

(١) الماوردي، تسهيل النظر، ص ٢٠٤-٢٠٥؛ عصام شبارو، القضاء، ص ٢٣٢.

(٢) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ١١٧.

(٣) ن، م، ص ١١٨.

(٤) ن، م، ص ١٢٥.

وقد تطورت مؤسسة القضاء مع تطور المجتمعات الإسلامية، وتأثرت في تطورها بتلك الحاجات التي نشأت نتيجة امتداد الدولة وانقسامها وتغلب الأعاجم عليها^(٢).

وفي عهد السلاجقة تولى عدد من القضاة منصب القضاء في مدينة الري، ومنهم عبد الجبار بن أحمد بن عبدالله أبو الحسن (الآستراباذي) توفي سنة ٤١٥هـ/١٠٢٤م^(٣)، واسماعيل بن حامد (توفي سنة ٤٤٢هـ/١٠٥٠م)، وكان من الرجال الدهاة وقد اشتهر بأنه كان دقيق النظر عارفاً برسوم القضاء^(٤) وممن تولى قضاء الري أيضاً أبو محمد الحسن بن محمد أحمد الاستراباذي (توفي سنة ٤٦٨هـ/١٠٧٥م)^(٥).

ومن القضاة أيضاً محمد بن عبدالله بن الحسن أبو بكر الناصح الحنفي (توفي سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م)، وهو المناظر المتكلم المعتزلي الذي تولى قضاء نيسابور، ثم تولى قضاء الري قبل أن يعزل لجنونه، وكلامه، وأخذه الرشاي^(٦).

ولقد جلس سلاطين السلاجقة العظام تأسيساً بخلفاء بني العباس لقضاء المظالم مثلما فعل السلطان ألب أرسلان وملكشاه^(٧). كما أنابوا أيضاً عنهم من يقوم بهذه المهمة مثل الوزير نظام الملك الذي كان يعقد يوماً للمظالم^(٨).

-
- (١) ن، ص ١٢٠.
 - (٢) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ٦٦-٧٧؛ ابن تيمية، الحسبة، ص ٤٩-٦٨.
 - (٣) الداودي، طبقات المفسرين، ج ١، ص ٢٦٣.
 - (٤) القرشي، الجواهر المضيئة، ج ١، ص ٤١٠؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، (سنة ٤٤١-٤٥٠هـ)، ص ٧٦.
 - (٥) السمعاني، الأنساب، ج ١، ص ٢٠١.
 - (٦) ابن كثير، البداية، ج ١٢، ص ١٣٨.
 - (٧) الراوندي، راحة الصدور، ص ٢٠٤، ٢٠٧.
 - (٨) عقيلي، آثار الوزراء، ص ٢٠٧.

وكان يساعد صاحب المظالم أحد الموظفين الكبار، ففي سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٣م خلع على النقيب أبو الغنائم المعمرين محمد العلوي وقلد نقيب الطالبين^(١). والحج والمظالم، وقرئ عهده في الموكب، وفي سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م^(٢)، أمر الخليفة المقتدى بإحضار محمد بن محمد بن المعوج إلى الديوان حيث خلع عليه، وقلده النظر في المظالم فقبل وجلس بباب النوبى^(٣).

وكانت الدركاه (دار السلطنة) وهي مقر ديوان المظالم السلجوقي^(٤). فكان كل من له مظلمة يذهب إلى باب السلطان، ويحدثه مشافهة دون حجاب، ويطلب انصافه، ولا يبرح باب الدركاه إلا إذا أجيب طلبه^(٥).

وكان سلاطين السلاجقة العظام يحرصون على إقامة الحدود، وتنفيذ أحكام الدين واتصفوا بالعدل والمسامحة، فكان السلطان طغرل بك كريماً حليماً محافظاً على إقامة الشرع والحد^(٦). وكان السلطان ألب أرسلان شجاعاً يخشاه الناس^(٧).

أمّا السلطان ملكشاه، فكان عادلاً لدرجة أنه كان لا يقبل شفاعة في إطلاق ظالم حتى لو كان الشافع هو الخليفة نفسه^(٨)، وغلب عليه لقب العادل حتى قيل أنه لم توجد

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص١٥٨.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٢٣٦.

(٣) ابن الدبيثي، المختصر، ج١، ص١٠٣.

(٤) حسن انوري، اصطلاحات ديواني، ص١٤-١٦.

(٥) نظام الملك، سياست نامه، ص٢٩٩.

(٦) البنداري، آل سلوق، ص٢٨.

(٧) الراوندي، راحة الصدور، ص١٨٩.

(٨)

في عهده مظلمة ودخلت الطمأنينة قلوب الناس، فكان الباعة يطوفون بالتين والدجاج وسط العسكر لا يخافون بطشهم ولا يبيعون إلا بما يريدون^(١).

وقارن الماوردي في كتابه الأحكام السلطانية بين النظر في المظالم وبين القضاة من وجوه عشرة^(٢) وهي:

١. القاضي لا يتمتع بهيبة وقوة يد صاحب المظالم.
٢. صاحب المظالم أفسح مجالاً وأوسع مقالاً من القاضي.
٣. صاحب المظالم له حق استعمال القوة والبطش للوصول إلى الحقيقة.
٤. صاحب المظالم هو قاضي ومنفذ في نفس الوقت.
٥. يحق لصاحب المظالم إلزام المتخاصمين بالتناصف ولا يحق للقاضي ذلك.
٦. يستطيع صاحب المظالم ان يستمع إلى شهادة أناس لا يستطيع أن يتوصل إليهم القاضي.
٧. يمكن لصاحب المظالم أن يكثر من عدد الشهود وأن يعيد استحلافهم وليس هذا من مقدور القاضي.
٨. يجوز لصاحب المظالم أن يبدأ باستدعاء الشهود قبل الخصوم أمّا القاضي فيجب أن يبدأ بالمدعى ثم يسأل الشهود^(٣).

(١) الراوندي، راحة الصدور، ص ١٩٤.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج ٩، ص ٧٢.

(٣) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ١٢٧-١٢٨؛ عصام شبارو، القضاء، ص ٣٣٣؛ متز، الحضارة الإسلامية، ج ١، ص ٤٣٢.

وهذا ما يوضح في النهاية النظر في المظالم وأن صاحب المظالم ينفذ ما يعجز
القضاة عن تنفيذه ولذلك يرى الماوردي أن يكون صاحب المظالم جليل القدر نافذ الأمد
عظيم الهيبة ظاهر العفة قليل الطمع كثير الورع لأنه يحتاج في نظره إلى تنفيذ وقضاء.

الدواوين

تشكل الدواوين الأجهزة الإدارية التي تقوم على تنفيذ أوامر السلطان أو الوزير
أو حكام الأقاليم لتسيير أمور الدولة، وقد نمت هذه الدواوين وترعرعت بنمو الدولة
الإسلامية واتساعها.

ورث العباسيون النظام الإداري عن الأمويين فطوروه حسب ظروفهم، وزادوا
في المركزية، ولا سيما بعد إحداث منصب الوزارة، وأحدثوا دواوين جديدة، ووسعوا
سلطة الوزير لتشمل الإشراف على جميع الدواوين، ولكني هنا أشير إلى بعض
التطورات العباسية^(١).

ولعل بني العباس استفادوا شيئاً من التقاليد الإدارية الفارسية. وإن كان بعض
الكتاب يميلون إلى تأكيد أثر الفرس^(٢). ربما تأثر العباسيون بالتقاليد الاجتماعية الفارسية
بخصوص الزي والملابس وبعض عادات البلاط^(٣)، أمّا أثرهم في التنظيم الإداري فإني
أميل إلى عده ضئيلاً إن وجد؛ لأن أنظمة العباسيين الإدارية في جوهرها استمرار

(١) الدوري، النظم الإسلامية، ص ١٤٩.

(٢) التاج في أخلاق الملوك، ص ٢٣.

(٣) الدوري، النظم الإسلامية، ص ١٤٩.

أنظمة الأمويين نفسها، ومن الطبيعي أن تنمو وفق سنة التطور بحسب الحاجة وتطور الأوضاع^(١).

ففي خلافة أبي العباس حدث تنظيم في السجلات، بأن جعلت في دفاتر بدل من أن تكون في صحف متفرقة وذلك لحفظها من الضياع، وقد قام بذلك خالد البرمكي. يقول الجهشيارى "وكان سبيل ما يثبت في الدواوين أن يثبت في صحف، فكان خالد أول من جعله في دفاتر"^(٢).

ولما صادر أبو العباس أملاك بني أمية وضياعهم، أنشأ ديواناً خاصاً لإدارتها فـ "قلد أبو العباس عمارة من حمزة ضياع مروان وآل مروان"^(٣).

ويذكر اليعقوبي في حديثه عن بناء بغداد الدواوين التي نقلها المنصور إليها^(٤)، وتجده يشير إلى بيت المال وخزانة السلاح، ويذكر ديوان الرسائل^(٥)، وديوان الخراج، وديوان الخاتم^(٦)، وديوان الجند^(٧) وديوان النفقات^(٨)، وديوان الأحشام (وهو ديوان الذين في خدمة البلاط كما يظهر)، وديوان الحوائج، ويظهر مهمة صاحبه أن يجمع الرقاع

(١) ليفي دلافيدا، بني أمية، مج ٢، دائرة المعارف، ص ٦٧٨؛ الدوري، النظم الإسلامية، ص ١٤٩.

(٢) الجهشيارى، ص ٩٨.

(٣) ن، م، ص ٩. حسين فلاح الكساسبة، المؤسسات الإدارية، ص ٤٣.

(٤) اليعقوبي، البلدان، ص ٦؛ الدوري، النظم الإسلامية، ص ١٥٠.

(٥) طفور، تاريخ بغداد، ص ٣٩؛ ن، م، ص ١٥٠؛ حسين الكساسبة، المؤسسات الإدارية، ص ٤٣.

(٦) قدامة بن جعفر، الخراج، ص ٣٧.

(٧) ن، م، ص ٥٥.

(٨) ن، م، ص ٢١.

ويقدمها للخليفة، لينظر فيها وينصف المشتكين فيها^(١). ويذكر اليعقوبي ديوان الصدقات في محل آخر، وكان ينظر في زكاة المواشي خاصة^(٢).

وأحدث المنصور ديواناً مؤقتاً تسجل فيه أسماء من صودرت أموالهم مع مقدار ما صودر منهم وهو ديوان المصادرة، ولعله ألغي زمن المهدي^(٣).

وخلفه المهدي، فكان عهده فترة هدوء نسبي، فتوطدت فيها تنظيمات الدواوين وقويت مراقبة أعمالها، وأحدثت دواوين الأزمة سنة ١٦٢هـ/١١٧٨م^(٤). ومهمتها الإشراف على أعمال الدواوين الكبيرة، ومراقبة الناحية المالية منها خاصة، وهذا التنظيم يشير إلى توسع أعمال الدواوين الأصلية وتعمدها، ثم سار المهدي خطوة أخرى سنة ١٦٨هـ/٧٨٤م في الاتجاه المركزي، وذلك بإحداث ديوان يشرف على دواوين الأزمة، وينظم أعمالها، وهو ديوان زمام الأزمة، ويظهر أن إحداث دواوين الأزمة انتشر إلى الولايات^(٥).

ثم أنشأ المهدي ديواناً جديداً للنظر في شكاوى الرعية من الولاة ورجال الدولة وحمايتهم من تعدياتهم، وكان ينظر في أموره بنفسه، وهو ديوان النظر في المظالم، وكان يشرك معه القضاة عند النظر فيها^(٦).

(١) قدامة بن جعفر، الخراج، ص ٣٣؛ الحيارى، الدواوين، ص ٣٥.

(٢) اليعقوبي، البلدان، ص ١١.

(٣) اليعقوبي، التاريخ، ج ٣، ص ١٣٠؛ الدوري، النظم الإسلامية، ص ١٥٠.

(٤) الجهشيارى، ص ١٤٦؛ الحيارى، الدواوين، ص ٤٢.

(٥) الجهشيارى، ص ١٦٨؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ٢، ص ٤٢؛ الحيارى، الدواوين، ص ٤٤؛ حسين الكساسبة، المؤسسات الإدارية، ص ٤٤.

(٦) الفخري، ص ١٣١؛ الدوري، النظم الإسلامية، ص ١٥١؛ حسين الكساسبة، المؤسسات الإدارية، ص ٤٤.

ونظم المهدي أوقات عمل الكتاب في الدواوين وعطلهم، فأمر أن يجعل يوم الخميس للكتاب يستريحون فيه، وينظرون في أمورهم، ولا يحضرون الدواوين، ويوم الجمعة للصلاة والعبادة، وبقي هذا الرسم حتى ألغيت أيام المعتصم عطلة الخميس^(١). وفي خلافة الرشيد تجد الإشارة إلى ديوان خاص يسمى ديوان الصوافي، ومهمته كما يظهر النظر في أمور الأراضي التابعة للخليفة بصفته رئيس للمسلمين^(٢). ثم ديوان الضياع، وينظر في إدارة ضياع الخليفة الخاصة وضياع أسرته، وهي ضياع واسعة منتشرة في مختلف أنحاء الدولة^(٣).

وفي زمن المأمون نجد الإشارة إلى ديوان الجهذة، ويظهر أنه كان شعبة من بيت المال، ومهمته تدقيق حسابات بيت المال، وتدقيق نوعية موارده^(٤). ويشير اليعقوبي في حديثه عن المتوكل إلى دواوينه، يذكر "ديوان الموالي والغلمان" ويظهر أن هذا الديوان ينظر في شؤون الخدم والموالي المتصلين بالبلاط، ويسمى ديوان الجند بديوان الجند والشاكرية إشارة إلى الاتباع الأتراك، ويذكر ديوان زمام النفقات^(٥).

وكانت للدواوين المركزية أول الأمر دواوين صغيرة مماثلة في الولايات، ففي زمن الرشيد مثلاً كان بالإضافة إلى ديوان الخراج المركزي، ديوان خراج البصرة

(١) الجهشباري، ص ١٦٦.

(٢) ن، م، ص ١٦٦.

(٣) ن، م، ص ٢٧٧؛ الدوري، النظم الإسلامية، ص ١٥١؛ الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص ٢٥-

٢٧؛ حسين الكساسبة، المؤسسات الإدارية، ص ٤٥؛ الحيارى، الدواوين، ص ٢٥.

(٤) قدامة بن جعفر، الخراج، ص ٣٦؛ التتوخي، الفرج بعد الشدة، ج ١، ص ٣٩-٤٠.

(٥) اليعقوبي، البلدان، ص ٢٣؛ قدامة بن جعفر، الخراج، ص ٣٣؛ الدوري، النظم الإسلامية، ص ١٥١.

ونواحيها، وديوان خراج للكوفة ونواحيها، وديوان خراج في خراسان^(١)، ولكن نلاحظ أنه بعد ارتباك الأحوال في المملكة على أثر سيطرة الترك، إن صار لكل ولاية ديوان خاص في بغداد ينظر في شؤونها^(٢)، ثم جمعت هذه الدواوين في خلافة المعتضد (٢٧٩-٢٨٩هـ/٨٩٢-٩٨٢م) في ديوان واحد سمي بديوان الدار أو الديوان الكبير وولي عليه أحمد بن الفرات^(٣)، وبعد فترة قصيرة فصلت أمور الولايات الشرقية، وجعل لها ديوان المشرق، كما جمعت الولايات الغربية، وجعل لها ديوان الغرب وتركت أمور السواد (العراق) إلى ديوان السواد، ولكن يظهر أن ديوان الدار بقي دائرة مركزية لهذه الدواوين المهمة^(٤).

ومن ناحية لغوية فإن الديوان أطلق أصلاً على مجاميع الشعر وعلى السجل، وتطور ليشمل المكان الذي يعمل فيه القائمون على هذه السجلات، ثم أطلق على هذه الدائرة بكتابها وسجلاتها وفروعها، وأصول العمل فيها^(٥). والديوان "موضوع لحفظ ما يتعلق بحقوق السلطنة من الأعمال والأموال ومن يقوم بها من الجيوش والعمال"^(٦).

(١) الجهشيارى، ص ١٢٤، ١٤١، ١٦٧؛ الدوري، النظم الإسلامية، ص ١٥٣.

(٢) منتز، الحضارة الإسلامية، ج ١، ص ١٢٤.

(٣) الصابى، الوزراء، ص ١٣١.

(٤) قدامة بن جعفر، الخراج، ص ٣٦؛ منتز، ج ١، ص ١٢٤؛ الدوري، ص ١٥٣؛ الحيارى، الدواوين، ص ٦١.

(٥) الزبيدي، تاج، ج ٩، ص ٢٠٤. حسين فلاح الكساسبه، المؤسسات الإدارية، ص ٣٦.

(٦) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ٣٠٧. اليوزبكي، دراسات في النظم العربية، ص ١٣٣.

ورث السلاجقة الدواوين التي كانت قائمة في مدينة الري، فأنشأوا فيها ديواناً خاصاً للإشراف مع أنه جزء مكمل لديوان الاستيفاء والزام، كما أنهم دمجوا ديوان الرسائل والإنشاء في ديوان الطغراء على الرغم من أهميته واستقلاله في كل العصور^(١).

وقد وجدت خمسة من الدواوين المهمة، في مدينة الري كانت مقراً لنظام حكمهم فكان من هذه المدينة تسيير أمور الدولة بأكملها فجعلت شؤون السلطة الإدارية فيها بيد خمسة، لكل منهم الرئاسة على أحد الدواوين (الصدارة، ديوان الاستيفاء، ديوان الطغراء، ديوان الرسائل والإنشاء، ديوان عرض الجيش)، ولم يكن أحدهم يتدخل في شؤون الآخر نظراً لأهمية منصب كل واحد منهم، فلكل واحد منهم منزلته ورتبته وعمله^(٢).

وفي مقدمة هذه الدواوين الخمسة ديوان الصدارة أو الوزارة، وقد كان يطلق على القائم بأعماله "خواجه بزرگ" أو الصدر الأعظم أو الدستور أو الوزير^(٣).

كان ديوان الصدارة أهم الدواوين السلجوقية؛ لأنه كان يشرف على جميع مرافق ودواوين الدولة، وكان السلطان يأتس برأيه ويصحبه دائماً، ويتعامل مع رئيسه مباشرة دون سائر رؤساء الدواوين^(٤). وكان هذا الديوان محل تنازع وتنافس^(٥)؛ نظراً لأهميته وخطورته، ويرأسه الصدر الأعظم أو الوزير، وهو يشغل أرفع مناصب الدولة.

أمّا ديوان الاستيفاء فيعرف أيضاً بديوان الزمام، ويعرف صاحبه بالمستوفي ومهمته النظر في الأمور المالية، والإشراف على حسابات الدولة وتدقيقها، وهو الجهة التي

(١) البنداري، آل سلجوق، ص ٧٢؛ إقبال، الوزارة، ص ٤٣، ٤٦.

(٢) إقبال، الوزارة، ص ٤٣. عصام عقلة، أنوشروان بن خالد القاشاني، ص ٢٤١.

(٣) أحمد حلمي، السلاجقة، ص ٢١٠.

(٤) أحمد حلمي، السلاجقة، ص ٢١٠.

(٥) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج ٣، ص ٢٥٥.

تشرف على الضرائب، وعلى تنظم إيرادات الدولة ومصروفاتها، إلى جانب حفظ القوانين (المتعلقة بالجوانب المالية)^(١). وقد أوجب السلاجقة شروطاً فيمن يتقلد وظيفة المستوفي، ومنها أنه يجب أن يكون معروفاً، حسن السيرة، متديناً، عارفاً بأسرار مهنته ودقائق حساباتها ملماً بالقوانين اللازمة، قلمه حاكم عدل وشاهد صدق^(٢).

وقد كان لرئيس هذا الديوان نائب في كل ولاية، وكان تعيين هذا النائب بيد رئيس الديوان، وكان النائب يسمى (نائب المستوفي) أو (وكيل المستوفي)^(٣). ومهمة هذا النائب ضبط الخراج والضرائب والزيادات والعلاوات، وإرسال نسخة منقحة ومهذبة إلى الديوان (الرئيس) في عاصمة السلطنة، وعليه أن يوصل إليه ما هو مقرر على الولايات التابعة له^(٤).

وممن ترأس هذا الديوان العميد شرف الملك أبو سعد (المتوفى ٤٦١هـ / ١٠٦٨م)، تولى ديوان الاستيفاء في عهد طغرل بك وألب أرسلان^(٥)، وكان مرئوساً لنظام الملك ومن أشهر موظفي بلاط ألب أرسلان. وقد عرف بثروته العريضة حتى قيل أنه كان يمتلك ثلاثمائة وستين رداء، يلبس في كل يوم أحدها، بحيث يكون لباسه متناسباً مع الأيام وفصول السنة، وكان إذا أهدى أحداً أو خلع عليه أعدّ خازنه بديلاً لما أعطاه، ووضع الجديد في خزانة الثياب^(٦). ومن الممكن تصديق هذه الرواية؛ لأن

(١) مواهب عبدالفتاح، الحياة السياسية، ص ٨٦؛ Klausner, The Seljuk Vezirate, p.16.

(٢) مواهب عبدالفتاح، الحياة السياسية، ص ٨٦، ٨٧.

(٣) ن، م، ص ٨٦، ٨٧.

(٤) إقبال، الوزارة، ص ٥٠.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ج ٨، ص ٢٨٤؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص ٣٨٣.

(٦) إقبال، الوزارة، ص ٨٤.

سلاطين السلاجقة تحروا الدقة في اختيار المستوفي؛ لأنه المسؤول عن كل أموال الدولة، فإلى جانب أمانته، وكونه محلاً للثقة، فقد كان المستوفي غالباً ذا ثروة طائلة.

يذكر أن ألب أرسلان أوفد شرف الملك المستوفي إلى الخليفة في بغداد في الثامن من صفر عام ٤٥٩هـ/١٠٦٦م، حيث أهدى إليه مصحفاً شريفاً نفيساً وياقوتة حمراء، وسلّمه رسالة السلطان. وبقي شرف الملك في منصب الاستيفاء إلى ما بعد وفاة ألب أرسلان، وقد عمل لنظام الملك، وكان مؤيداً له ومعيناً، حتى استقال من منصبه قبل مقتل نظام الملك، حيث رفع مائة ألف دينار كي يعفيه السلطان من الخدمة توفي في أصفهان عام ٤٩٤هـ/١١٠٠م^(١).

ديوان الطغراء والرسائل والإنشاء: تعني كلمة طغراء القوس الذي كان يُرسم في صدور المراسيم والمناشير^(٢)، وهي كلمة تركية استعملها أهل الديوان منذ استيلاء السلاجقة على إيران.

ويسمى رئيس هذا الديوان (الطغرائي)، وكان يتعامل مع السلطان والوزير مباشرة، حيث أن مهمته كانت تتطلب كتابة الرسائل وصياغتها، ومن ثم توصيلها إلى السلطان باسمه^(٣). ويشترط بمن يعتلي هذا المنصب أن يتمتع بخط أنيق^(٤).

(١) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ورقة ١٠٩؛ ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص ٧٤، ط بيروت.

(٢) حسانين، قاموس الفارسية، ص ٤٤٢.

(٣) إقبال، الوزارة، ص ٥٣؛ أنوري، اصطلاحات ديواني، ١٦٠-١٨٣.

(٤) Klausner. The Seljuk Vezirate, p.16.

في البداية كان الطغرائي أميراً تركياً شاباً برتبة عالية، ولكن منذ عهد نظام الملك أصبح ديوان الطغراء يوكل إلى الكتاب ضمن التسلسل الوظيفي الإداري في الدولة ولم يعد مقتصراً على أن يكون أميراً تركياً شاباً، وتم ربط (المنشيء) أي (منصب رئيس ديوان الإنشاء) بالطغرائي، والذي أصبح أهم موظف في المملكة بعد المستوفي والوزير. وعندما كان يغيب الوزير يتم استدعاء الطغرائي ليعمل بوظيفة وزير بالإنابة للسلطان عندما يكون السلطان في الخارج^(١).

ويعد هذا الديوان همزة الوصل بين السلطان وموظفي الدولة، فالطغرائي هو الذي يحمل الأختام، وعن طريقه تنقل الأوامر السلطانية موقعة وموشحة بالشعار السلطاني إلى موظفي الدولة^(٢).

ومن الناحية التنظيمية اشتمل هذا الديوان على فروع وشعب تنضوي كلها تحت قسمين هما: ديوان الطغراء، وديوان الرسائل والإنشاء، وهذا الأخير يرأسه صاحب ديوان الرسائل، وهو في الواقع رئيس ديوان الإنشاء، ويأتمر بأمره عدد كبير من الموظفين والمحربين الذين كانوا يسمون كتاب الرسائل ممن ينعمون بثقة الدولة، ويحفظون أسرارها^(٣).

(١) Ibid, p.17

(٢) حسين أمين، تاريخ العراق، ص ١٩٤.

(٣) قدامة بن جعفر، الخراج، ص ٣٧؛ إقبال، الوزارة، ص ٥٣؛ أنوري، اصطلاحات ديواني، ص ١٦٠ -

١٨٣؛ الحيارى، الدواوين، ص ٦٢.

وقد اشترط فيمن يكتب في ديوان الرسائل أن يكون متمرساً في الكتابة ملمّاً باللغة والأدب وعارفاً بالقوانين^(١)، كما اشترط فيه أن يكون ذا دين وورع؛ لأنه يتحكم في أرواح الناس وأموالهم. ومما اشترط فيه أيضاً أن يكون ماهراً، في كتابة وقراءة الخطوط البديعة، مُحسناً في عرض الموضوعات ومصيباً في الرأي إلى جانب مقدرة عالية^(٢).

ويشرف ديوان الرسائل أو الإنشاء على جميع المكاتبات الرسمية والمراسيم والبراءات، وتحرير الرسائل السياسية وختمها بخاتم السلطان بعد اعتمادها منه، كما كان يحضر المجالس العامة التي يعقدها السلطان لسماع المظالم، والنظر في شكاوى الناس، ويقوم بتسجيل ما يعنّ للسلطان من ملاحظات وتوجهات^(٣). وينظم الديوان علاقة الدولة بالخارج، يعاونه فريق من الكتاب الذين تتوافر فيهم نفس المزايا، ويقسم هؤلاء الكتاب إلى طوائف تختص كل طائفة منهم بمكاتبه طبقة معينة من الناس، فمنهم من يتولى مكاتبه الملوك، وهؤلاء يشترط فيهم الإلمام بلغات حكام الدول المعاصرة، ويختارون من الثقة، ويعرفون بأمناء الأسرار، ويحللون جميع المراسلات حتى يقفوا على معاني الكلمات ودقائق الألفاظ^(٤)؛ لأنهم يوفدون من قبل البلاط السلطاني إلى شتى أنحاء البلاد، يحملون الرسائل لإنجاز المهام الرسمية والسياسية^(٥)، وهناك فريق داخل

(١) قدامة بن جعفر، الخراج، ص ٣٧؛ ابن الصيرفي، القانون في ديوان الرسائل، ص ٧-٨؛ إقبال، الوزارة، ص ٥٣.

(٢) قدامة بن جعفر، الخراج، ص ٣٧؛ ابن الصيرفي، القانون في ديوان الرسائل، ص ٨-٩؛ ن، م، ص ٥٤.

(٣) ابن ممان، قوانين الدواوين، ص ٦٦؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ١، ص ٤٣، ٤٤.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ١، ص ٤٤؛ عبدالمنعم حسنين، سلاجقة، ص ١٧.

(٥) إقبال، الوزارة، ص ٥٣. Klaksner, The Seljuk Vezirate, p.16.

ديوان الرسائل يعرف بالمراجعين مهمتهم قراءة وتصفيح كل ما يكتب بهذا الديوان قبل رفعه إلى السلطان^(١).

ولقد تمتع الطغرائي بمكانة سامية بين أرباب الوظائف في الدولة السلجوقية، فقد كان يلقي عناية شاملة من السلطان لكونه مختاراً منه شخصياً، وكان السلطان يدقق في اختياره من العناصر المعروفة بالقوة والجد، وكان يفضل لهذا المنصب من تولى مناصب إدارية سابقة ليكون ممن تدرس في الدواوين^(٢).

ومن الشروط الأخرى التي يجب توافرها فيمن يتولى هذا المنصب أن يكون ثقةً، ذا مؤهلات معينة كقوة الشخصية، وأصالة الرأي، وعلو الثقافة، وانتسابه إلى ذوي المال والجاه والدهاء^(٣).

كما يشترط فيه أن يكون متمرساً في الكتابة، على علم باللغة والأدب وعلى معرفة بالقوانين^(٤)، ويفضل من يمتاز بالخط الجميل الحسن^(٥).

ويعتبر أبو عبدالله حسين بن علي بن ميكال الغزنوي^(٦) أشهر من تولى رئاسة ديوان الطغراء، وكان يعرف برئيس الرؤساء، وقد عمل في هذا المنصب للسلطان طغرل بك في وزارة عميد الملك الكندري^(٧).

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ١، ص ٤٤-٤٥. جورج زیدان، تاريخ التمدن الإسلامي، ج ١، ص ٢٥٧.

(٢) البنداري، آل سلجوق، ص ٩٧.

(٣) ن، ص ٥٦.

(٤) ابن مماني، قوانين الدواوين، ص ٦٦.

(٥) ابن خلدون، المقدمة، ص ٣٢٦؛ ابن الصيرفي، قانون ديوان المراسل، ص ١٥-٢٥.

(٦) الثعالبي، يتيمة الدهر، ص ٣٩٦.

(٧) إقبال، الوزارة، ص ٦٦.

وممن ولي هذا المنصب أبو القاسم الجويني سنة ٤٣٧هـ/١٠٤٥م حيث عمل
لطغربك بعد عزله من الوزارة^(١)، وكان يشغل هذا المنصب في بيشاور أيام
الغزنويين^(٢).

وممن ولي رئاسة ديوان الطغراء أبو الرضا فضل الله بن محمد كمال الدولة بن
أبي نصر بن القاضي أحمد الزوزني، فقد كان رئيساً لديوان الطغراء في عهد ألب
أرسلان وملكشاه^(٣)، وكان أحد شعراء العصر السلجوقي وكتابه، وظل يعمل في ديوان
الرسائل والإنشاء حتى عام ٤٧٦هـ/١٠٨٣م^(٤)، حيث اتهم بتدبير مقتل نظام الملك مع
أبي سعد الفقي وتاج الملك أبي الغنائم، فغضب عليه السلطان، وعزله من منصبه،
وأُسند المنصب إلى الخواجه شهاب الدين أبي بكر عبيد الله مؤيد الملك بن خواجه نظام
الملك^(٥)، ولكن عبيد الله لم يستمر في رئاسة الديوان طويلاً، فقد عُين في نفس العام
٤٧٦هـ/١٠٨٣م في وظيفة قائد لأحد جيوش السلطان ملكشاه^(٦).

وبعد أبي بكر عبيد الله تم إسناد منصب ديوان الرسائل للأديب أبي جعفر محمد
بن أحمد مختار الزوزني^(٧)، وكان أحد الكتبة الشعراء المهرة المرؤوسين لكمال الدين

(١) إقبال، الوزارة، ص ٦٤.

(٢) سيد علي مؤيدي ثابتي، تاريخ نيسابور، ص ٢٩٤، ٢٩٥.

(٣) خوندامير، دستور الوزراء، ص ٢٤٥-٢٤٦.

(٤) الراوندي، راحة الصدور، ص ٧-٢٠.

(٥) يعتبر شهاب الدين أبو بكر عبيد الله مؤيد الملك بن نظام الملك من أشهر وزراء الدولة السلجوقية بعد
أبيه وأخيه فخر الملك، انظر البنداري، آل سلجوق، ص ٦٣، ٩٤، ٩٥؛ إقبال، الوزارة، ص ١٨٧-
٢١٨.

(٦) إقبال، الوزارة، ص ١٨٧.

(٧) المستوفي، تاريخ كزيدة، ص ٨٤؛ إقبال، الوزارة، ص ١١٢، ١١٣.

الروزوني، وقد لُقّب أبو جعفر بعد توليه هذا المنصب بلقب كمال الملك^(١). وقد تَمرَس في هذا الديوان منذ بدايته، وكان يعمل قبل رئاسته للديوان نائباً لكمال الدولة أبي الرضا، ثم أصبح نائباً لمؤيد الملك بن نظام الملك في ديوان الرسائل، إلى أن اشتغل رئيساً للديوان وظل يشغله حتى وفاته^(٢).

ولقد اجتمعت في أبي جعفر مجموعة من الصفات جعلته مؤهلاً لمنصب رئيس ديوان الإنشاء، وهي صفات كانت مطلوبة للعمل في هذا المنصب المهم. فإلى جانب كمال عقله كان أبو جعفر جيد النثر، رائق النظم، عذب اللفظ، لطيف الخط، هذا بالإضافة إلى كونه مجرباً فقد شغل منصب الكاتب للسلطان ملكشاه لعدة سنوات، وكان السلطان يعرفه تمام المعرفة^(٣)، ولذا أمر مؤيد الملك بن نظام الملك بأن يوليه عملاً في ديوانه، فعينه كاتباً لديوان الرسائل مضطراً، فما كان من أبي جعفر إلا أن قبل واصطحب إلى الديوان^(٤).

وقد كان للطغرائي ألقاب ينعم عليه السلطان بها كالوزير السلجوقي، فقد لقب ابن ميكال بلقب رئيس الرؤساء^(٥)، ولُقّب أبو الرضا فضل الله بلقب كمال الدولة^(٦)، أمّا ابنه أبو المحاسن فقد حظي بلقب سيد الرؤساء معين الملك محمد^(٧)، ومن ألقابه أيضاً (مجد

(١) إقبال، الوزارة، ص ١٠٥.

(٢) البنداري، آل سلجوق، ص ٦٢، ٦٣.

(٣) العوفي، لباب الألباب، ج ٢، ص ٦٨.

(٤) الباخريزي، الدمية، ج ٢، ص ١٨٤؛ إقبال، الوزارة، ص ١٦٣.

(٥) إقبال، الوزارة، ص ٦٤، ٦٥.

(٦) البنداري، آل سلجوق، ص ٦٢؛ إقبال، تاريخ إيران، ص ٢٦٢.

(٧) البنداري، آل سلجوق، ص ٦٢.

الدولة^(١). وحظي أبو بكر عبيدالله بن نظام الملك بلقب مؤيد الملك^(٢)، في حين عُرف الأديب أبو جعفر بلقب كمال الملك، ولقب أبو الغنائم بلقب تاج الملك^(٣).

ديوان الإشراف ويختص بضبط المحاسبات، والصادرات والواردات والموازنة بينهما، وهو في الواقع مكمل لديوان (الزمام)^(٤)، في إدارة أموال الديوان وضبط الحسابات^(٥).

ولعل أهمية هذا الديوان تكمن فيما يقوم به من أعمال مالية، ويرأس هذا الديوان رجل يعرف بالمشرف وهو مسؤول عن كل ما يدخل أو يخرج من الدركاه (قصر السلطان) حتى يتمكن من تحقيق التوازن بينها^(٦). وكان من أعمال الديوان تسجيل المعاملات المالية في وثائق تحفظ في هذا الديوان، وتخضع للمحاسبة^(٧).

بالإضافة إلى صلاحياته بإرسال لجان إلى جميع أجزاء الدولة السلجوقية ليقوموا بالإشراف ومراقبة عملية جمع الضرائب والعائدات، وعهد إليه أيضاً بمراقبة قطاع

(١) المعزي، ديوان المعزي، ص ١٤٥.

(٢) خواندامير، دستور الوزراء، ص ٢٥٦.

(٣) إقبال، الوزارة، ص ١٠٥.

(٤) قدامة، بن جعفر، الخراج، ص ٣٦؛ الراوندي، راحة الصدور، ص ٢٠٧؛ الحيارى، الدواوين،

ص ٦١. Klausner, The Seljuk Vezirate, p.17-18.

(٥) قدامة، بن جعفر، الخراج، ص ٣٦؛ البنداري، آل سلجوق، ص ٦٢، ٦٣؛ الحيارى، الدواوين، ص ٦١.

(٦) إقبال، الوزارة، ص ٥٥. Klausner, The Seljuk Vezirate, p.18.

(٧) مواهب عبدالفتاح، الحياة السياسية، ص ٨٧. Klausner, The Seljuk Vezirate, p.18.

الزراعة والأوضاع العامة في المقاطعات الضريبية المختلفة، وهذا من خلال عملاء له مختصون في هذه المجالات^(١).

ومن الشروط التي كانت تراعى في المشرف أن يكون عفيف اليد، سديد الرأي^(٢).

ومن أهم الذين تولوا هذا الديوان في عصر السلاطين العظام: أبو الرضا فضل الله بن محمد كمال الدولة الزوزني، وقد ولي ديوان الإنشاء والإشراف حتى سنة ٤٧٦هـ/١٠٨٣م^(٣)، ثم ابنه سيد الرؤساء أبو المحاسن^(٤)، وأبو المعالي عضد الدين سديد الملك مفضل بن عبدالرزاق بن عمر الأصفهاني^(٥).

ديوان عرض الجيش: ويعرف صاحبه بالعارض^(٦) أي عارض الجيش، ومهمة هذا للديوان ضبط نفقات الجيش ومرتباته، وتنظيم تغذيته، وتفقد مظهر المجندين ورجال الجيش^(٧)، والإشراف على تسليح الجيش وإعداده وتمويله^(٨) بالإضافة إلى توفير العطاء للجنود غير الدائمين (المرتزقة) الذين لا إقطاع لهم^(٩).

(١) Klausner, The Seljuk Vezirate, p.18

(٢) ن، م، ص ٨٨.

(٣) البنداري، آل سلجوق، ص ٦٢.

(٤) إقبال، الوزارة، ص ٨٤.

(٥) ن، م، ص ١٤٢.

(٦) قدامة بن جعفر، الخراج، ص ٢١؛ الحيارى، الدواوين، ص ٥٠؛ ن، م، ص ٥٧؛ أحمد حلمي، السلاجقة،

ص ٢١١. Klausner, The Seljuk Vezirate, p.18

(٧) قدامة بن جعفر، الخراج، ص ٢١-٢٢؛ إقبال، الوزارة، ص ٥٧؛ الحيارى، الدواوين، ص ٥٠-٥١.

(٨) قدامة بن جعفر، الخراج، ص ٢٣؛ أحمد حلمي، السلاجقة، ص ٢١١.

(٩) قدامة بن جعفر، الخراج، ص ٣٠؛ حسين أمين، نظم الحكم، ص ٢٢١.

وكان لرئيس ديوان العرض نائب يقيم دائماً في المركز، ويتولى إدارة الديوان في حالة غياب العارض الذي كان ينفق معظم وقته في المعسكرات الخارجية المهمة^(١)، حيث كان عليه أن يصاحب السلطان أو الوزير في حروبه الخارجية^(٢). وممن تولى هذا المنصب عضد الدين سديد الملك مفضل بن عبدالرزاق الأصفهاني الذي شغل منصب عارض الجيش في أواخر عصر ملكشاه^(٣).

(١) إقبال، الوزارة، ص ٥٧.

(٢) ن، م، ص ٥٧؛ بارتولد، تركستان، ص ٣٥٠.

(٣) إقبال، الوزارة، ص ١٤٢.

الفصل الرابع
الحياة الاجتماعية والاقتصادية

الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعلمية في مدينة الري

١. الحياة الاجتماعية

أ. عناصر السكان

ب. الفئات الاجتماعية

ج. المذاهب

د. الحياة اليومية

٢. الحياة الاقتصادية

أ. الزراعة

ب. الصناعة

ج. التجارة

عناصر السكان

يمكن تقسيم سكان الري من الناحية العرقية في فترة الدراسة إلى:

١. الفرس: كان الفرس يشكلون غالبية سكان الري وجوارها ورساتيقها وخاصة من الفلاحين^(١). وظهر أثر الفرس واضحاً في المجتمع الإسلامي في الري وخاصة في بناء القصور ومظاهر الترف والبذخ، كما وضح تأثيرهم في الاحتفال بعيدي النوروز والمهرجان^(٢).

٢. الديلم: منذ دخول البويهيين إلى الري واستقرارهم فيها واتخاذها عاصمة لهم، انتشر الديالمة في مدينة الري وجوارها، وازدادت أعدادهم خاصة في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، وقد أشار الهمداني إلى ذلك شعراً:

مالي وللري وأكنافها يا قوم بين الترك والديلم^(٣)

وجدير بالذكر أن كثرة المفردات الديلمية في لهجات مناطق جوار الري حتى

يومنا هذا، تدل على حضور الديالمة في فترة الدراسة وبعدها^(٤).

(١) حسين كريمان، ري باستان، ج ١، ص ١٠١.

(٢) سلجوق نامة، ص ١٠٦؛ محمد محمود إدريس، تاريخ العراق، ص ٢٣٤.

(٣) ابن الفقيه، مختصر البلدان، ص ٢٧٣.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج ٧، ص ١٨٥.

٣. الأتراك: تذكر بعض المصادر أنه كان في مدينة الري قوم من أصول تركية،

كانوا يسكنون الري وهم: الأريون والأتراك^(١).

وفي العصر الإسلامي، وبالذات في القرن الرابع الهجري - العاشر الميلادي - دخلت جماعة من الأتراك إلى مدينة الري، ضمن العناصر التي يتألف منها الجيش البويهى، وقد أشار إليهم رشيد الدين فضل الله (ت ٧١٨هـ/ ١٣١٨م) عند خروج مؤيد الدولة من الري "خرج من الري وكان جنوده من الفرس والديلم والأتراك والعرب.."^(٢). وبعد دخول التركمان والسلاجقة إلى الري واتخاذها عاصمة من قبل طغرل بك، شرعت القبائل التركية كما يبدو بالاستقرار في الري وما جاورها إلى الغرب منها، وخاصة في ساوجبلاغ^(٣) وشهريار، وهي المناطق التي يتكلم سكانها اللغة التركية حتى يومنا هذا^(٤).

٤. العرب: وبالنظر إلى أهمية الري وموقعها الاستراتيجي^(٥)، فقد استوطنتها بعض

القبائل العربية وكان للقبائل ديوان خاص في العصر الأموي^(٦). وقد وصف

اليعقوبي (ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م) أهل الري بأنهم أخلط من العجم وعربها قليل^(١).

(١) سلجوق نامة، ص ١٥٦؛ كريماني، ري باستان، ج ١، ص ١٠١.

(٢) رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ، ص ١٩٠.

(٣) ساوجبلاغ: هي من المفردات التركية ومعناها "المرتفع"، مرتضائي، الحياة الثقافية، ص ٣٨.

(٤) ن، م، ص ٣٨.

(٥) المستوفي، تاريخ كزيدة، ص ٧٢٧.

(٦) اليعقوبي، كتاب البلدان، ص ٤٢؛ صالح أحمد، امتداد العرب في صدر الإسلام، ص ٣٦.

وقد استقر في مدينة الري وجوارها عدد من العلويين، وأشار فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ/ ١٢١٠م) بأنه سكنها من أولاد الإمام الحسن، ومنهم أبو عبدالله محمد بن علي بن القاسم بن علي حالب الحجارة بن اسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب فهو النقيب بالري^(٢). ومن المعاصرين للفترة السلجوقية "السيد المرتضى ذو الفخرين" (نقيب النقباء) أبو الحسن المطهر ولي نقابة الطالبين بالري^(٣). وحفيده عز الدين يحيى نقيب الري، قتله خوارزمشاه تكش (ت ٥٩٢هـ/ ١١٩٠م)^(٤).

وممن استقر في الري علي بن عبدالله بن إبراهيم بن إسماعيل المنقذي بن جعفر ابن عبدالله بن الحسين الأصغر بن الإمام علي زين العابدين بن الإمام الحسين رضي الله عنه، كما استقر أولاده وأعقابهم في الري وجوارها^(٥).

الفئات الاجتماعية

تميز العصر السلجوقي بظهور ثلاث طبقات، شملت الأولى السلاطين ورجال الدولة الذين أمعنوا في الترف، واتسمت معيشتهم بالبذخ، فسكنوا القصور والمنازل الفخمة، وكانت قصور السلاجقة المثل في الروعة والجمال، وكانت لهم مجالس للطرب والغناء والشراب، كما تأنقوا في الطعام، وتفننوا في ألوانه؛ فكان السلطان طغرل بك

(١) اليعقوبي، كتاب البلدان، ص ٤٥.

(٢) فخر الدين الرازي، الشجرة المباركة، ص ٦٨٠.

(٣) ن، م، ص ١١٧.

(٤) الازرقاني، الفخري في أنساب الطالبين، ص ٧٤.

(٥) الداودي، عمدة الطالب في أنساب آل طالب، ص ٢٨٤.

ينصب الخوان في الصباح الباكر، ويتكلف له من ألوان الطعام أطيبها، وكانوا يهيئون له الطعام ويضعونه في الصحراء أثناء رحلة الصيد. ومما يذكر عن السلطان ألب أرسلان أنه كان يطبخ بمطبخه كل يوم خمسون رأساً من الغنم للفقراء عدا المال المخصص لسماط الخاصة والعامة والعسكر والأمراء وغيرهم^(١).

وقد انفرد سلاطين السلاجقة بلباس معين يميزهم عن سائر الناس، فكان ألب أرسلان يضع على رأسه عمامة عالية لا يقل طولها من أعلاها إلى طرف شاربه عن ذراعين^(٢).

كما تميز كبار رجال الدولة بلباسهم الخاص، فكان الكتاب يرتدون الدرايع وهي ثياب مفتوحة من الصدر، ولبس القواد الأقبية الفارسية القصر^(٣).

أما الطبقة الثانية (المتوسطة) فتتكون من عامة التجار والمزارعين والعلماء والأدباء، فكان أفرادها ينعمون في مساكنهم بكل ضروريات الحياة. وكان العلماء والأدباء يلقون الرعاية من السلاطين والوزراء، ومن ثم ارتفع مستوى معيشتهم^(٤).

وكان للعلماء من فقهاء وقضاة منزلة كبيرة لدى رجال الدولة والعامة معاً، حيث كانوا يُدعون إلى مجالس السلاطين، وكانت لهم الصدارة فيها، كما فعل السلطان

(١) سلجوق نامة، ص ١٢٧. محمد محمود إدريس، تاريخ العراق، ص ٢٣٩.

(٢) سلجوق نامة، ص ١٨٩. الحياة الاجتماعية درايران، ص ٩٦ و ص ٢٤٠.

(٣) سلجوق نامة، ص ٢٤٠.

(٤) سلجوق نامة، ص ٢٣٩. محمد محمود إدريس، تاريخ العراق، ص ٢٤١.

طغرل بك سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م، عندما جلس على عرش مسعود الغزنوي في نيسابور حيث أخذ بيد القاضي وأجلسه بجواره على طرف سريره وأخذ يستمع إلى نصائحه^(١).

وتميزت طبقة العلماء بلباس خاص، فكانوا يلبسون الطيلسان الأسود والدراعة السوداء والعمائم السود المصقولة. وكانوا يلبسون الصوف الأبيض، ولا يلبسون الحرير إلا في بيوتهم. ولم يتميزوا عن أفراد الشعب إلا في الملبس، وكان للعلماء مهنة أخرى سوى العلم فبعضهم اشتغل بالتجارة^(٢).

أما الطبقة العامة فتضم الفلاحين وأهل الحرف والصناع والرعاة والباعة ويلحق بهم الرعاة، وذوي المهن، وصغار الباعة واللصوص والعيارين وجماعات تركت الريف إلى المدينة بحثاً عن وسيلة للكسب^(٣)، والعمال الذين لم تكن أجورهم مجزية^(٤). وهم يمثلون السواد الأعظم من السكان أي غالبيتهم^(٥).

وهم طبقة تعرف بالفقر والجهل واختلاف الأصول، لذلك فهم مهينون للانقياد وراء أية حركة اجتماعية ضد السلطة وخاصة ملاك الأراضي^(٦). وبايجاز كانت الطبقة العامة تحيا حياة بسيطة في المأكل والملبس والمسكن.

(١) مجالس المؤمنين، ج ٢، ص ١٠٢.

(٢) مجالس المؤمنين، ج ٢، ص ١٠٦.

(٣) متز، آدم، الحضارة الإسلامية، ص ١١٧. علي حسني الخربوطلي، الحياة الاجتماعية، ص ٢٠٩.

(٤) محمد محمود إدريس، تاريخ العراق، ص ٢٤١.

(٥) سلجوق نامة، ص ١٩٠.

(٦) عجائب نامة، ص ٣٨.

المذاهب

تعددت المذاهب والفرق في الري بين سنية وشيعية وباطنية، وتذبذبت أوضاع هذه الفرق وتلك المذاهب خلال العصر السلجوقي تبعاً للتغيرات السياسية، وذلك على النحو التالي:

أهل السنة

انتشرت المذاهب السنية في الري، وخصوصاً خلال حكم الأسرة السلجوقية التي تعتنق هذه المذاهب. وقد وطد السلاجقة أركانها، إذ كانوا يعارضون قيام أي قوة غير سنية على مقربة منهم، مثل الإسماعيلية الذين كانوا يسعون لنشر مبادئهم في الري نفسها، كما أن اعتناقهم المذاهب السنية كان من أهم عوامل دعائهم للخلفاء العباسيين، والوقوف إلى جانبهم في وجه الفاطميين^(١).

وقد تميزت الري بغلبة منتسبي المذاهب فيها، وكان المذهب الحنفي أبرز المذاهب التي انتشرت في الري، فظهر فيها كثير من أعلام الحنفية لعل في مقدمتهم أحمد بن محمد الفقيه الرازي (ت ٤٨٠هـ / ١٠٨٧م)^(٢)، وأبو محمد عبدالله بن محمد المحدث الرازي (ت ٤٩٨هـ / ١١٠٤م)^(٣)، وأبو بكر محمد بن عبدالله القزويني الفقيه

(١) رسول جعفریان، تاریخ تشیع ایران، ص ١٣٠.

(٢) نورالله شوشتری، مجالس المؤمنین، ج ١، ص ٨٩.

(٣) ن، م، ج ٢، ص ٩٩.

الرازي (ت ٥٢٠هـ / ١٢٦م)^(١)، وإسماعيل بن علي بن الحسين بن محمد بن زنجويه أبو سعد الرازي المعروف بالسمان الحافظ (ت ٤٤٥هـ / ١٠٥٣م)^(٢).

والى جانب وجود الحنفية في الري، كان هناك أصحاب المذهب الشافعي فقد ذكر القزويني أن "أهل الري شافعية وحنفية وأصحاب الشافعي أقل عدداً من أصحاب أبي حنيفة، والعصبية واقعة بينهم حتى أدت إلى الحروب، وكان الظفر لأصحاب الشافعي في جميعها مع قلة عددهم"^(٣). والنزاع بين الحنفية والشافعية السبب وراء فصل مناطقهما، وكان الحنفية في بعض الأوقات يتحالفون مع الشيعة ضد الشافعية والعكس صحيح، فأحد أسباب تقدم الشيعة في هذه المدينة هو النزاع المستمر بين الحنفية والشافعية^(٤). وكانت العصبية المذهبية واضحة بين الحنفية والشافعية^(٥). وأخذت الخلافات شكل القتال المسلح. فيذكر ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) أن مدرسة شرعية واحدة سيطرت على سكان المدينة والأخرى بين القرويين، وهذا يدل على أن الخلافات كان لها دلالات اقتصادية وليست دينية فقط^(٦).

(١) نورالله شوشتري، مجالس المؤمنين، ج ١، ص ٨٣.

(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ١٣٦.

(٣) القزويني، آثار البلاد، ص ٣٧٦.

(٤) عبدالجليل الرازي، النقض، ص ٥٣.

(٥) ن، م، ص ٤٤٩-٤٥١. W. Barthold, Historical Geography, p.124.

(٦) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ١١٧. W. Barthold, Historical Geography, p.124.

وكانت إمامة الجوامع مختلفة "يوم للحنفيين ويوم للشفيعيين" (١).

وكان لكل مذهب في الري مسجد خاص به (٢). والحنفية لا يصلون إطلاقاً في
جوامع تابعة للشافعية، وقد يذهب علماء كل مذهب إلى عدم إجازة الصلاة في جوامع
المذهب الآخر (٣).

ورغم تمسك أتباع المذهبين السنيين بسنيتهم، إلا أنهم كانوا يقيمون مراسم
العزاء يوم عاشوراء (٤)، وهذا دليل على أن تقدير أهل السنة في نظرهم لآل البيت هي
نقطة اتصال مع الشيعة، كما أن علماء الحنفية والشافعية كانوا يذهبون لزيارة حضرة
المعصومة -سلام الله عليها- في قم وبقيّة مرقد أحفاد علي رضي الله عنه في الري (٥).

وكان السلطان طغرل حنفي المذهب لذا بنى للحنفية مسجداً خاصاً، جاء
ذكره في كتاب النقض في بيان مساجد الري، فقال: "... ومسجد الري من أوائل
الأحناف" (٦).

(١) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٣٩١.

(٢) عبد الجليل الرازي، النقض، ص ٦٨.

(٣) ن، م، ص ٥٥٣.

(٤) ن، م، ص ٥٥٢.

(٥) رسول جعفريان، تاريخ تشيع در إيران، ص ٥٠٠.

(٦) عبد الجليل الرازي، النقض، ص ٥٩٨.

أما بالنسبة للمذهب الشافعي فقد جاء في كتاب النقض (٥٦٥هـ/١٠٧٣م) "بنى العقيد ساوتكين جامعاً جديداً لأصحاب الحديث، إذا لم يكن لهم في مدينة الري مساجد جمعة...."^(١). ويبدو أن المقصود بأصحاب الحديث، تلك الجماعة من محدثي الري الذين كانوا يتبعون المذهب الشافعي، ومما يؤيد هذا الاحتمال الأدلة التالية: أولاً: ما جاء في أحسن التقاسيم وهو: "شافعيين في الري حديثين"^(٢)، وثانياً: أنه كان لكل مذهب مساجد خاصة بهم وعلى سبيل المثال كان للحنفية مسجد خاص، كما كان للأشاعرة مسجد منفصل، وثالثاً أن شافعي الري أقاموا في مسجد العقيد ساوتكين^(٣).

وكان الشيعة والحنفية دائماً يعيبون الشافعية بأنهم كانوا تابعين للأشاعرة والمجبرة^(١).

موقف السلاجقة من المذاهب السنية
ومما يلاحظ على السلاجقة أن موقفهم من مخالفيهم في المذهب أو العقيدة لم يكن على درجة واحدة من الليونة أو الحزم، فنجد تأثرهم باتجاههم المذهبي ظاهراً بشكل بارز في موقفهم من الأشعرية والشافعية، في حين نجد تأثرهم باتجاههم العقدي السني لا يمنعهم من مجاملة الشيعة في عاشوراء، والجلوس عند علمائهم للتعلم منهم

(١) عبد الجليل الرازي، النقض، ص ٤٨٦. رسول جعفريان، تاريخ تشيع در إيران، ص ١٨١.

(٢) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٤٧٣.

(٣) عبد الجليل الرازي، النقض، ص ٤٠٥.

كما مرّ، ولعل كثرة الشيعة، والحرص على عدم استئثارهم، وضمنان ولائهم للدولة جعل سلاطين السلاجقة يجاملون الشيعة، ويسمحون لهم بإظهار كل شعائرهم (التي ربما كان منها سبّ بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم)^(٢).

ويتضح من خلال مطالعة بعض المصادر أن من وسائل تغذية الخلافات بين أصحاب المذاهب السنية بعضهم مع بعض، هو تعصب السلاجقة لمذهبهم الحنفي إلى حد كبير، ففي عهد السلطان طغرلبيك السلجوقي وقعت فتنة بنيسابور كان سببها مقالة في العقيدة لأبي الحسن الأشعري^(٣) اطلع عليها السلطان فما ارتضاها، فأمر بلعن الأشعري وعزّ ذلك على أبي القاسم القشيري، فصنف رسالة سماها "شكاية أهل السنة" لما نالهم من المحنة فكانت سبباً في طرده وطرده إمام الحرمين الجويني^(٤) من نيسابور^(٥). والظاهر أن أبا نصر الكندري^(١) وزير السلطان طغرلبيك، هو الذي حسن للسلطان لعن الأشعري، وطرده القشيري وجماعته^(٢).

-
- (١) نور الله شوشنري، مجالس المؤمنين، ج ١، ص ٣٨.
- (٢) رسول جعفریان، تاریخ تشیع در ایران، ص ١٣٥.
- (٣) علي بن اسماعيل الأشعري، صاحب الأصول والقائم بنصرة مذهب السنة وإليه تنسب الأشعرية، توفي ببغداد سنة ٣٢٤هـ/٩٣٥م، كان معتزلياً ثم انقلب على المعتزلة وقارعهم بسلاحهم لصالح أهل السنة. الخطيب، تاريخ بغداد، ج ١١، ص ٣٤٦؛ السبكي، طبقات الشافعية، ج ٢، ص ٢٤٥؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٢٨٤.
- (٤) أبو نصر، عبدالرحيم بن عبدالكريم بن هوزان القشيري، المناظر المفسر الأديب من بني قشير القبيلة العدنانية المشهورة، درس إمام الحرمين الجويني وورد بغداد وناظرها سنة ٤٦٩هـ/١٠٧٦م، أهم كتبه الرسالة القشيرية، وتعد من أهم وأعظم الكتب التي ظهرت عن التصوف. ابن الجوزي، المنتظم، ج ٩، ص ٢٢٠؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٢٠٥.
- (٥) أبو المعالي عبدالملك بن عبدالله بن يوسف الجويني، الفقيه الشافعي إمام الحرمين، أعلم المتأخرين من أصحاب الشافعي، له مصنفات كثيرة في كل فن كان الغزالي من تلاميذه توفي سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م، ابن الجوزي، المنتظم، ج ٩، ص ١٨؛ السبكي، طبقات الشافعية، ج ٣، ص ٢٤٩؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٣، ص ١٦٧.

ويتحدث ابن خلكان بعض المصادر عن دور نظام الملك في إقناع ألب أرسلان بقتل الوزير الكندري بقصد إزاحته عن طريقه في تولي الوزارة، وربما كان هناك أكثر من دافع خلف هذه الخطوة، غير أنه من المؤكد أن الكندري تم اعتقاله وسجنه، حيث انتهت حياته في السجن (٤٥٧هـ/١٠٦٤م)^(٣). وقد حاول البعض تصور الحادثة الذي يصوره البعض على أنه انتقام دبره بسبب ما أصاب الشافعية والأشاعرة من ظلم بتشجيع منه كما ذكر آنفاً، وغير أن هذا يبقى احتمالاً، لا يوجد ما يسنده، أو يردّه، رغم أن في منصب الوزارة ما يكفي من المغريات لجعل نظام الملك يدبر لإزاحة الكندري من طريقه.

ولقد بدأ نظام الملك حياته شافعيًا ملتزمًا، ولعل ذلك من أسباب إقدامه على إنشاء المدارس النظامية، التي قصد بها تخريج أعداد كبيرة من الدعاة والموظفين من أتباع المذهب الشافعي، إلا أن خطوة الوزير نظام الملك في إنشاء المدارس النظامية لم تقع موقع القبول أو الاستحسان من عموم رجالات الدولة السلجوقية، الذين كانوا من أتباع المذهب الحنفي. وقد كان رد الفعل لإنشاء النظاميات ما أقدم عليه أحد أعيان الدولة السلجوقية - وهو العميد شرف الملك أبو سعد محمد بن منصور الخوارزمي^(٤) مستوفي

(١) اليافعي، مرآة الجنان، ج٣، ص٢١٠؛ السبكي، طبقات الشافعية، ج٤، ص٢٤٩.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٢٣٨؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٥، ص١٣٨.

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٥، ص١٣٨.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٢٤٤؛ ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص١٠٥.

مملكة السلطان ألب أرسلان الذي ما أن علم بخطط نظام الملك في إنشاء المدارس النظامية حتى باشر بالعمل على تأسيس المدرسة الحنفية الأولى في بغداد، إذ قدم إلى بغداد عام (٤٥٩هـ/١٠٦٦م) ليشرف بنفسه على إنشاء مدرسة للحنفية وعلى نفقته الخاصة، عند مشهد أبي حنيفة النعمان في شمال شرقي "بغداد" عند مقابر قريش، لكي تختص بتدريس العلوم الشرعية وفق المذهب الحنفي، وقد تعجل مستوفي المملكة في بنائها، وعين لها مدرساً ورتب فيها الطلاب حتى أنه تمكن من افتتاحها وتمكينها من استقبال الطلاب وبدء الدراسة قبل النظامية بأربعة أشهر^(١).

واهتم السلاطين السلاجقة بمدينة الري فبنوا المدارس الشافعية والحنفية مثل مدرسة وزانين، شيدها الوزير أبو سعد القمي لأهل السنة (الحنفية والشافعية)، ومدرسة السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي (ت ٥١١هـ/١١١٧م)، بنيت من أجل تدريس المذهب الحنفي على اعتبار أن الحنفية مذهب الدولة الرسمي^(٢). وبالمقابل بني في الري عدد كبير من المدارس الشيعية باعتبار أنهم الأكثرية في مدينة الري ومن أشهر مدارسهم مدرسة السيد تاج الدين محمد كنيسكي^(٣)، ومدرسة شمس الإسلام حسكا بابويه^(٤)، ومدرسة الخواجه عبد الجبار مفيد^(١)، ومدرسة الشيخ حيدر مكي^(٢)، ومدرسة محمد بن قطب الدين الراوندي^(٣).

(١) ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص ١٠٥؛ البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٣٤.

(٢) الشيرازي، شد الإزار، ص ٣٠٤.

(٣) عبد الجليل الرازي، النقض، ص ٣٥.

(٤) ن، م، ص ٣٥.

ولا بد من الإشارة إلى أن الصراع المذهبي الذي عانى منه الناس مدة طويلة، هو الذي حمل أتباع المذهب الواحد على التجمع والسكنى في مناطق معينة خاصة بهم، كي يواجهوا أصحاب المذاهب الأخرى متجمعين. فنجد أن الحنفية كانوا يتجمعون في جيلاباد ومحلة روباوط، ومحلة الجامع العتيق في الشمال والشمال الشرقي لمدينة الري، في حين تركز الشافعية في وسط المدينة، أمّا الشيعة فكانوا في الجنوب والجنوب الغربي والشرقي للمدينة وفي الشمال الغربي للمدينة^(٤).

وعلى الرغم من إشارة بعض المؤرخين إلى أن الخلاف بين أتباع مذاهب السلف من أهل السنة، يعد شكلياً إذا قورن بخلاف أهل السلف السنة مع الشيعة، إلا أن النصوص تشير إلى أن التعبير عن هذا الخلاف الشكلي، كان يتسم بالحدة والعنف وعدم التسامح، وكان سببه شيوع التقليد وجمود الاجتهاد، وفصل مناطقهما عن بعضهما البعض^(٥).

ولما كان السلاجقة الأولون ليسوا أهلاً للنظر والفكر، لم يشغلوا أنفسهم بهذه المسائل الفكرية، ولذا كان من الطبيعي أن يختلف موقف السلاجقة من مخالفيهم في داخل الدائرة السنية باختلاف اتجاهات وزرائهم، ومن ثم نستطيع أن نميز في الموقف السلجوقي من هذه الناحية بين عهدين لوزيرين مختلفين، أولهما: عميد الملك الكندري

(١) شوشتری، مجالس المؤمنین، ج ١، ص ٩٣.

(٢) عبدالجليل الرازي، النقض، ص ٣٦.

(٣) أرموي، تعليقات النقض، ص ١٤٦.

(٤) انظر ملحق رقم (٣).

(٥) عبدالجليل الرازي، النقض، ص ٤٤٩-٤٥١؛ ياقوت، معجم البلدان، ج ٣، ص ١١٨.

الذي وزر لطغربك، وكان حنفياً متعصباً، وثانيهما: نظام الملك الذي كان شافعيًا ووزر لألب أرسلان وملكشاه^(١).

أمّا الأول فقد بدأ حياته كاتباً في بلاط السلطان طغربك، إلا أن إجادته للغتين العربية والفارسية أهلتة لتولي منصب الوزارة، وكان مما عمله الكندري في عام ٤٤٥هـ/١٠٥٣م أنه استأذن السلطان في لعن الرافضة على منابر خراسان، فأذن له في هذا "فأمر بلعنهم وأضاف إليهم الأشعرية"^(٢).

وقد اختلف المؤرخون في تعليل هذا السلوك، وإن جاء تعليل بعضهم متأثراً بما صاحبه من اتجاهات فكرية خاصة. فالعماد الأصفهاني يشير إلى أن الكندري كان حنفي المذهب "كثير التعصب لمذهبه والذهاب مع عصبته"^(٣). وابن الأثير يقول عنه: "إنه كان شديد التعصب على الشافعية كثير الوقعة في الشافعي"^(٤) فالدافع في رأي هذين المؤرخين يعود إلى الصراع بين المذاهب الفقهية، ولما كان معظم الأشعرية شافعية، فقد غلف الكندري طعنه في الشافعية بغلاف الأشعرية حتى لا يتهم بالتعصب لمذهبه.

أمّا ابن عساكر فيذكر: أن السلطان طغربك كان حنفياً سنياً، وأن وزيره الكندري كان معتزلياً رافضاً، وأن السلطان لما أمر بلعن المبتدعة على المنابر في الجمع قرن الكندري -للتسلي والتشفي- اسم الأشعرية بأسماء أرباب البدع، وأنه أتبع ذلك بامتحان الأئمة الأمانث، وعزلهم عن الخطابة في نيسابور، وفوضها إلى بعض

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص٩٣؛ ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٣.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص.

(٣) تاريخ دولة آل سلجوق، ص.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص.

الحنفية^(١)، أمّا السبكي فتتفق روايته في كثير من تفاصيلها مع رواية ابن عساكر غير أنه أضاف صفة جديدة إلى الكندري علاوة على الصفتين اللتين ذكرهما فهو عنده ليس رافضياً معتزلياً فقط، ولكنه مشبه مجسم أيضاً^(٢).

ويذكر بارتولد: أن سبب اضطهاد الشافعية في عصر طغرلبيك هو أنهم رتبوا علم الكلام بقصد الرد على الرافضة، وفي هذا العلم تتخذ الأدلة العقلية أساساً للحكم على المسائل الدينية، كما أن لعلوم اليونان فيه منزلة عالية، وهذا كله في نظر السلاجقة من قبيل البدع الضارة المخلة بالتعاليم الدينية لأهل السنة^(٣).

وقد ظلت الفتنة قائمة وعلماء الأشعرية مشردون عن أوطانهم حتى توفي طغرلبيك في عام ٤٥٥هـ/١٠٦٣م، وتولى بعده ابن أخيه ألب أرسلان (٤٥٥هـ—٤٦٥هـ/١٠٦٣م—١٠٧٢م)، وكان أن اتخذ لنفسه وزيراً شافعيّاً هو أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي الملقب بنظام الملك: "فلما جاءت الدولة النظامية أحضر من انتزح منهم (من الأشاعرة)، وأكرمهم، وأحسن إليهم"^(٤)، وأمر بإسقاط ذكرهم من السبب والاقتصار على لعن الرافضة، وبنى الأشاعرة المساجد والمدارس "وكان ذلك تداركاً لما سلف في حقهم من الامتحان، فاستقام في وزارته الدين بعد اعوجاجه، وصفا عيش أهل السنة بعد تكدره"^(٥).

(١) ابن عساكر، تبين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام الأشعري، ص ١١٢.

(٢) السبكي، طبقات الشافعية، ج ٣، ص ٣٨٩—٣٩٠.

(٣) بارتولد، تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ص ١٠٨—١٠٩.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ٢٠٧؛ تاريخ الأدب في إيران، ص ٢١٩.

(٥) ابن عساكر، تبين كذب المفتري، ص ١١٢—١١٣.

وقد أعطت المدارس التي أنشأها نظام الملك للشافعية في عواصم الأقاليم، والتي عرفت باسم المدارس النظامية، أعطت دفعة قوية لمذهب الأشعري، فقد أمكن لهذا المذهب أن يعلم رسمياً، وأن تتفق الدولة على تعليمه، وتتولى رعايته، كما أمكن لعلماء هذا المذهب أن يكونوا أساتذة هذه المؤسسات الفكرية، وبهذا كسب المذهب الأشعري الجولة الأخيرة في صراعه مع المذاهب المختلفة، وخاصة المعتزلة والحنابلة^(١).

إن هذه المدارس مكنت لعقيدة الأشعري في دولة السلاجقة من ناحية، وعملت على نشر المذهب الشافعي، وتدعيم نفوذه من ناحية أخرى. وعلى الرغم من هذا كله فإن هذا الأمر يبدو عجباً إذا عرفنا أن سلاطين السلاجقة كانوا متعصبين لمذهبهم، ومع ذلك لم يوقفوا هذا التيار الجارف الذي يعمل على التمكين لمذهب غير مذهبهم، وخاصة في الفترة التي وزر فيها نظام الملك (٤٥٦هـ - ٤٨٥هـ / ١٠٦٣م - ١٠٩٢م) ولعل من أسباب تغاضي ألب أرسلان وملكشاه عن جهود نظام الملك في هذا المجال، أن هذا الوزير كان كفاءة نادرة في تدبير شؤون الدولة وتسيير نظامها. ومن ثم لم يشأ كل منهما أن يدخل معه في صدام لحاجة كل منهما إليه. يؤكد ذلك ما يذكره "بارتولد" على لسان نظام الملك من أن ألب أرسلان كان حنيفياً متعصباً لا يحب مذهب الشافعية أبداً. وربما كان من أسباب تغاضيهما أيضاً أن هذه المدارس في النهاية قد خدمت دولتهم السنية بمحاربتها للفكر الاسماعيلي، وبما خرجته من موظفين أكفاء في إدارة

(١) جولدتسيهر، العقيدة والشريعة، ص ١٢١.

الضرائب والدخل والخراج، ورعاية الفقه والقوانين "ممن رسخت أقدامهم في العقيدة السنية"^(١).

وإذا كان ألب أرسلان وملكشاه لم يظهرهما تعصبهما للمذهب الحنفي، فإن من أتى بعدهما من سلاطين السلاجقة لم يستطيعوا أن يخفوا ذلك، فالسلطان محمد بن ملكشاه عزل الشافعية عن الخطبة بالمسجد الجامع في مدينة الري، وأسندها إلى قاضي القضاة الحنفي صاعد بن مسعود^(٢). أمّا أخوه السلطان سنجر فقد عزل من المناصب -في جميع الأنحاء الخاضعة له- كل من لم يكن من أتباع أبي حنيفة، وأسندها إلى الحنفية^(٣).

أمّا السلطان مسعود السلجوقي فقد أحضر معه إلى بغداد في عام ٥٣٨هـ/١١٤٣م الحسن بن أبي بكر النيسابوري، وهو من كبار فقهاء الحنفية، فجلس في جامع قصر السلطان وفي مساجد أخرى ببغداد، وأخذ يلعن الأشعري جهراً على المنبر^(٤).

التشيع في نواحي الري

انتشر الشيعة في الري حاملين لواء أن الإمامة لا تكون إلا لعلي بن أبي طالب، وقالوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية

(١) بارتولد، تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ص ١٠٩.

(٢) بوهان فك: العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، ص ٢٠٩.

(٣) الراوندي، راحة الصدور، ص ٥٧.

(٤) الراوندي، راحة الصدور، ص ٥٦-٥٧.

منه^(١)، وانقسمت الشيعة إلى فرق أبرزها والإمامية الإثنا عشرية، الذين قالوا بإمامة موسى بن جعفر الصادق، بعد أبيه^(٢)، ثم الإسماعيلية الذين قالوا بإمامة إسماعيل ابن جعفر الصادق، رغم وفاته في حياة أبيه؛ لأنه أكبر أبناء جعفر الصادق.

ومن هنا كان أئمة الإسماعيلية مستورين خوفاً من السلطة العباسية إلى أن أقاموا الدولة العبيدية التي سموها بالدولة الفاطمية في المغرب سنة ٢٩٧هـ / ٩١٠م^(٣)، أمّا الفرقة الثالثة فهم الزيدية، وهم أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وهم الذين قالوا بإمامته، ومن مبادئهم: عدم رفض خلافة أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، استناداً إلى اعتقادهم بأنه ولاية المفضول مع وجود الأفضل، وهم أقرب الشيعة إلى السنة من حيث المعتقد^(٤).

بدأ التشيع في الري في القرن الثالث الهجري حيث ذكر ياقوت الحموي (٦٢٦هـ / ١٢٢٨م): "وكان أهل الري أهل سنة وجماعة إلى أن تغلب أحمد بن الحسن المارداني عليها فأظهر المذهب الشيعي... وكان ذلك في أيام المعتمد، وتغلبه عليها في سنة ٢٧٥هـ / ٨٨٨م"^(١). ثم نشره في الري ولعل ذلك يعود لعدة أسباب.

أولها بعد المنطقة عن مركز الخلافة العباسية؛ مما شجع أحمد بن الحسن المارداني بالتوجه إلى الري من أجل نشر المذهب، ولعلها تأثرت بالامتداد الشيعي القادم من

(١) الشهرستاني، الملل والنمل، ج ١، ص ١٤٦.

(٢) الشهرستاني، الملل والنمل، ج ١، ص ١٩١-١٩٢.

(٣) ن، م، ج ١، ص ١٩٢.

(٤) الشهرستاني، الملل والنمل، ج ١، ص ١٥٤-١٥٥.

مدينة قم سنة (٢٨٠هـ/٨٩٣م)^(٢). والدليل على رسوخ المذهب في الري هجرة آل بابويه إليها سنة ٢٨٥هـ/٨٩٨م^(٣). أمّا السبب الآخر في شيوع التشيع في الري فهو أبو محمد جعفر بن أحمد بن علي القمي (٣٢٠هـ/٩٣٢م) الذي سكن الري، ويعد من مؤسسي المذهب وعلمائهم^(٤). ومع تصاعد التشيع في الري واعتناق أصحاب السلطة له، فقد دخل أهل الأطراف في هذا المذهب، وبخاصة الرساتيق والبليدات التابعة للري^(٥).

وتعتبر مدينة (ورامين) أحد أهم هذه نواحي الري، [وقد كانت ورامين قرية قبل أن تتحول إلى قصبة كما يرى المستوفي (ت ٧٥٠هـ/١٣٥٠م)]^(٦)، أما السمعاني (ت ٥٦٢هـ/١١٩٦م) فيرى أن (ورامين) إحدى قرى الري وقال "كان حسين الوراميني، يحج دائماً وله ميول لفعل الخير والصدقة إلا أنه يغالي في التشيع"^(٧)، وهذه دلالة واضحة على أنه لم يقتصر على مدينة الري، وإنما انتشر في نواحيها وقراها. كما أن معلومات عبد الجليل الرازي (ت ٥٦٥هـ/١١٦٩م) عن ورامين تثبت أن أهل ورامين كانوا شيعة اثنا عشرية في القرن السادس الهجري، مع وجود بعض الشافعية والحنفية^(٨).

(١) ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ٩٠١، ري باستان، مج ٢، ص ٤٢.

(٢) رسول جعفريان، تاريخ تشيع إيران، ص ١١٤.

(٣) ن، م، ص ١١٦.

(٤) عبد الجليل الرازي، النقض، ص ٥٣.

(٥) رسول جعفريان، تاريخ تشيع إيران، ص ١٣٠.

(٦) المستوفي، نزهة القلوب، ج ٣، ص ٤٣.

(٧) السمعاني، الأنساب، ج ٤، ص ٢٦٠.

(٨) عبد الجليل الرازي، النقض، ص ٥٦.

وقد وُجد كثير من العلويين في الري، وكانوا يتمتعون بكثير من الاحترام والتقدير، فقد أوقف عليهم السلطان طغرل بك أوقافاً من أمواله الخاصة^(١)، وبنيت لهم المدارس والمساجد الخاصة بهم^(٢)، ووصلوا إلى المناصب السياسية، وكان منهم الوزراء سعد الملك أبو المحاسن وزير للسلطان محمد (٤٩٨هـ-٥١١هـ/١١٠٤م-١١١٧م) ومجد الملك القمي الذي وزير للسلطان بركيارق (٤٨٧هـ-٤٩٨هـ/١٠٩٤م-١١٠٤م)^(٣)، ونقله منصب قائد الجيوش، بل أنه طلب أم السلطان بركيارق للزواج^(٤).

وقد انصهرت الشيعة في المجتمع الري، ودخلوا في علاقات جيدة مع السكان، وارتبطوا بهم بروابط الجيرة والمصاهرة وغيرها^(٥). وكانوا يعيشون حياة هدوء واستقرار مع أهل السنة (الشافعية والحنفية) في مدينة الري، فيذكر عبد الجليل الرازي (ت ٥٦٥هـ/١١٦٩م) "أما ورامين فهي بلدة تبدو فيها آثار الشريعة وأنوار الإسلام والطاعات والعبادات وهذا بفضل بركات رضي الدين أبو أسعد وأولاده، وخيراتهم بادية في الحرمين مكة والمدينة، وتمد ولائم الطعام في شهر رمضان فيها، ويمارس الجميع فيها عباداتهم من الحنفي السني، والشيوعي بلا تعصب ولا تفرقة"^(٦). وهذه دلالة على أن

(١) ظهير الدين نيشابوري، سلجوق نامه، ص ١١٣.

(٢) انظر مادة المدارس والمساجد الفصل الثاني.

(٣) الراوندي، راحة الصدور، ص ٢٤٤؛ ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ٢٨٩-٢٩٠.

(٤) كتاب حاضر، مج ١، ص ٢٠٢، ص ٤٢٠-٤٢٤.

(٥) عبد المنعم حسنين، إيران، ص ٤١-٤٢.

(٦) عبد الجليل الرازي، النقض، ص ٥٦.

الشيعة والسنة كانوا يعيشون حياة هدوء واستقرار، ويمارس كل منهم عباداته بدون تعصب ولا تفرقة.

وكان أهل السنة يتعلمون على أيدي الشيعة، فمثلاً كان نظام الملك شافعيًا، ورغم ذلك كان يزور علماء الشيعة^(١). فعندما ينزل الري كان يذهب كل أسبوع إلى درويست -درشت الحالية- حتى يسمع لجعفر بن محمد، أحد علماء الشيعة المشهورين في أنواع الفنون، وفي استماع الأخبار^(٢).

كان شيعة الري يقيمون مجالس العزاء في فترة الدراسة -علانية وبشكل حر، كما أقاموا المآتم لآل البيت وهي من سننهم الخاصة، فقد قال عبد الجليل الرازي (ت ٥٦٥هـ/ ١١٦٩م) "تظهر هذه الطائفة يوم عاشوراء الفزع والجزع، تقيم مراسم العزاء، ويحيون مصيبة شهداء كربلاء، ويقصّونها على المنابر، ويكشف العلماء رؤوسهم، ويمزق العوام الثياب، وتخدش النساء وجوههن ويجهشن بالبكاء"^(٣)، وتابع هذا الفعل في الري الشافعية والحنفية، ودلالة ذلك ما فعله محمود بن محمد حدادي الحنفي الرازي (ت ٥٠٤هـ/ ١١١٠م) في المسجد العتيق في الري يوم عاشوراء من ذكر التعزية ولعنة الظالمين^(٤). ونستنتج من ذلك أن الشيعة عاشوا في الري بهدوء واستقرار. إلا أنه ما أن توفي السلاطين العظام (طغرل بك، ألب أرسلان، ملكشاه) حتى

(١) عبد الجليل الرازي، النقض، ص ٩٧.

(٢) طبرسي، مجمع البيان، ص ٢٩٧-٢٩٩.

(٣) عبد الجليل الرازي، النقض، ص ٤٠٤.

(٤) ن، ص ١٠٨.

بدأت بذور الصراع بين أهل السنة والشيعة^(١). ويبدو أن الشيعة تكاثرت أعدادهم في الري قياساً مع أهل السنة.

ويؤيد ذلك مما ذكره بعض المؤرخين عن تلك الفترة، فقد ذكر:

١. صاحب فضائح الروافض - وهو من السنة المجبرة والمشبهة ومن أهل الري-:

"ليس من فائدة كون أن الروافض هم الأغلب، ولا شك أنهم من حيث العدد

كثيرون"^(٢). والروافض هم الشيعة بفرقهم المختلفة.

٢. وقال عبد الجليل الرازي "لأن الرازيين هنا -أي في مدينة الري- أكثرهم شيعة،

وليس هناك أهمية واعتماد على الكثرة"^(٣).

٣. وجاء في كتاب "سياست نامه" لنظام الملك ذكر القرامطة والباطنية في الري

وآية وقم وكاشان وولاية طبرستان ومازندران، الجميع رافضة"^(٤).

ونذكر هذه الملاحظة هنا لا يخلو من الفائدة، وهي أن الشيعة الإثني عشرية

يقسمون إلى قسمين هم الأصوليون والإخباريون. والاجتهاد المحور الرئيس عند الشيعة

الأصوليين، أما الشيعة الاخباريون فيعتمدون على الخبر ولا يجتهدون. وكان جميع

شيعة الري أصوليين، يعملون على أساس الاجتهاد كما قال عبدالجليل الرازي في باب

(١) رسول جعفريان، تاريخ تشيع در ايران، ص ٤٥.

(٢) فضائح الروافض، ص ٤٨٩.

(٣) عبدالجليل الرازي، النقض، ص ٤٩٠.

(٤) نظام الملك، سياست نامه، ص ٢١٧.

شيعة عصره: "الري ونواحي كثيرة منها وبعض قزوين ونواحيها وبعض خرقان، أهل كل هذه الأماكن من الشيعة الإمامية الأصوليين"^(١).

وجاء في "عجايب نامة" التي نظمت في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي لطغرل بن أرسلان بن طغرل السلجوقي (٥٧١هـ - ٥٩٠هـ / ١١٧٥م - ١١٩٣م) ذكر مدينة الري وأن: "وأهلها يخالف البعض منهم البعض الآخر، بسبب الدين -المذاهب-"^(٢). وبعد انقضاء عهد السلاطين الأقوياء اشتعلت فتنة شديدة بين الشيعة والسنة في سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م، وقد أشار ابن الأثير إلى هذه الفتنة في معرض كلامه عن الحوادث التي حدثت بعد وفاة محمد جهان البهلوان، فقال: "كان بمدينة الري أيضاً فتنة عظيمة بين السنة والشيعة وتفرق أهلها، وقتل منها، وخربت المدينة وغيرها من البلاد"^(٣).

وسبب هذه النزاعات اختلاف الفرق في بيان المسائل العقلية والأصول الدينية في العصر السلجوقي، وكان العوام الذين يعتمدون في استدلالاتهم على حجج واهية يشهرون سيوفهم في هذه النزاعات، ويتسببون في مجازر جماعية، وكان الخواص الذين يمتلكون حدة اللسان وحرية المنطق، يسخرون القلم وسيلة لهزيمة الخصم، فكتاب النقض التي اشتمل متنته على بعض فضائع الروافض مرآة كاملة لمظهر هذه النزاعات، ويعرفنا على مقالات الطرفين المتخاصمين، وامتد هذا النزاع المذهبي -بالقلم

(١) عبد الجليل الرازي، النقض، ص ٤٩٣.

(٢) طوسي، عجايب نامة، ج ١، ص ٣٩.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج ٩، ص ١٧٦.

والسيف-(١) في العصر السلجوقي إلى مناطق مختلفة، حيث أشار المقدسي في أحسن التقاسيم إلى: "أنه يقع بالري عصابات في خلق القرآن، وبقزوين أيضاً بين الفريقين..."(٢).

موقف السلاجقة من الباطنية

الباطنية المشار إليهم هنا، هم أتباع الحسن بن الصباح الذي استطاع أن يغتصب قلعة "الموت" بالقرب من مدينة قزوين، ويتحصن بها مع أتباعه، وهم ينتسبون مذهبياً إلى الشيعة الاسماعيلية، وقد سمو باطنية لأنهم يقولون أن للقرآن ظاهراً وباطناً، ويأخذون بالمعنى الباطن للكتاب جاعلين لكل تنزيل تأويلاً(٣).

وعلى الرغم من أن هذا الاسم أطلق على فرق عديدة: كالخرمية، والقرامطة والإسماعيلية، إلا أنه غلب في أواخر القرن الخامس الهجري على أتباع الحسن بن الصباح، كما عرف هؤلاء أيضاً باسم "الملاحدة" لما في مقالتهم من الإلحاد(٤).

(١) عبد الجليل الرازي، النقض، ص ٤٩٤.

(٢) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٣٩٦.

(٣) الغزالي، فضائح الباطنية، ص ١١، ١٢.

(٤) الراوندي، راحة الصدور، ص ٢٠٩، ٢٣٨؛ كاراده فو، الباطنية، دائرة المعارف الإسلامية، ج ٣، ص ٢٩٠-٢٩١.

وأمام الإحساس بالخطر المحدق لجأ الباطنية إلى أسلوبهم القديم، وهو محاولة الاستيلاء على الحصون والقلاع الغربية من مدينة الري لتكون مركزاً لدعوتهم، واتخاذ حصن آمن يلجأون إليه عندما يطاردتهم الأعداء والخصوم. وتشير بعض الروايات إلى أن السبب المباشر لاتجاه هذه الطائفة نحو هذا الأسلوب الجديد، هو التأديب والعقوبات التي لقيها أحد دعائهم، وهو الحسن بن الصباح الذي اتهمه رئيس الري - وكان صهراً لنظام الملك - بأنه يتردد عليه جماعة من دعاة العبيدين الذين تسموا بالفاطميين^(١). فخافه ابن الصباح، وهرب من الري إلى أصفهان، وهناك اشتغل بالدعوة للعبيدين فترة من الزمن، ثم توجه إلى مصر - بناء على توجيهات ابن عطاش - فوصلها في عام ٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م^(٢)، ويقال: إنه مكث عاماً ونصف في القاهرة لم يستطع خلالها أن يقابل المستنصر إلا مرة واحدة، عرف منه فيها أن خليفته من بعده هو ابنه الأكبر نزار^(٣).

وعاد الحسن بن الصباح إلى فارس يدعوا لنزار أكبر أولاد المستنصر في أماكن متعددة ككرمان، وطبرستان، ودامغان، وأقاليم أخرى ما عدا الري؛ لأنه كان يتجنبها اتقاء لمطاردة رجال نظام الملك الذي أمر زوج ابنته حاكم الري بالقبض عليه^(٤). وما زال ينتقل في بلاد فارس وخراسان حتى وصل إلى قزوین، واستطاع بحيلة جريئة أن

(١) الذي وفد على الحسن في الري هو عبد الملك بن عطاش الذي كان يقوم بأمر الدعوة في أصفهان، وكان ذلك

في عام ٤٦٤هـ. الهمداني، جامع التواريخ، ص ١٥٠؛ بروان، تاريخ الأدب في إيران، ج ١، ص ٢٤٩.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج ٩، ص ٤٤٨؛ بروان، تاريخ الأدب، ج ١، ص ٢٤٩.

(٣) ن، م، ج ٩، ص ٤٤٨.

(٤) بروان، تاريخ الأدب في إيران، ص ٢٤٩.

يستولي على الحصن الجبلي المنيع، والمسمى حصن "الموت" في عام ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م^(١).

وحين علم نظام الملك باستيلاء الحسن على قلعة الموت، أرسل له عسكرياً حاصروه في القلعة، فلما ضاق ذرعاً بهذا الحصار، وجه أحد أتباعه لاغتيال نظام الملك، فتم له ذلك وانتهى الحصار^(٢). وبعد مقتل نظام الملك بشهر وأيام توفي السلطان ملكشاه في شوال من عام ٤٨٥هـ/ ١٠٩٣م.

هياً مقتل نظام الملك (الذي كان من ألد أعداء الشيعة، وخاصة الإسماعيلية)، ثم وفاة ملكشاه بعده بقليل، هياً ذلك للحسن بن الصباح وللإسماعيلية في فارس أن يعملوا على تدعيم نفوذهم في المنطقة عن طريق الاستيلاء على عدة قلاع جديدة على غاية من الأهمية، ثم العمل على نشر مذهبهم بكل الوسائل الممكنة، والعمل على إسكان الخصوم بكل أنواع الإرهاب والقمع، مستفيدين في ذلك كله من الصراع الذي احتدم بين أبناء ملكشاه وإخوته على النفوذ والسلطان عام ٤٨٥هـ-٤٩٨هـ/ ١٠٩٣-١٠٩٦م تقريباً، وحين استقر الأمر للسلطان محمد بن ملكشاه بعد وفاة أخيه بركيارق (٤٩٨هـ/ ١٠٩٦م)، كانت أصفهان بصفة خاصة مسرحاً لجرائمهم البشعة، حيث كانت هذه المدينة مقراً لأحمد بن عبد الملك بن عطاش الذي استطاع أن يستولي على قلعة (شاه دز) في عام (٤٩٤هـ/ ١١٠٠م)^(٣). وهي قلعة حصينة بناها ملكشاه بالقرب من أصفهان فنال المسلمين من ابن عطاش "ضرراً عظيماً، من أخذ الأموال، وقتل النفوس، وقطع الطريق والخوف

(١) ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ٣١٧.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ٣١٧، عبد المجيد أبو الفتوح، التاريخ السياسي، ص ١٥٥.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج ٩، ص ١٥٠؛ دائرة المعارف الإسلامية، مج ٤، ص ٣٧٣.

الدائم"^(١). وتوالى بعد ذلك سقوط كثير من القلاع والأماكن الحصينة، في قبضة الحسن بن الصباح وتبعه أتباعه"^(٢). ولم تكن هذه الخطوة هي الخطوة الهامة الوحيدة التي خطاها الباطنية، بل أضافوا إليها خطوة هامة أيضاً، وهي الجد في التسلل إلى المراكز الهامة في دولة السلاجقة السنيين، وداخل قصور السلاطين وخاصة في مجال الوزارة والجيش، وجباية المال. وقد مكنهم ذلك من التعرف على أسرار خصومهم ومراقبتهم عن قرب، واستغلال ذلك كله لصالحهم الديني والسياسي. فعندما حاصر السلطان محمد قلعة "شاه دز" القريبة من أصفهان في عام ٥٠٠هـ/١١٠٥م، وكان صاحبها في ذلك الوقت أحمد بن عطاش، تأمر الوزير سعد الملك أبو المحاسن على قتله أحمد بن عطاش حتى يتمكن من فك الحصار عن القلعة. ورغم أن الشبهات كانت تحوم حول هذا الوزير، إلا أن السلطان لم يتوقع أن يكون وزيره واحداً منهم حتى انكشفت خيوط المؤامرة، فقبض عليه هو وبعض أعوانه، وصلبهم على باب أصفهان. ومن العجيب أنه بعد مقتل الوزير بيومين سقطت القلعة، الأمر الذي يدل على أن وجود هذا الوزير في مكانه الهام كان من أسباب صمودها"^(٣).

(١) ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ٣١٦.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ٣١٥-٣١٩؛ بروان، تاريخ الأدب في إيران، ج ١، ص ٢٥٠.

(٣) الراوندي، راحة الصدور، ص ٢٤٥؛ عبدالمجيد أبو الفتوح، التاريخ السياسي، ص ١٥٧.

ولم يكن سعد الملك هو الوزير الوحيد الذي انتمى إلى الباطنية، فقد اتهم بذلك مجد الملك القمي الذي وزر للسلطان بركيارق، ولذلك ثار عليه الجند ومزقوه إرباً^(١).
وتسلل كثير منهم إلى جيوش السلاطين، وشاركوا في الصراع الدائر بينهم أحياناً ليحققوا هدفين رئيسيين: الأول، إضعاف هؤلاء السلاطين المتنازعين وتبديد مواردهم. والثاني: صرف هؤلاء السلاطين وشغلهم حتى لا يفكروا في توجيه جهودهم العسكرية إلى قلاع الباطنية، وبذلك يصبحون القوة الوحيدة المرهوبة الجانب. ويذكر ابن الأثير أنهم: "كادوا يظهرون بالكثرة والقوة، وزاد أمرهم، فصاروا يتهددون من لا يوافقهم بالقتل"^(٢).

واضطر بركيارق - أمام تزايد نفوذهم - إلى التعجيل بالتخلص منهم في عام ٤٩٤هـ/١١٠١م، ويذكر ابن الجوزي أن السلطان سنجر ورد على الري في عام ٥١٣هـ/١١١٩م لحرب ابن أخيه محمود، وكان مع سنجر "من الباطنية ألوف"^(٣).
ويبدو أن حرص الشيعة الإسماعيلية في الشرق على الوصول إلى المال بدأ مبكراً، ولكنه ازداد بعد أن أصبح لهم كيانه المستقل بعد موت المستنصر^(٤). فنظام الملك يشكو في كتابه "سياست نامه" من أن القرامطة يوظفون بكثرة - في عهد ملكشاه -

(١) بروان، تاريخ الأدب في إيران، ص ٣٧٧؛ وقد ذكر الراوندي وابن الأثير حادثة مقتل الوزير "القمي" لكن الأول لم يشر إلى أنه كان باطنياً، أما ابن الأثير فذكر في سبب مقتله أنه اتهم بدفع الباطنية إلى قتل بعض الخصوم وأنه كان يتشيع لكنه لا يقول في الصحابة إلا خيراً، انظر: الراوندي، راحة الصدور، ص ٢٤٤؛ ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ٢٨٩-٢٩٠.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ٣٢٢-٣٢٣.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج ٩، ص ٢٠٥.

(٤) بروان، تاريخ الأدب في إيران، ص ٢٧٠.

في أعمال الدولة والديوان، وأن ملكشاه استطاع أن يجني بعض الأموال من ورائهم، وبسبب هذه الأموال الكثيرة التي جناها حرص على إرضائهم بعد أن غرسوا في نفسه حب المال والحرص عليه، وقال إنهم يسعون لدى السلطان ليقتنعوه بأن يهدم بيت بني العباس، كما إنهم اتهموا نظام الملك عنده بأنه مغرض يعمل لمصلحته الشخصية، حتى أصبح السلطان لا يقبل منه نصحاً. وحذر نظام الملك من مخططاتهم فهم "يدبرون من وراء أسوارهم نكبة هذه المملكة، وإفساد مذهبها ودينها، فما تزال آذانهم تتسقط الأنباء، وعيونهم تتربص الفرص، حتى إذا أصابت هذه الدولة القاهرة... مصيبة جديدة خرج هؤلاء الكلاب من مكانهم لنشر الدعوة الشيعية"^(١).

يبدو كما سبق أن هدف الباطنية من التسلل إلى هذه الوظائف الهامة التي تتعلق بشئون المال وتشجيعهم الأمراء والسلطين على فرض الضرائب الباهظة على عامة الناس هدفاً مزدوجاً، فهم يسعون إلى تخدير الملوك والسلطين، وكسب ثقتهم من ناحية، ثم العمل على إثارة سخط المظلومين على هؤلاء الحكام من ناحية أخرى، ومن ثم يتمكنون من تحقيق أهدافهم في سهولة ويسر.

وحاول الباطنية الانتقام لأنفسهم، فكثرت غاراتهم على القرى والبلدان القريبة من حصونهم، يقتلون وينهبون حتى ضج الناس من شرهم، الأمر الذي دفع السلطان

(١) نظام الملك، سياست نامه، ص ١١٣؛ بروان، تاريخ الأدب في إيران، ص ٢٦٣، ٢٦٤.

سنجر إلى مهاجمتهم في الموت سنة ٥٢١هـ/١١٢٧م، فاستطاع أن يقتل منهم خلقاً كثيراً قيل أنهم "كانوا يزيدون على عشرة آلاف نفس"^(١).

ولم تكن هذه آخر محاولة بذلها السلاجقة للتخلص من خطر هذه الطائفة، فالراوندي يذكر أن السلطان مسعوداً نزل هو وأمراؤه على إحدى قلاع الباطنية في ولاية "قهاب"، فأقام حولها ثلاثة أشهر حتى سقطت، لكن خلافاً حدث بين الأمراء فانسحبوا من حولها، تاركين جميع الآلات وأدوات الحصار "وكان ذلك غنماً عظيماً، ووهنا تماماً، فقد قوي أمر هؤلاء المخازيل، فأخذوا يبالغون في عمارة تلك القلعة، وإحكام بنائها"^(٢). ولم يقدر لها أن تسقط إلا في عهد السلطان أرسلان بن طغرل بن محمد سنة (٥٦٠هـ/١١٦٥م) ومعها بعض القلاع الأخرى التي أنشأوها - في عهده - بنواحي قزوين^(٣).

(١) ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ٦٤٧.

(٢) الراوندي، راحة الصدور، ص ٤١٤-٤١٥.

(٣) ن، م، ص ٤١٥.

الحياة اليومية

العادات والتقاليد

انتشرت في مجتمع الري بعض العادات والتقاليد التي يمكن اعتبارها ظواهر اجتماعية عامة، تمارسها غالبية السكان، ومن هذه العادات إغلاق الأسواق والحوانيت، وتعطيل الحياة الاقتصادية لمدة ثلاثة أيام حزناً على الفقهاء والعلماء، كأبي بكر أحمد بن محمود الفقيه الرازي (ت ٤٦٠هـ/١٠٦٧م)^(١). وأبي محمود محمد بن غالب المحدث الرازي (ت ٥١٥هـ/١١٢١م)^(٢). مما يدل على تبجيل الرازيين للعلماء وتقديرهم للعلم.

وكان الرازيون يتبركون بزيارة القبور، ويعظمونها، كمرقد الإمام علي بن موسى الرضا^(٣) في طوس^(٤)، وبعض المشاهد في الري نفسها، ومن هذه المشاهد مقام السيد عبدالعظيم الحسني الذي كان مندوباً من قبل الإمام علي بن محمد بن الرضا بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام المشهور بالإمام الهادي العاشر عند الإمامية^(٥).

وهناك عادة اجتماعية حسنة انتشرت عندهم، وهي التهادي فكانوا يتهادون ويستهدون. ومن كلامهم "الهدية ترد بلاء الدنيا"^(٦).

(١) شوشتری، مجالس المؤمنین، ج ٢، ص ٢٠٦.

(٢) ن، م، ج ٢، ص ٢٥١.

(٣) هو الإمام الثامن عند الشيعة الإمامية.

(٤) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ص ٣١٥.

(٥) جمال الدين الداودي، عمدة الأنساب، ص ١٠٧.

(٦) طوسي، عجایب نامة، ص ٢١٨.

وكانت هناك عادات سيئة [في المجتمع الرازي] كالمجون وتعاطي الخمر^(١)،
والتعلق بالغلطان المرد^(٢)، فمثلاً كان السلطان بركيارق يعيش مع عدد من الصبيان
عيشة اللهو والمتعة^(٣).

ولم يسلم [المجتمع الرازي] من بعض الأمراض الاجتماعية كالغيبة والنميمة^(٤)
والرشوة، ويذكر أن محمد بن علي الرازي دفع لعميد الملك الكندري مبلغاً قدر ستة
آلاف دينار حتى يتولى منصب رئاسة ديوان الطغراء^(٥).

واعتقد الرازيون بالسحر والحسد، فصاروا يحملون التمايم^(٦) والخرز^(٧) ليدفعوا
هذه الشرور عنهم، واشتهر في حمل التمايم والخرز عبدالله بن محمد الرازي
(ت ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م).

كما كانوا يوشمون وجوههم وأجسادهم، فقد عرف عن أبي محمد عبدالله بن
محمود الرازي الأديب (ت ٤٦٨هـ/ ١٠٧٥م) أنه كان موشوماً^(٨).

واعتادوا في ليالي الصيف النوم على سطوح منازلهم، أو في أفنيئها طلباً للهواء
البارد^(٩).

-
- (١) خواند امير، حبيب السير، ج ٢، ص ٢٠٩.
 - (٢) ابن اسفنديار، تاريخ طبرستان، ج ٢، ص ١١٠-١١١.
 - (٣) خواند امير، حبيب السير، ج ٢، ص ٢١٢.
 - (٤) عيسى صديق، تاريخ اجتماعي إيران، ص ١٢٠.
 - (٥) ظهير الدين نيشابوري، سلجوق نامه، ص ٢٢.
 - (٦) شتوشترى، مجالس المؤمنين، ج ١، ص ١١٨.
 - (٧) ن، م، ج ٢، ص ١٦.
 - (٨) كريماني، ري باستان، ج ٢، ص ١١٨.
 - (٩) عيسى صديق، تاريخ اجتماعي إيران، ص ١١٧.

وكانت لديهم عادة حسنة هي طرح أوراق الورد ذات الرائحة العطرة في مياضئ مساجدهم وبيوتهم^(١).

وكانوا يعتقدون بالتتجيم إلى درجة اتخاذ بعض السلاطين منجمين ضمن حاشيتهم، ومن هؤلاء محمد بن عبدالله الرازي منجماً (ت ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م) عند السلطان ملكشاه^(٢).

كان الناس وبخاصة السلاطين كثيراً ما يلونون الشعر، فمثلاً كان طغرل السلجوقي (٥٧١هـ/ ١١٧٥م) يعلق شعره بثلاثة طور من الحلفاء، وهذا من الأسلوب السلجوقي التركي^(١).

وفي ٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م وحينما استقر السلطان ببغداد أرسل وزيره عميد الملك إلى الخليفة، يطالبه بنقل ابنته إلى دار المملكة، فتمنع الخليفة من ذلك وقال: إنكم إنما سألتكم أن يعقد العقد فقط بحصول التشريف، فتردد الناس في ذلك بين الخليفة والملك، وأرسل الملك زيادة على النقد مائة ألف دينار ومائة وخمسين ألف دينار، وتحفاً آخر، وأشياء لطيفة، فلما كان ليلة زفت السيدة ابنة الخليفة إلى دار المملكة، ضربت لها السراقات من دجلة إلى دار المملكة، وضربت الدبابد والبوقات عند دخولها إلى الدار، فلما دخلت أجلس على سرير مكلل بالذهب وعلى وجهها برقع، ودخل الملك طغربك فوقف بين يديها فقبل الأرض، ولم تقم له، ولم تره، ولم يجلس حتى انصرف إلى صحن

(١) المستوفي، تاريخ كزيدة، ص ١١٦.

(٢) ظهير الدين نيشابوري، سلجوق نامه، ص ١٣٠.

الدار، والحجاب والأتراك يرقصون هناك فرحاً وسروراً، وبعث لها مع الخاتون زوجة الخليفة عقدين فاخرين وقطعة ياقوت حمراء كبيرة هائلة، ودخل من الغد فقبل الأرض، وجلس على سرير مكلل بالفضة بازائها ساعة، ثم خرج، وأرسل لها جواهر كثيرة وثمانية وفرجية نسج بالذهب، مكلل بالحب، وما زال كذلك كل يوم يدخل ويقبل الأرض ويجلس على سرير بازائها، ثم يخرج عنها ويبعث بالتحف والهدايا، ولم يكن منه إليها شيء مقدار سبعة أيام، ويمد كل يوم من هذه الأيام السبعة سمطاً هائلاً^(٢).

أمّا بالنسبة للزفاف فقد ذكر أنه "في محرم سنة ٤٨٠هـ/١٠٨٧م تم نقل جهاز ابنة السلطان ملكشاه إلى دار الخلافة على مائة وثلاثين جملاً مجللة بالديباج الرومي. وكان أكثر الأحمال الذهب والفضة وثلاث عماريات على أربعة وسبعين بغلاً مجللة بأنواع الديباج الملكي، وأجراسها وقلائدها من الذهب والفضة. وكان على ستة منها إثنا عشر صندوقاً من الفضة لا يقدر ما فيها من الجواهر والحلي، وبين يدي البغال ثلاثة وثلاثون فرساً من الخيل الرائفة، عليها مراكب الذهب مرصعة بأنواع الجواهر، ومهد عظيم كثير الذهب. وسار بين يدي الجهاز سعد الدولة كوهرائين والأمير برسق، وغيرهما، ونثر أهل نهر معلّى^(٣) عليهم الدنانير والثياب، ثم أرسل الخليفة الوزير أبا شجاع إلى ترکان خاتون

(١) عبدالحسين رزين، تاريخ إيران، ص ٤١٨.

(٢) ابن كثير، البداية، ج ١٢، ص ٨٩.

(٣) نهر المعلّى: محله ببغداد وهو نهر يدخل فيها ويسمى نهر بالفردوس لكن تتسبب إلى المعلّى بن طريف مولى المهدي وكان من كبار قواد الرشيد. انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٣٢٤.

زوجة السلطان، وبين يديه نحو ثلاثمائة موكبية، ومثلها مشاعل، ولم يبق في الحريم دكان إلا وقد أشعل فيها الشمعة والإثنتان وأكثر من ذلك^(١).

الطعام والشراب

تفنن الرازيون في صنع أنواع الطعام والشراب والحلوى وترد في بعض المصادر الأولية إشارات إلى بعضها وأهمها:

أ. الخبز

يصنع الخبز عادة من القمح والأرز، ولكن أجوده ما صنع من القمح الذي يفضل على سائر الحبوب، وقد اعتمد عليه الرازيون كمادة أساسية في غذائهم اليومي، فكان القائمون على الجيش يصرفون كميات هائلة من الخبز يومياً لإطعام الجند^(٢).

ومن أنواع الخبز الرقاق وهي الخبز الرقيق^(٣)، كما صنعوا أنواعاً من الخبز لها أحجام خاصة منها الرغيف، والأقراص التي يضاف إليها السمن والسمنسم^(٤).

واستخدم أهل الري الخبز في بعض أكلاتهم كالثرید ومع الدجاج^(٥).

(١) ابن الأثير، مج ١٠، ص ١٦٠-١٦١.

(٢) عبدالحسين رزين، تاريخ إيران، ص ٨٩.

(٣) عيسى صديق، تاريخ اجتماعي إيران، ص ١١٨.

(٤) رازي، عبدالله، تاريخ إيران، ص ١١٧.

(٥) ظهير الدين نيشابوري، سلجوق نامه، ص ٩٠.

ب. اللحوم

ويبدو أن أهل الري كانوا شغوفين باللحوم، فأكثر أكلاتهم تعتمد على لحوم الغنم والبقرة، ومن أكلاتهم المعتمدة على اللحوم^(١):

١. الثريد: يعمل من اللحم والخبز، ويصب عليهما ماء اللحم المسلوق^(٢).

٢. اللحم المشوي: وهو من الأكلات الشائعة^(٣).

٣. لم يهمل الرازيون رأس الخروف وأطرافه وأحشاءه بل انتفعوا بها وطبخوها.

وإلى جانب لحوم الماشية تغذى أهل الري على لحم الدجاج والإوز والبط والأسماك^(٤).

٤. اللبن: أكلوه طازجاً وجففوه ليستعملوه فيما بعد^(٥).

ج. البيض:

ومن الأطعمة التي عرفها أهل الري البيض الذي أكلوه مسلوقاً أو مقلياً^(٦). ويبدو

أن أهل الري كانوا يتهادون البيض المسلوق يوم النوروز^(٧).

(١) طوسي، عجائب نامة، ص ١١٦.

(٢) ظهير الدين نيشابوري، سلجوق نامة، ص ٩٠.

(٣) ن، ص ٩١.

(٤) عيسى صديق، تاريخ اجتماعي إيران، ص ١٠٠.

(٥) ظهير الدين نيشابوري، سلجوق نامة، ص ٩٠.

(٦) طوسي، عجائب نامة، ص ١١٢.

(٧) رازي، عبدالله، تاريخ إيران، ص ١٣٠.

د. الأرز

وهو من المواد الغذائية الأساسية في المجتمع الرازي، ومن المعروف أن كل مجتمع له طرق خاصة لطبخ الأرز، فاشتهرت الري بنوع من الأرز يطبخ مع اللحم والبصل وتوضع عليه البهارات^(١). كما كان يطبخون الأرز الأبيض، ويأكلون معه الدجاج أو صنفاً من أصناف اللحوم^(٢).

ولم يكن عمل البهارات مقصوراً على زيادة شهوة الأكل، بل لكي تقلل من دهانته في الفم، وتساعد على هضمه في المعدة^(٣). فاهتموا بالتوابل ومنها القرفة والقرنفل والفلل والزنجبيل^(٤).

أطعمة نباتية:

أكل الرازيون أطعمة نباتية كالمفوف واللوبيا والقنبيط وكذلك الزيتون^(٥).

الحلويات:

كانت الموائد في الري لا تخلو من أصناف الحلوى، التي يدل وجودها على رقي واستقرار اجتماعيين كبيرين ومن الحلوى:

(١) عن طريقة صنعه انظر مالوس، موسوعة الطبخ، ص ٢١٦.

(٢) عيسى صديق، تاريخ اجتماعي إيران، ص ١١٣.

(٣) ن، م، ص ١١٥.

(٤) محمد جواد مشكور، تاريخ اقتصادي إيران، ص ١٤٥.

(٥) ن، م، ص ٧٠-٧١.

- حلاوة الزبيب وتصنع من الزبيب المعمول بالجوز والفسق والسمسم، ويضاف إليها الطيب^(١).

- الفالودج المعقود: وهو عبارة عن حلاوة من العسل والنشا^(٢).

- حلوى التمر والزبد: وهي عبارة عن مزيج من التمر والزبد^(٣).

وقد اشتهر أبو بكر محمد بن عيسى الرازي بالحلواني (ت ٥٦٠هـ / ١١٦٤م)؛ لأنه كان يبيع الحلوى في أحد أسواق الري^(٤):

- المشاش: وهي عسل يطبخ ثم يوضع في إناء ليجمد^(٥).

- حلوى دقيق الجاورس: وهي حلوى مصنوعة من دقيق الجاورس والسمن والسكر، وتؤكل في الأعياد^(٦) والجاورس هو الدخن البري^(٧).

- الترنجبين: وهو عصارة بيضاء تخرج من نبات شوكة يدعى (حاجول)، وتكون ذات طعم سكري، تجمع قبل طلوع الشمس، وتصنع منها حلوى، تقارب الحلوى المعروفة بالمن^(٨).

(١) محمد جواد مشكور، تاريخ اقتصادي إيران، ص ٨٩.

(٢) Bosowrth, The Medieval History, p.33.

(٣) ظهير الدين نيشابوري، سلجوق نامه، ص ١٦٠.

(٤) ميرخوند، روضة الصفاء، ص ٨٩.

(٥) عباس برويز، تاريخ اجتماعي إيران، ص ١٣٣.

(٦) ظهير الدين نيشابوري، سلجوق نامه، ص ١٣٤.

(٧) الاشيلي، عمدة الطبيب، ج ١، ص ١٥٨.

(٨) الرازي، المنصور، ص ٥٨٩؛ الاشيلي، عمدة الطبيب، ج ١، ص ١٤١.

بالإضافة إلى هذه الحلويات استخدم أهل الري المربيات التي تفننوا في صنعها من الفواكه كالتفاح والمشمش^(١).

ومن مكملات الطعام عند الرازيين الفواكه الطازجة، والتي تؤكل في مواسمها المعروفة كالرمان والجزر والعنب والكرز والتين والتوت^(٢).

الأشربة:

الماء المثلج خاص بالطبقة العليا، والقادرة على دفع ثمن الثلج الذي يرتفع ارتفاعاً كبيراً في أيام الصيف^(٣).

ب. الخمر والنبيذ:

وعرف أهل الري الخمر والأنبذة، وتفننوا في صنعها من العنب والزبيب المتوفرين عندهم. وكانت مجالس الأمراء وعلية القوم تغص بالشاربين، وخاصة الشعراء الذين ما انفكوا يصفون أنواع الخمر والأنبذة وروائحها وألوانها ومذاقها، وكانت مجالس الشراب تعقد بعد تناول الطعام، فيشرب كل واحد من الحضور ثلاثة كؤوس من الخمر والنبيذ^(٤). ونظراً لما لهذا الشراب (الخمر والنبيذ) من ميزة خاصة كانت قصور الكبراء تحوي خزائن وبيوت مهيأة بالأنواع المعتقة منها^(٥).

(١) ظهير الدين نيشابوري، سلجوق نامة، ص ١٤٠.

(٢) المستوفى، نزهة القلوب، ج ٣، ص ١٦٢.

(٣) عباس برويز، تاريخ اجتماعي إيران، ص ١٤٠.

(٤) نظام الملك، سياست نامه، ص ١٨٤.

(٥) ن، م، ص ٢٦٧.

جـ. الفقاع

وهناك شراب آخر له مكان بين الأشربة في الري هو الفقاع، وهو شراب يصنع من الشعير، ويخمر حتى تعلوه فقاعات، ويساعد على سرعة الهضم^(١).

د. شراب الزبيب

وهو عصير الزبيب، يعتقد أنه كان من مشروبات العامة^(٢).

وهناك شراب شربه الرازيون هو السكنجبين، وهو عبارة عن عسل وخل وسكر ونعناع^(٣).

وكان مطبخ أهل الري مهياً بالعديد من الأواني والأدوات، التي تستخدم في عملية الطهي وصنع الحلويات، ومنها القدور بأحجامها وأنواعها الحجرية والأطباق والصحاف والهاون والكوز والكوب والفنجان^(٤).

واستخدم الرازيون في الأكل المعالق، والشوك، والسكاكين^(٥). وكانت الطبقة العليا تستخدم آنية من الذهب والفضة^(٦)، وزينت موائدهم بالزهور والرياحين وربما الشموع^(٧).

(١) الرازي، المنصوري، ص ٥٦٢؛ المستوفي، نزهة القلوب، ص ١٦٧.

(٢) طوسي، عجائب نامة، ص ٣٧.

(٣) مالوس، موسوعة الطبخ، ص ٢٤٣.

(٤) ظهير الدين نيشابوري، سلجوق نامة، ص ٣٨، ٣٩، ٥٠، ٥١، ٥٨.

(٥) عباس برويز، تاريخ اجتماعي إيران، ص ١١٣.

(٦) ميرخوند، روضة الصفا، ص ١٣٠.

(٧) ن، م، ص ١٣٥.

وعرف الرازيون استخدام المغاسل بعد الأكل، وهي أوعية معدنية مزينة تقدم للضيوف ليغسلوا فيها أيديهم^(١)، ويصب عليها الماء من القماقم^(٢). واستخدموا في الغسل الأسنان^(٣) الذي يخلط مسحوقه مع المحلب^(٤) والسعد^(٥). ويوضع في إناء فاخر ليأخذ منه من أراد الت غسل فينظف يديه، كما استخدموا بعد الأكل، عيدان تنظيف الأسنان^(٦).

اللباس

كان اهتمام أهل الري باللباس واضحاً، وذلك من خلال تعدد أنواع وأشكال الأنسجة والملابس وأدوات الزينة من الحلي.

وكانت الخامات النباتية المستعملة في صنع بعض الملابس ترجع إلى:

أ. القطن: وهو مأخوذ من شجيرات القطن، ويعرف نسيجه بنعومته وبرودته لذلك يستخدم في فصل الصيف. وقد صنعه الرازيون، وصدروه إلى بلدان كثيرة منها همذان وكرمان^(٧).

ب. الكتان: استخدم أهل الري الكتان، وكان نادراً مما جعله من السلع الغالية الثمن لندرته^(١).

(١) خواندامير، حبيب السير، ج٢، ص٢١٢.

(٢) ميرخوند، روضة الصفا، ص١٤٤.

(٣) شجر ينبت في الأراضي الرملية يستعمل ورقه الأخضر أو الجاف في غسل الأيدي والثياب لكن الجاف أفضل، الرازي، المنصوري، ص٥٨١. تاريخ اجتماعي إيران، ص١٦٣.

(٤) نبات طيب الرائحة ورقه كورق الحناء، الاشبيلي، عمدة الطبيب، ج١، ص٤٧٦.

(٥) نبات أوراقه ذات رائحة عطرية قوية، الاشبيلي، عمدة الطبيب، ج٢، ص٧٣٤.

(٦) ميرخوند، روضة الصفا، ص١٤٨.

(٧) محمد جواد مشكور، تاريخ اقتصادي إيران، ص١٦٠.

أما الخامات ذات الأصل الحيواني فهي:

أ. الحرير: لقد اشتهرت الري في إنتاج الحرير من دودة القز، وعُرف عندهم

المنير^(٢). ومن الحرير صنع أهل الري أنسجة متعددة مثل الديباج الموصوف

بالجودة والرقى^(٣)، والخز المصنوع من حرير وصوف^(٤).

ب. الصوف: وقد اشتهرت بإنتاجه الري من قطعان الأغنام التي كانت تعيش في

قراها. ولكنه كان في الأغلب لبس الطبقة العامة^(٥). وهذا يعود لكثرة وجوده

وبالتالي انخفاض ثمنه.

واستفاد أهل الري من الذهب والفضة في التزيين، وأخذ خيوط للنسيج منه،

واستخدموا كذلك الأحجار الكريمة لتزيين ملابسهم، وخاصة الطبقة العليا التي ربما

جعلت منها أزراراً^(٦).

وهناك الملابس للبدن والرأس، ومنها: ملابس الرأس، ومن أغطية الرأس التي

شاع استعمالها في الري خلال فترة الدراسة القلنسوة، وهي الطاقية التي توضع تحت

العمامة، ويمكن أن تلبس إما وحدها أو تلف عمامة حولها^(٧). وتصنع القلائس الفاخرة

عادة من فراء السمور، أو الوشي المخطط أو اللباد المحلي بخيوط الفضة^(٨).

(١) ن،م، ص ١٦١.

(٢) زكي محمد حسن، الفنون الإيرانية، ص ٢١٦-٢١٧.

(٣) رازي، عبدالله، تاريخ إيران، ص ١٣٠.

(٤) ميرخوند، روضة الصفا، ص ١٤٥.

(٥) ظهير الدين نيشابوري، سلجوق نامه، ص ١٦١.

(٦) ن،م، ص ١٦٣، ١٦٥، ١٦٦.

(٧) العبيدي، الملابس، ص ١٣٦.

(٨) ابن منظور، لسان العرب، ج ٣، ص ٨٧.

وكانت القلائس من لباس القضاة، ومن الخلع التي تعطى للخاصة كالندماء^(١)،
ومع ذلك كانت القلائس للباس الغالب على الطبقة العامة أيضاً^(٢).

وتعددت أشكال وأنواع الملابس التي لبسها الرازيون ومن هذه الملابس:

- الطيلسان: وهو ثوب يحيط بالبدن خال من التفصيل والخياطة، مربع الشكل، يجعل على الرأس فوق العمامة أو القلنسوة، ويغطي به أكثر الوجه، ثم يدار طرفاه من تحت الحنك إلى أن يحيط بالرقبة جميعاً، ثم يلتقيان على الكتفين ويتدلّيان على الظهر^(٣).

- الجبة: وهي ثوب مفتوح يلبس فوق الرداء الأول، وتبطن في الشتاء ببطانة من الفرو، وقد عملت الجباب في الري من العتابي^(٤). ومن ألوان الجباب التي ارتداها الرازيون الأزرق والأبيض والأسود^(٥).

- القباء: كان القباء زياً خاصاً بالسلطين، أما كتابهم فلم يلبسوا الأقبية، وقد امتازت الأقبية الفارسية بالجودة والرقى بل أن بعضها كان قصيراً قد يصل إلى الركبة^(٦).

-
- (١) نظام الملك، سياست نامه، ص ١٤٥.
(٢) الكرديزي، زين الأخبار، ص ٤٠.
(٣) العبيدي، الملابس العربية، ص ٢٦٩.
(٤) العتابي: نوع من القماش المموج وينسب إلى محلة ببغداد تدعى العتابين، أنظر السمعاني، الأنساب، ج ٩، ص ٢١٥.
(٥) ظهير الدين نيشابوري، سلجوق نامه، ص ١١٦.
(٦) العبيدي، الملابس العربية، ص ١١٩-١٢٠.

- الخفتان: هو ثوب مفتوح من الجهة الأمامية ومززر من ناحية الصدر وله كمان قصيران يصلان إلى المرفقين، ويتدلى إلى ما تحت الركبة^(١). وجلس في مجلس السلطان بركيارق عشرة آلاف غلام يرتدون خفتان ديباج^(٢).

- السروال: من الملابس الداخلية التي استخدمها الرازيون أيضاً السروال، وهو لباس فضفاض يستر الجزء السفلي من الجسم^(٣). ومما ورد عن السروال في الري أن السلطان ألب أرسلان كان يرتديه تحت ملابسه^(٤).

- المنطقة: وشد أهل الري على ملابسهم المناطق، والمنطقة حزام، أو كل ما شد به وسط الجسم^(٥).

وكانوا يلبسون ملابس مطرزة بزخارف ونقوش حيوانية ونباتية بل ببعض الكلمات^(٦).

لباس القدم: أكثر ما كان الرازيون يستعملونه لباساً للرجل الخف. وهو نعل مبطن وله طرف مدبب من الإمام^(٧). وكان أهل الري يلبسونه صيفاً وشتاءً^(٨).

(١) الدوزي، معجم الملابس، ص ١٣٣-١٣٤.

(٢) ميرخوند، روضة الصفا، ص ١٣٤.

(٣) الدوزي، معجم الملابس، ص ٢٠٦.

(٤) ظهير الدين نيشابوري، سلجوق نامة، ص ١٣٥.

(٥) دوزي، معجم الملابس، ص ٢٤٠.

(٦) عيسى صديق، تاريخ اجتماعي إيران، ص ١٣٠.

(٧) ابن سيده، المخصص، ج ٤، ص ١١١.

(٨) عيسى صديق، تاريخ اجتماعي إيران، ص ١٣١.

وعرف الرازيون نوعاً آخر من لباس القدم هو النعال، الذي كان يلبس إما لوحده أو فوق الجوارب، وهو شبيه بالخف إلى حد بعيد أو ما نسميه اليوم (الصندل)، ولكنهم لم يستخدموه على نطاق واسع^(١).

أمّا المرأة فقد لبست الملابس الفضفاضة التي تزينها نقط صغيرة منتشرة على سطحها. وكانت تضع فوق رأسها عمامة ذات طيات بسيطة، وتحتل جزءاً صغيراً من الرأس بحيث يظهر من تحتها شعر قصير مجمع خلف الرقبة، ومن المرجح أن قمّاش هذه العمامة كان من مادة رقيقة كالحرير حيث تدل الطيّات على ذلك، ويستدل على ذلك من خلال رسمه على الخزف مصنوعة بالري في القرن السادس الهجري^(٢).

كما وُجد تصوير لملابسهم على صحن من الخزف ذي البريق المعدني ويرجع تاريخه إلى حوالي القرن الخامس الهجري (١١م)، عليه رسوم آدمية في حالة رقص وطرب^(٣). انظر ملحق رقم (٦).

ومن أنواع اللباس أيضاً الشاشية، والرداء وقد رسمت على صحن من الخزف من نوع مينائي مؤرخ من سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م^(٤). انظر ملحق رقم (٧).

(١) عباس برويز، تاريخ اجتماعي إيران، ص ١٣٥.

(٢) ن،م، ص ١٦٩؛ العبيدي، الملابس العربية، ص ٥٠١.

(٣) عباس برويز، تاريخ اجتماعي إيران، ص ٥٠١؛ العبيدي، الملابس العربية، ص ٥٠١.

(٤) عيسى صديق، تاريخ اجتماعي إيران، ص ٢٥٠؛ العبيدي، الملابس العربية، ص ٤٥٤.

أدوات الزينة

- الحلي:

تزينت النسوة الرازيات بأنواع مختلفة من الحلي، فاستخدمت القلائد، وهي: كلمة عامة تطلق على كل ما يتدلى في العنق من الحلي^(١). ومن أنواع القلائد التي استخدمتها المرأة الطوق، وهو حلقة مستديرة تحيط بالعنق^(٢).

- والأساور: عرفت نساء الرازيات الأساور الذهبية^(٣).

ومن مكملات الزينة عند المرأة الطيب بأنواعه مثل المسك، وهو: عبارة عن مادة تؤخذ من نوع من أنواع الغزال^(٤)، والعنبر: وهو ما ينتج من صخر وعيون في الأرض فيجتمع في البحر، فإذا تكاثف طغى على الماء، وقطعته الريح وأمواج البحر إلى قطع صغيرة وكبيرة^(٥)، وأما العود: فهو من أصل نباتي يؤخذ من بعض الأشجار^(٦).

وسائل التسلية

حرص الناس في الري على ملء أوقات فراغهم بممارسة بعض أنواع الهوايات، ولعل الخروج إلى البوادي بغرض الصيد يأتي في مقدمة الهوايات التي

(١) زكية عمر العلي، التزين والحلي، ص ١٥٥.

(٢) ن، م، ص ١٥٧.

(٣) عباس برويز، تاريخ اجتماعي إيران، ص ١٣١.

(٤) زكية عمر، التزين والحلي، ص ٧٧؛ لسان العرب، ج ١٠/٦٦.

(٥) ن، م، ص ٧٩.

(٦) الاشبيلي، عمدة الطبيب، ج ٢، ص ٥٩٤.

مارسها الأمراء والموسرون. وقد عُرف السلطان طغرل بك بحبه للصيد وكثرة خروجه للاستمتاع بهوايته المفضلة^(١).

وكانت لعبة الشطرنج من الألعاب المعروفة لدى الرازيين وهي عبارة عن رقعة مربعة، ومجموعة من البيادق يلعبها الشخصان بتحريك هذه البيادق وفق خطة معينة، وكذلك عرفوا لعبة النرد^(٢) المعروف حالياً (بالزهر).

وعرف الرازيون لعبة الضرب بالصوالة، بحيث يركب اللاعب فرساً ومعه عصا طويلة معقوفة في أحد طرفيها لضرب الكرة^(٣).

ومما يؤثر عن السلاطين في العصر السلجوقي اهتمامهم الكبير بمجالس اللهو والغناء، وكان تنظيم هذه المجالس على شكلين خُصص الأول للعامة، في حين خُصص الثاني للخاصة. أمّا مجلس العامة فقد كان يُعقد يوماً أو يومين في كل أسبوع، ويحضره الناس من كافة فئات المجتمع، ولم يُمنع أحد من حضوره، وذلك أن الوزير السلجوقي نظام الملك طلب من السلطان ملكشاه أن لا يُحال دون حضور أحد لهذه المجالس. أمّا المجالس الخاصة فكانت تقتصر على السلطان والأمراء والوزراء وكبار رجالات الدولة، ومُنع من حضورها الطبقة العامة. وتميزت مجالس الخاصة بآلات ضرب معينة، كما تميزت بتقديم الشراب لحاضري هذه المجالس. ومن ذلك المجالس التي كان يعقدها الأمير السلجوقي

(١) ظهير الدين نيشابوري، سلجوق نامه، ص ٨٩. الراوندي، راحة الصدور، ص ٤٢٠.

(٢) الراوندي، راحة الصدور، ص ٤٢١.

(٣) طوسي، عجائب نامه، ص ١٣٠.

طغانشاه بن السلطان ألب أرسلان، حيث كان يأمر المطربين بالإنشاد حتى يهدأ ويعود إليه مرحة^(١). ولم تخل هذه المجالس من أكل الفواكه وشم الرياحين^(٢).

ويعد السلطان ملكشاه من أكثر سلاطين السلاجقة حبا للغناء، ومما يجدر ذكره أنه علم أن في مدينة الري مغنية معروفة، فاستحضرها وأعجب بغنائها، واستطابها، واستدعى القاضي فزوجه إياها حبا بغنائها. وبلغ من شغف سلاطين السلاجقة بالغناء أنهم كانوا إذا غنى أمامهم مغنٍ قالوا (زه) أي أحسنت. وكلما جاءت (زه) على لسان السلطان منح المغني من الخزينة ألف درهم^(٣). وهذا يعني أن السلاطين كانوا ينفقون أموالاً طائلة في هذه المجالس.

وقد ناهض فقهاء الحنابلة هذه المجالس، كما ناهضوا اللعب واللهو والموسيقى وصارت مكانة القائمين بالغناء والموسيقى منحطة في نظرهم، فلم يكونوا يقبلون شهادة المغني والرقاص^(٤).

ولم تقتصر مجالس السلاطين على اللهو والغناء، بل نجد أن السلاطين كانوا يخصصون مجالساً للقاء الأدباء والشعراء والحكماء، وتدور بينهم مناقشات مفيدة، يستمع إليها السلاطين ويشاركون فيها^(٥).

(١) محمد محمود إدريس، تاريخ العراق، ص ٢٤٤-٢٤٥.

(٢) خواندامير، حبيب السير، ج ٢، ص ١٠٧.

(٣) ن، م، ج ٢، ص ١٠٧.

(٤) محمد محمود إدريس، تاريخ العراق، ص ٢٤٤-٢٤٥.

(٥) خواندامير، حبيب السير، ج ٢، ص ١٠٧.

الحياة الاقتصادية

قامت الحياة الاقتصادية على الزراعة والصناعة والتجارة.

أ. الزراعة

- الأرض

اعتمدت الري على الزراعة كمعظم مدن المشرق الإسلامي حيث كانت الزراعة عماداً لحياتها، فكانت الأرض أهم موارد الإنتاج، وكانت ملكية الأراضي الزراعية موزعة كالتالي:

١. ملكية خاصة

أ. أراضي الأسرة الحاكمة: هي الأراضي التي كانت من ضمن الممتلكات السلطانية، إضافة إلى أراضي الأمراء^(١).

ب. أملاك الأهالي: وعلى رأسهم القادة وعلية القوم من الموسرين والتجار والدهاقين والملاك الكبار، ثم أملاك الفلاحين والقرويين الذين يشكلون غالبية السكان، وهم يملكون أحياناً ما يضمن لهم الحياة، وليس كالطبقة العليا من الملوك^(٢).

٢. ملكية عامة.

أ. أراضي الوقف: هي الأراضي التي يوقفها أصحابها لأغراض دينية أو للمجاهدين والفقراء، أو لليتامى وفك رقاب العبيد، أو لبناء المساجد والحصون والبيمارستانات والمدارس والزوايا والأربطة والخانات، أو

(١) طوسي، عجائب نامه، ص ١٢٦.

(٢) ظهير الدين نيشابوري، سلجوق نامه، ص ٩٢.

لغيرها من المنافع العامة، والأوقاف خاصة ورسمية، فالخاصة يوقفها بعض الأتقياء والأمراء والأغنياء وربما بعض العامة، والرسمية تكون من قبل الخليفة أو السلطان أو الحاكم للنفقة على بعض المنشآت الدينية والاجتماعية العامة^(١). ومن الأوقاف التي أوقفت في مدينة الري ما أوقف على مدرسة شاه غازي. فقد اشترى شاهنشاه غازي رستم بن علي بن شهریار آل باوند سبع قرى من أمهات القرى في الري، ووقفها للمدرسة، وأمر بالنفقات من الرز والسكر والسمن والحصر والقصعة من طبرستان، وكان ذلك لخدمة الفقهاء والمدرسين والمتولين الذين يدرسون في المدرسة^(٢).

ب. أراضي المشاع الميرية، والتي يستغلها الناس كمراعي لدوابهم، أو لأخذ الحطب منها^(٣).

عرفت الري بخصب تربتها، كما وُصِفَت قراها بالخصب ووفرة المياه وطيب الهواء واشتباك الزروع، لذلك فهي في عمومها بساتين ومزارع وحدائق. وقد جاءت هذه الخصوبة من الطمي الذي خلفته المياه المنساحة من الجبال، والفيضانات التي تحمل عناصر الخصوبة، وهي خصوبة يبالغ في وصفها، حتى أن المستوفي يقول: إنها أخصب من سائر بلاد الإسلام... وكل بلاد الإسلام تقحط إلا الري^(٤).

(١) السبكي، تقي الدين، التمهيد فيما يجب فيه التحديد، ص ٨؛ الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص ٤٩

(٢) ابن اسفنديار، تاريخ طبرستان، ج ٣، ص ٩١.

(٣) كريمان، ري باستان، مج ٢، ص ٩٢.

(٤) طوسي، عجائب نامه، ج ٣، ص ٥٨. محمد جواد مشكور، تاريخ اقتصادي إيران، ص ٥٧.

حرص السلاجقة طيلة حكمهم على حماية الفلاحين والمزارعين من إرهاب الاقطاعيين ليضمنوا لهم العيش ويمكنوهم من الإنتاج، وكان اهتمام السلاجقة بمصالح الفلاحين، من خلال بناء الأسوار حول المزارع والبساتين لحمايتها من اللصوص المعتدين^(١).

وقد انتبه الفلاحون إلى أوقات السقي وأوقات البذر والفيضانات والتلقيح والغرس والحصاد، وما إلى ذلك مما يتصل بعملية الزراعة وأوقاتها، كما يلاحظ أنهم عرفوا مواجهة الأخطار التي تحدث بالمحاصيل، والتعامل مع الآفات الزراعية والأنواء الجوية من حر وبرد وتلج. أما خراج الري فكان يقدر بعشرة آلاف ألف دينار^(٢). ومن الوسائل التي استخدمها الرازيون في حراثة أراضيهم المحراث، الذي يجره زوج من الثيران أو الخيل أو الحمير^(٣). ومن الأدوات التي ساعدت الفلاح على الحراثة الفأس ذو الرأس الحاد عوضاً عن المحراث، كما استخدم الفأس في النكش حول النباتات المزروعة والأشجار المثمرة^(٤).

ومن الأدوات الزراعية التي عرفت المنجل، وهو من أقدم أدوات الحصاد المعروفة، وهو يتألف من نصل حديدي ذو شكل مقوس له أسنان، وله يد خشبية ملساء، وهو يساعد على حصاد القمح والشعير وغيره من الزروع القصيرة^(٥). كما كان يستخدم في قطع غصون الأشجار الطرية زيادة على المنشار الذي يستعمل أساساً في قطع غصون

(١) محمد جواد مشكور، تاريخ اقتصادي إيران، ص ٥٩.

(٢) ن، م، ج ٣، ص ٦٠. عبدالله رازي، تاريخ إيران، ص ١٠٢.

(٣) محمد جواد مشكور، تاريخ اقتصادي إيران، ص ٥٩.

(٤) ميرزان محمد، تاريخي زراعة إيران، ص ١١٥.

(٥) النيسابوري، السامي، ص ١٤٥.

الأشجار الزائدة، أو اليابسة^(١). والمنشار حديدة طويلة طولها حوالي نصف متر تقريباً، ومسننة بأسنان حادة، ولها مقبض خشبي^(٢).

وعرفت كذلك المجرفة وهي عبارة عن قطعة من الحديد عريضة، تستعمل لقلب التراب بدلاً من المحراث، وتستخدم في تنظيف القنوات والمصارف من الأعشاب والنباتات الضارة^(٣).

ولتسوية التربة استخدم الفلاح الجاروف وهو يشبه إلى حد كبير المسحاة، ويتكون من قطعة حديدة مستطيلة، تثبت في وسطها عصا خشبية مزودة بمقبض خشبي في قسمها العلوي، وفي طرفي القطعة الحديدية حلقتان، يربطهما حبل، ويعمل بها رجلان وجهاً لوجه، حيث يغرس أحدهما قطعة الحديد في التربة، ويتحكم بواسطة المقبض الخشبي العلوي، ويشد الآخر الحبل فيحرك التربة. أما الشوافة فهي أداة تشبه الجاروف، والمسحاة، وهي: تتألف من قطعة خشبية اسطوانية الشكل يجرها ثور أو حصان بواسطة حبلين مثبتين بطرفي الشوافة، وهي تزحف زحفاً، ولا تدور، وعند زحفها تكسر الكدر أثناء مرورها، وإذا كان كبير الحجم فهي تعمل على دفعه أولاً، ثم تثبت من فوقه، وقد يركب الفلاح فوق هذه الشوافة أحياناً، ويقوم بتوجيهها ليحصل على نتائج أفضل^(٤).

(١) ميرزان محمد، تاريخي زراعة إيران، ص ٤٥.

(٢) ن، م، ص ٥٠.

(٣) محمد جواد مشكور، تاريخي اقتصادي إيران، ص ١٤٣.

(٤) ن، م، ص ١٤٨.

استغلت الأرض الزراعية في الري - خلال فترة الدراسة - بعدة طرق، وذلك وفقاً للمساحة المراد استثمارها، وهذه الطرق هي:

أ. المزارعة: وهي طريقة في استغلال الأرض تقوم على أساس أن يقدم المالك أرضه مع ما يلزم الأرض من البذار والحيوان والمعدات اللازمة، في حين يقدم الفلاح جهده وعمله وأحياناً جزءاً من الآلات^(١)، ويقسم الناتج بينهما بنسبة يعينها العقد أو العرف، كأن تكون الحصة النصف أو الثلث أو الربع^(٢).

ب. المساقاة: وهي تختص بالأراضي المشجرة، حيث يقوم المالك بدفع الشجر لمن يعتني به، فيتعهد بالرعاية بسائر العمليات الزراعية اللازمة، لقاء حصة معلومة من المحصول كالنصف، أو الثلث أو الربع^(٣).

ج. المغارسة: وهو عقد بين طرفين، فمالك الأرض البيضاء يدفعها إلى من يقوم بغرس الأرض بالأشجار ويتعهد بالرعاية، لقاء حصة معلومة من الأرض والشجر كالنصف أو الثلث أو الربع، وذلك حسب الشروط الموقع عليها في وثيقة العقد^(٤). وتختلف مدة الاتفاق بحسب عدد السنوات التي تحتاج إليها الأشجار لبدء إنتاجها، ولذلك يجب بيان جنس الغرس ونوعه - عنب، تين، نخيل - وذلك لاختلاف نوع الأشجار في وقت الأثمار، لأن الأصل في عقد المغارسة في

(١) المعجم الوسيط، ج ١، ص ٣٩٣؛ تاريخ اقتصادي إيران، ص ١١٥.

(٢) محمد جواد مشكور، تاريخ اقتصادي إيران، ص ١١٥؛ القاموس المحيط، ج ٣، ص ٣٣.

(٣) المعجم الوسيط، ج ٣، ص ٣٤٣؛ الشهابي، تاريخ الزراعة، ص ٤٨.

(٤) رسالة في المغارسة، مخط، ورقة ١.

الزراع الدائم أي في الغرس الذي يدوم زمناً طويلاً، فلا ينقطع خلال فترة قصيرة من وقت بدء الزراعة، وكذلك تحديد عدد الأشجار^(١).

د. الضمان أو التضمين: عرفت هذه الطريقة منذ العصر الأموي، وما زالت شائعة حتى الوقت الحاضر، فكان يحصل اتفاق بين صاحب البستان، وأي رجل لديه رأس مال معين يدفعه لقاء جني محاصيل الثمار أو غيرها، دون القيام بأي عمل زراعي آخر^(٢)، وعملية الضمان لهذه الأشجار تتم منذ بداية عقد الثمار على الأشجار، وينتهي العقد بانتهاء موسم القطاف^(٣). وهذا الأسلوب شائع بشكل كبير خاصة في موسم قطاف الزيتون. ولهذا الأسلوب مساوئ قد يتضرر منها صاحب رأس المال، وتحصل له الخسارة وذلك لأسباب مناخية، أو بيئية طارئة أو تدهور في الأسعار في ذلك الموسم^(٤). كما يتضرر صاحب البستان إذا كانت طريقة جني الثمار غير صحيحة، فإن ذلك يؤدي إلى إصابة الأشجار إصابات بالغة في فروعها، وبراعمها، وأزهارها، فيؤدي ذلك إلى انخفاض في مستوى المحصول التالي بعد انتهاء مدة ضمان البستان.

هـ. التسليف: ومضمون الإنفاق هنا هو الثمار فقط، فصاحب المال يدفع إلى صاحب الشجر أو الزرع ثمن الثمار، ويكون الناتج من المحصول للطرف الأول عند

(١) المغارسة، ورقة ٢.

(٢) فالج حسين، الحياة الزراعية، ص ٧١.

(٣) السبع، أسس الزراعة، ص ٩٧.

(٤) محمد جواد مشكور، تاريخ اقتصادي إيران، ص ١٤٨.

جنيه، وهذه الطريقة تكون المكسب فيها لصاحب المال؛ لأنه اشترى المحصول
بسعر معتدل لقاء حاجة مالك الأرض للمال قبل أوان موعد جني الثمر^(١).

المحاصيل الزراعية:

أدى التنوع في التضاريس الطبيعية، والمناخ، إضافة إلى وفرة المياه والتربة
الخصبة في الري، إلى تنوع المحاصيل الزراعية ويتضح ذلك من خلال قول المستوفي
في وصف مزروعات المنطقة "بأنها تميزت دون غيرها من المناطق، بأنها جمعت
أصنافاً كثيرة من المزروعات لا تجتمع بغيرها: القمح والشعير الزبيب والتين والتفاح
والإجاص^(٢).

أ. الحبوب:

من الحبوب التي أنتجتها الري القمح والشعير والعدس والحمص والذرة
البيضاء^(٣). وعرف أهل الري الأرحية والطواحين التي تعمل بقوة المياه الجارية،
فنصبوها على الأنهار كي يطحنوا بعض أنواع الحبوب التي تستعمل يومياً^(١).

ب. الخضراوات:

إن الخضراوات من المحاصيل سريعة التلف، ولذلك فقد كان يتم تسويقها محلياً
وفي أضيق الحدود، وكانت تستهلك يومياً، فهي ليست كالفواكه التي يمكن الاستغناء

(١) فالح، الحياة الزراعية، ص ٧١.

(٢) المستوفي، نزهة القلوب، ص ١٣٥.

(٣) تاريخ اقتصادي إيران، ص ٦٣.

عنها والتي تستهلك في المناسبات، لذلك كله لم يفصل المؤرخون في الحديث عنها وعن أماكن إنتاجها لكن الباحثة تعتقد بوجودها بكثرة في كل الري وقراها ورسايقها، نظراً لاعتماد الناس عليها، وتوفر الأجواء الصالحة لنموها من مياه وتربة خصبة. ومن الخضراوات التي انتجتها الري الملفوف، والقرع، والبصل، واللوبياء، والقنبيط^(٢).

جـ. الفواكه:

تكثر زراعة الفواكه في الري وقال ياقوت: "هي مدينة مشهورة من أمهات البلاد، وأعلام المدن، كثيرة الفواكه والخيرات، وهي محط الحاج على طريق السابلة، وقصبة بلاد الجبال"^(٣). ومن الفواكه التي زرعها الرازيون العنب، وكانوا لا يقدرّون على تحصيله إلا في فصل الشتاء، وبها نوع من العنب يسمونه الملاحى، حباته كحبات البر، وعنقوده كعذق التمر^(٤). ومن الفواكه الأخرى الرمان والزبيب والكرز والتين والتوت^(٥).

واشتهرت الري بالشمام الجيد، فكان من الفواكه المفضلة لدى السلطان

طغرلبك^(٦).

(١) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٤٠٠. تاريخ اقتصادي إيران، ص ٦٨.

(٢) محمد جواد مشكور، تاريخ اقتصادي إيران، ص ٧٠.

(٣) ياقوت، معجم البلدان، ج ٣، ص ١٣٢.

(٤) القزويني، آثار البلاد، ص ٣٧٦.

(٥) المستوفى، نزهة القلوب، ج ٣، ص ١٦٢.

(٦) ن، م، ج ٣، ص ٥٩.

د. القطن:

اشتهرت الري بإنتاج النوع الجيد من القطن، لذلك قامت بها صناعة ملابس على مستوى عالٍ من الاتقان والجودة، وصار قطنها وملابسها المصنوعة منه^(١) مطلوبين في الأسواق المختلفة.

- الزهور:

كان لأهالي الري اهتمامات كبيرة بإنشاء الحدائق والمنتزهات وزراعتها بمختلف أنواع الزهور والرياحين، ويبدو أن هذه الحدائق والمنتزهات كانت توجد في قصور الأمراء والطبقة العليا من السكان، حيث لديهم المال والوقت للاعتناء والاهتمام بها ومثال ذلك حديقة "باغ شوريا" الموجودة بقصر الأمير إينانج في مدينة الري^(٢).

ونجد في المصادر كثيراً من الزهور والرياحين التي كانت تزرع وتنتج في الري والتي زين بها الرازيون حدائقهم ومنازلهم، ومن هذه الزهور البنفسج^(٣)، الاقحوان^(٤)، والجلنار^(٥)، والياسمين^(٦)، والحبق وهو نبات الريحان ذي الرائحة الطيبة الزكية^(٧).

-
- (١) ظهير الدين نيشابوري، سلجوق نامه، ص ٨٠.
 - (٢) ظهير الدين نيشابوري، سلجوق نامه، ص ٧٨؛ الراوندي، راحة الصدور، ص ٢٩٢.
 - (٣) تاريخ إيران، ص ١١٥. البنفسج نوع من الزهور البنفسجية اللون. انظر: الاشبيلي، عمدة الطبيب، ج ١، ص ١٠٩.
 - (٤) ظهير الدين نيشابوري، سلجوق نامه، ص ٧٩؛ الاقحوان هو أحد أنواع البابونج، انظر: الاشبيلي، عمدة الطبيب، ج ١، ص ٧٦.
 - (٥) ظهير الدين نيشابوري، سلجوق نامه، ص ٧٩؛ الجلنار هو ورد الرمان ولونه أحمر قاني. انظر: الاشبيلي، عمدة الطبيب، ج ١، ص ١٦٩.
 - (٦) ميرخوند، روضة الصفا، ص ١٣٥؛ الياسمين زهرة صغيرة الحجم ذات ألوان عديدة أشهرها الأبيض وهو يتدلى من الأسوار والأشجار الكبيرة، الإشبيلي، عمدة الطبيب، ج ٢، ص ٨٣٥.
 - (٧) ظهير الدين نيشابوري، سلجوق نامه، ص ٦٠.

هـ. الغطاء النباتي:

وهي النباتات التي تنمو دون تدخل من الإنسان، وقد شمل الغطاء النباتي للأرض أنواعاً كثيرة ومختلفة من الأشجار والشجيرات والقصب والحشائش. ومن الأشجار التي تنمو في الري السرو والطرفاء، أما الحشائش فهي نوع من الحشائش الطويلة^(١).

- الري

أهم وسائل الري في منطقة الري هي:

أ. الأنهار وهي:

- نهر سورين، أو سورنا أو السربان، وهذا النهر جار في المدينة من شمالها إلى جنوبها^(٢).

- نهر روضة^(٣).

- نهر موسى: يجري من جبال البرز إلى شمال الري^(٤).

- نهر كرج: ينبع من وسط جبال البرز، وهذا النهر يجري في غرب الري، ويسقي الأراضي الخصبة^(٥).

(١) ظهير الدين نيشابوري، سلجوق نامه، ص ٦٨.

(٢) ياقوت، معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٧٩.

(٣) الحميري، الروض المعطار، ص ٢٧٨.

(٤) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ٢، ص ٦٧٢.

(٥) المستوفى، نزهة القلوب، ج ٣، ص ٥٤.

- نهر جاجرود: ينبع من جبال البرز، ويجري في الأراضي الخصبة في شرق مدينة الري، وخاصة سهل وارمين^(١).

وقد اتخذ القائمون على شؤون الري في مدينة الري عدة إجراءات لتنظيم عملية الري، وسقي المزروعات، ومن هذه الإجراءات إنشاء (مصرف الحصار)، وهو مكان يتجمع فيه الماء الزائد، فيفتحونه ويغلقونه متى دعت الحاجة لذلك^(٢).

وأقام الرازيون سدوداً على نهر جاجرود ليتحكموا في المياه الداخلة، فلا تغرق البساتين والضياع ومن هذه السدود سد أهنيين في أعلى نهر جاجرود، وفي أسفله سد طغربك^(٣).

أمّا ناحية ساوج بلاغ (ومعناها بالتركية العيون الباردة) والتي تقع عند الحد الغربي لسهل الري، والتي كانت ذات شأن أيام السلاجقة -كما يرى المستوفي- فقد كانت تسقى من نهر كرمروود ومخرجه في الجبال شرق قزوین، وهو نهر كان يسقي نواحي الري وشهريار، وتلتقي به هناك أنهار كثيرة تنحدر من الجبال في الشمال قبل أن تفنى مياهه الباقية من السقي في المفازة الكبرى^(٤).

الأمطار: كانت تسقط في فصل الشتاء، وتستفيد منها المزروعات التي تزرع في الري^(٥).

(١) المستوفي، نزهة القلوب، ج٣، ص٥٤.

(٢) ن، م، ج٣، ص٥٨.

(٣) ن، م، ج٣، ص٥٩.

(٤) ن، م، ج٣، ص٥٦. لسترنج، بلدان الخلافة، ص٢٥٣.

(٥) عباس قدياني، جغرافية الري، ص٣٢.

وهناك طرق أكثر بساطة تتمثل بالسواقي أو النواضح، والساقية أو الناضحة هي الناقاة التي تسقي بالدلاء من الآبار، وذلك بإلقاء دلو من الجلد ذي فوهة كبيرة مربوطة بأربعة جبال، ثم يصب الماء في حوض كبير أقيم بالقرب من البئر^(١). ومن هذا الحوض يتوزع الماء على قنوات متعددة ليسقي المزروعات.

الثروة الحيوانية

تشكل الثروة الحيوانية جانباً مهماً من اقتصاد الري، إذ إنها تدخل في جوانب كثيرة من الاستخدام البشري، فهي مادة غذائية استهلاكية في لحومها وألبانها، كما إن إنتاجها من الأصواف والأوبار والفراء والجلود والريش يدخل في نطاق الصناعة والتجارة، وحتى فضلاتها استفاد منها الإنسان بتسميد الأرض وإغناءها وتجديد خصوبتها^(٢).

والثروة الحيوانية تتمثل في:

أ. الماشية: وتتألف من قطعان الأغنام والماعز والأبقار التي تنتج الكثير مما يفيد المجتمع وقد قدر المستوفي جانباً من هذه الثروة بسبعة ملايين رأس من الأغنام^(٣). وقد أهدى ملكشاه لأحد زعماء خراسان مجموعة هدايا ومنها

(١) محمد جواد مشكور، تاريخ اقتصادي إيران، ص ٣٣.

(٢) ن، م، ص ٦٩.

(٣) المستوفي، نزهة القلوب، ج ٣، ص ٥٦.

أربعمائة رأس من الغنم^(١). ويقال أن المتوسط العام للماشية يتراوح بين ثلاثين إلى أربعين بالمائة^(٢).

ب. الدواب: وتتمثل بالخيول والحمير والبغال والإبل، وكانت أعدادها كبيرة وتقدر بخمسين ألف رأس^(٣).

ج. الطيور الداجنة: كالدجاج والحمائم^(٤).

د. الحيوانات البرية: وتتمثل بالثعالب والذئاب والأرانب وبقر الوحش والفهود والأياكل التي تنتج المسك^(٥).

هـ. دود القز: وهي التي تنتج الحرير الذي يشكل بدوره مصدراً مهماً من مصادر الثروة الاقتصادية^(٦). وكان حرير الري يصدر إلى بلدان مختلفة، فحرص الناس أشد الحرص على اقتنائه لمتانته وجماله^(٧).

ب. الصناعة

الثروات الطبيعية

كانت الري غنية بالمواد التي تدخل في الصناعة، فقد حباها الله بثروة طبيعية كبيرة، سهلت قيام حركة صناعية نشيطة، ومن هذه:

(١) ظهير الدين نيشابوري، سلجوق نامه، ص ١٦٠.

(٢) النسبة المئوية، محمد جواد مشكور، تاريخ اقتصادي إيران، ص ٧٢.

(٣) ن، ص ٧٣.

(٤) ظهير الدين نيشابوري، سلجوق نامه، ص ١٦٣.

(٥) ن، ص ١٦٦، ١٦٨، ٢١٠.

(٦) المستوفي، نزهة القلوب، ج ٣، ص ١٣٠.

(٧) محمد جواد مشكور، تاريخ اقتصادي إيران، ص ١٣١.

أ. المعادن

- كانت المعادن أهم أنواع الثروات الطبيعية؛ لأنها تدخل في الصناعة على أوسع نطاق. وقد توفرت في منطقة الري أنواع مختلفة من المعادن، منها:
- الحديد: الذي يوجد بالقرب من قلعة طبرك^(١)، واستخدامات الحديد واسعة، وخاصة في صناعة الأسلحة وأدوات الزراعة والأبواب^(٢).
 - الذهب: ويستخرج من مجاري الأنهار، بالإضافة إلى ذلك كانت توجد مناجم للذهب في الري^(٣)، واتخذ الذهب لضرب العملة^(٤)، إضافة إلى الخزينة في مجالات عدة.
 - الفضة: وجدت في الري، وكانت مناجمها مشهورة بإنتاج كميات كبيرة منها^(٥).
 - النحاس: وقد استخرجوه من الجبال الواقعة بالقرب من الري^(٦).
 - الجواهر والأحجار الكريمة: ومنها الماس الذي يكثر وجوده في الري، الفيروز، وهو حجر كريم أزرق صلب، وكان يستخرج من جبال البرز^(٧).
 - الحجر ومنه الصخري: وكان الرازيون يأخذونه من الجبال المحيطة بهم وخاصة جبال البرز، حيث يجلبون منه الحجارة على شكل قطع وصفائح كبيرة، ثم يقومون بتقطيعها حسب الحاجة، وذلك لاستخدامها في البناء، وتغطية أرضية المباني وبعض الشوارع.

(١) محمد جواد مشكور، تاريخ اقتصادي إيران، ص ١٣٢.

(٢) عبدالله رازي، تاريخ إيران، ص ٥٦.

(٣) ظهير الدين نيشابوري، سلجوق نامه، ص ١٦٠.

(٤) محمد جواد مشكور، تاريخ اقتصادي إيران، ص ١٨٠.

(٥) طوسي، عجائب نامه، ص ١٦٠.

(٦) ن، ص ١٦٨.

(٧) عباس قدياني، جغرافية الري، ص ٣٥.

ومنه أحجار الجص التي تحرق وتستخدم في تغطية السطوح والأسقف، كما كانوا يجلبون من تلك الجبال نوعاً من الطين الذي يستخدم في صناعة الأواني والفخار، وفي البناء بما يعرف بالآجر^(١).

ب. المصادر النباتية:

تمتعت الري بعدد من أنواع المحاصيل الزراعية، والتي أهمها القطن والكتان والحبوب والخضروات والفواكه التي دخلت في النسيج وفي الصناعات الغذائية^(٢).

ج. المصادر الحيوانية:

تكون الثروة الحيوانية مادة رئيسية في الصناعات المختلفة، ولا سيما الأصواف والأوبار والفراء والجلود^(٣).

١. الصناعات

وهي متعددة منها:

- الصناعات الغذائية

نتيجة لتوفر المحاصيل الزراعية، قامت صناعات غذائية مزدهرة، ومن هذه الصناعات المربيات بأنواعها^(٤)، والحلويات كحلوى الزبيب. وأصبح عمل الحلوى

(١) عبدالحسين زرین، تاریخ ایران، ص ١٦٠.

(٢) محمد جواد مشکور، تاریخ اقتصادي ایران، ص ١٦١.

(٣) ن، م، ص ١٦٣.

(٤) عباس برویز، تاریخ اجتماعي ایران، ص ٨٩.

وبيعها مهنة معروفة في الري، مارسها الكثيرون، ومنهم أبو بكر عزت بن محمد الطواني (ت ٤٦٥هـ/ ١٠٧٢م)^(١)، وأبو محمد عبدالعزيز بن أحمد بن نصر الطواني (ت ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م)^(٢). وعرفت الري صناعة الجبن، وتجفيف الفواكه كالعنب والمشمش^(٣).

ويمكن اعتبار الخبز من الصناعات الغذائية وقد راجت مهنة الخبازين التي تقوم على عمل أنواع الخبز وبيعه^(٤).

- التحف المعدنية

أشهر ما عرفت به مدينة الري صناعة التحف المعدنية، والتي اشتملت على سلطانيات وزهريات وأوان تحمل زخارف بأشكال آدمية ورسوم طيور وحيوانات وتوزيعات نباتية وضافر وكتابات كوفية على أرضية من التفريعات النباتية الدقيقة. وكانت هذه الزخارف منقوشة أو محفورة حفراً بارزاً أحياناً، ويزيد في جمالها ما غطيت به من مادة سوداء^(١).

أمّا التحف البرونزية ذات الزخارف المحفورة والمنقوشة، فقد أحسن صناع العصر السلجوقي في مدينة الري سبك البرونز لاستخراج تحف ذات زخارف بارزة كالمرايا والألواح وأشكال الحيوانات. وتشتمل هذه التحف على أنواع مختلفة من

(١) ميرخوند، روضة الصفا، ص ٨٩.

(٢) ظهير الدين نيشابوري، سلجوق نامه، ص ١٤٠.

(٣) ن، ص ١٨٩.

(٤) عبدالحسين زرین، تاریخ ایران، ص ٨٩.

الأدوات المستخدمة في الاستعمالات اليومية، مثل: الأباريق، والغلايات، والشمعدانات، والمصابيح، والمباخر، والصناديق، وغيرها^(٢).

ومارس صناع التحف المعدنية الزخارف المفرغة بمهارة فائقة، واستخدموا ذلك في تزيين الشمعدانات والمباخر التي غالباً ما صنعت على هيئة طيور أو حيوانات^(٣). وتطورت صناعة تكفيت التحف البرونزية بمختلف المعادن مثل النحاس والفضة تطوراً كبيراً على أيدي الصناع في الري^(٤).

ومن الأساليب التي استعملت في زخارف التحف المعدنية أسلوب (النيلو)، وهو: أن يحفر الرسم على اللوحة من الفضة أو الفضة الممزوجة بالذهب، ثم يصب في خطوطه المحزوزة مركب مرتفع الحرارة من النحاس والرصاص والبورق والكبريت وملح النشادر، وبعد تبريد هذا المركب وتلميع اللوحة يصبح فيها تطعيم وتكفيت أسود على أرضية فاتحة، ويزداد الرسم بذلك دقة ووضوحاً^(٥).

-
- (١) ديمانند، الفنون الإسلامية، ص ١٤٣.
- (٢) زكي محمد حسن، الفنون الإيرانية، ص ١٣٠؛ عمر رضا كحالة، الفنون الجميلة، ص ٢٠١؛ زكي محمد حسن، فنون الإسلام، ص ٥٢٥؛ علام، فنون لشرق، ص ١٤٤.
- (٣) زكي، محمد حسن، فنون الإسلام، ص ٥٢٧؛ علام، فنون الشرق، ص ١٤٤. انظر ملحق رقم (١٢).
- (٤) زكي، محمد حسن، فنون الإسلام، ص ٢٠٢.
- (٥) ويلسن، تاريخ صنایع ایران، ص ١٥٠. أحمد حلمي، السلاجقة، تاريخ وحضارة، ص ٢٤٥؛ زكي محمد حسن، فنون الإسلام، ص ٥٣٠.

- صناعة الخزف

كانت مدينة الري أهم مدينة للفخاريين في العصر السلجوقي إضافة إلى كونها المركز الثقافي الأول. وفي منتصف القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي استخدمت أدق الطرق في مدينة الري في صناعة الخزف لصنع أوان فاخرة، بلغت منتهى الدقة من ناحية الصنعة، واستوفت جلّ مقومات الجمال، فأدت أروع الأعمال. والري هذه بثت إلى ذلك حياة جديدة في صنعة التحزيز والتجسيم المسماة بالجابري، وهي التي كاد نجمها يأفل كفن شعبي^(١). وألوان زخارفها صفراء مائلة إلى البني أو خضراء أو أرجوانية، أو موضوعاتها طيور وحيوانات ورسوم آدمية محورة عن الطبيعة فضلاً عن الكتابات الكوفية والرسوم النباتية، وهي إما محزوزة أو محددة بنزع الغشاء الرقيق المحيط بها. وبالرغم من جمال تلك الزخارف فإن رسمها البدائي يشهد بأن هذا الخزف شعبي أو ريفي إلى حد كبير^(٢).

هناك مجموعة متميزة من الفخار الإيراني معظمها حمراء اللون عليها رسوم محزوزة من طيور وحيوانات وتفريعات من المراوح النخيلية وكتابات كوفية داخل مناطق متشابكة، وغالباً ما يظهر في أرضية هذه المجموعة تأشيريات من خطوط قصيرة متوازية، وبعض أشكال من التفريعات النباتية ما يدور حولها شريط أخضر^(٣).

(١) خزف ري، عمر رضا كحالة، الفنون الجميلة، ص ٢٠٥؛ زكي محمد حسن، فنون الإسلام، ص ٢٧٦.

(٢) زكي محمد حسن، فنون الإسلام، ص ٢٧٦؛ علام، فنون الشرق، ص ١٤٤.

(٣) الفنون الإيرانية، ص ١١٦. ن، م، ص ٢١٦-٢١٧.

أما الخزف المطلي بالبريق المعدني فقد عثر عليه في مدينة الري. وينقسم الخزف الإيراني ذو البريق المعدني إلى مجموعتين: أحدهما ذات أسلوب إيراني، أما الأخرى ففيها مزيج من العناصر الإيرانية والعراقية، ويدخل في المجموعة الأولى الأواني التي تزينها رسوم حيوانات وطيور وأشكال آدمية وزخارف نباتية، بالإضافة إلى كتابة كوفية بالبريق المعدني الذهبي اللون^(١).

من أنواع الخزف نوع رسمت زخارفه فوق الدهان باللونين الأزرق والأخضر، وعثر عليه في سامراء وسوس والري، وصنع هذا النوع من الخزف من طفل (الطين) أصفر نقي مغطى بطبقة من المينا القصديرية اللون، وتحتوي زخارفه على كتابات كوفية باللون الأزرق مع بقع حمراء، كما تحتوي على أشكال من الأوراق النباتية أو السيقان المزهرة ذات المراوح النخيلية المرسومة بطريقة سريعة باللون الأزرق أو الأزرق مع الأخضر^(٢).

وكانت الأواني غنية بمختلف التعبيرات الزخرفية من رسوم حيوانات وطيور وتفريعات نباتية وكتابات بحروف كبيرة^(٣).

وتوصل الخزفيون في الري إلى التجديد في صناعتهم إبان القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، فلم تعد منتجاتهم مقصورة على النوع الذي يعرف باسم جبري، وينسب معظمه إلى ما بين القرنين الرابع والسادس (العاشر والثاني عشر

(١) عمر رضا كحالة، الفنون الجميلة، ص ٢٢٠؛ زكي محمد حسن، فنون الإسلام، ص ٢٧٢. انظر ملحق رقم (٩، ١٠، ١١).

(٢) كحالة، الفنون الجميلة، ص ٢٢٢. سفالينه هاي ري، ص ٧٧.

(٣) كحالة، الفنون الجميلة، ص ٢٢٧. سفالينه هاي ري، ص ٧٠؛ علام، فنون الشرق، ص ١٤٥.

بعد الميلاد) وهو نوع شعبي يمتاز بزخارفه المحفورة حفرًا عميقاً على أرضية من الفروع النباتية، والتي تذكر بعض الشيء بالزخارف الساسانية في رسومها المكونة من حيوان أو طائر، فقد توصل الخزافون بمدينة الري في ٥١٩هـ/١١٢٥م إلى تطوير صناعة الخزف، فصنعوا الخزف ذي البريق المعدني، والذي كانوا يسمونه مينائي، وفي بعض الأحيان لوحات مدهونة بطلاء أبيض، فوقه رسوم متعددة الألوان من صور آدمية وفرسان وأمراء على عروشهم وحيوانات وطيور^(١).

وقد كان لمدينة الري المكانة الأولى في استخدام الخزف ذي البريق المعدني، وقد شاع في شتى أنواع المنتجات الخزفية كالألواني والمحاريب والمقاعد والموائد والتماثيل الآدمية والحيوانية. واختلفت الزخرفة بالبريق المعدني في هذا العصر كما عرفناه عنها في العصر السابق، فأصبحت الأرضية هي التي تغطي بالبريق المعدني، بينما نرى رسوم الأشخاص بيضاء في تلك الأرضية، وقد كان الشائع في العصر السابق أن صور الأشخاص هي التي تغطي بالبريق المعدني^(٢). واستعمل الخزفيون في هذا النوع عدداً وافراً من الزخارف الهندسية والنباتية، ورسوموا معظم الحيوانات التي عرفوها في ذلك الوقت، ولا سيما الأرنب وكلب الصيد، كما اتخذوا بعض الزخارف من مناظر الرقص والطرب والموسيقى والصيد ولعب الصوالة وحفلات الاستقبال^(٣).

(١) زكي محمد حسن، الفنون الإيرانية، ص ٢٤-٢٥؛ زكي محمد حسن، فنون الإسلام، ص ٢٧٧.

(٢) رايس، الفن الإسلامي، ص ٧٧؛ الفنون الإيرانية، ص ١٨٥-١٨٦؛ زكي محمد حسن، فنون الإسلام،

ص ٢٧٧؛ علام، فنون الشرق، ص ١٥١.

(٣) العبيدي، الملابس العربية، ص ٥٠١؛ انظر ملحق رقم (٦).

وتمتاز التحف الخزفية ذوات البريق المعدني بوضوح رسمها وصفائه وبإبداع تأليف زخارفها، واتخذت الحروف الكوفية لتزيين حافة الآتية^(١).

والمعروف أن سلاطين السلاجقة كانوا من أعظم رعاة الفن في التاريخ الإيراني، وقد كان طغرل الثاني شديد العناية بالفن والفنانين، وفي عصره (٥٧٣هـ/٥٩٢هـ-١١٧٧م/١١٩٤م) بلغت الصناعات الفنية في مدينة الري أوج عظمتها، وكان على رأس الصناعات بل أعظمها على الإطلاق صناعة الخزف^(٢).

وقد استخدم السلاجقة المينا الخزفية لأول مرة في مصانعهم بالري^(٣).

- صناعة التحف الزجاجية والخشبية

وجدت في مدينة الري صناعة التحف الزجاجية، وهذه الصناعة ترجع إلى القرنين الرابع والخامس للهجرة (١٠-١١م)، ومما يدل على ذلك أنه عثر في مدينة الري على سمكة زجاجية صغيرة وطي الزجاج بالمينا^(٤). وممن اشتهر بهذه الصناعة محمد بن يوسف الرازي (ت ٤٩٠هـ/١٠٩٦م)^(٥).

- صناعة النسيج

ويُراد بها المنسوجات القطنية والصوفية والحريرية التي اشتهرت بصناعتها مدينة الري^(٦)، فقد كانت الري من أهم مراكز النسيج^(٧).

(١) زكي محمد حسن، فنون الإسلام، ص ٢٧٧؛ علام، فنون الشرق، ص ١٥١.

(٢) رايس، الفن الإسلامي، ص ٧٠؛ الفنون الإيرانية، ص ٢٣.

(٣) أوفطاي أصلان، فنون الترك وعمائرهم، ص ٢٥٠.

(٤) زكي محمد حسن، الفنون الإيرانية، ص ٢٦١-٢٦٢.

(٥) السمعاني، الأنساب، ج ١٠، ص ٥٠٦.

(٦) ن، م، ص ٢١٣.

(٧) أنور الرفاعي، تاريخ الفن عند العرب والمسلمين، ص ١٦٢.

وكانت منسوجات الري عظيمة الشهرة في كل أرجاء العالم الإسلامي، وقد أتيقن الصناع الرازيون صناعة أنواع من المنسوجات القطنية^(١). وصارت هذه المنسوجات كالملابس والمناشف مطلوبة في معظم أسواق المدن الإسلامية^(٢).

وبالإضافة إلى ذلك، ازدهرت صناعة المنسوجات الصوفية المعتمدة على ثروتها الهائلة من الأغنام والتي كان من أهمها أغطية الرأس والمفارش^(٣).

والأقمشة السلجوقية معروفة، ومما يثبت ذلك مجموعة من النسيج الحريري عثر عليها المنقبون في أطلال مدينة الري، تتميز بدقة في الرسم، وإتقان في النسيج، ورقة وخفة في الوزن، فنرى على بعضها زخارف من أشكال هندسية متعددة الأضلاع، أو زخارف كتابية بالخط الكوفي، أو أشرطة من الرسوم الحيوانية أو دوائر فيها طيور وحيوانات بينها شجرة الحياة، ولكنها دوائر صغيرة، تكسب التحفة طابعاً فنياً، وتبعدها عن القوة والبدانة التي تبدو على بعض الرسوم الساسانية^(٤). ومن الزخارف التي تكثر في منسوجات الري دون غيرها زخارف تمثل رسوماً للطاووس.

وعثر على أنوال ترجح أن تلك الأقمشة كانت تصنع في مدينة الري نفسها^(٥). وقد اشتهرت الري بصناعة نسيج من الحريري ذي لحتين اسمه "المنير"^(٦)، ويمتاز هذا النسيج بدقة خيوطه، وخفة وزنه وكانت الري مركزاً هاماً لصناعة نسج

(١) حسين قره، سفالية، ص ١٣.

(٢) سيد خليفة، صناعة المنسوجات، ص ١١٦.

(٣) حسين قره، سفالية، ص ١٤.

(٤) سيد خليفة، صناعة منسوجات، ص ١١٧.

(٥) زكي محمد حسن، الفنون الإيرانية، ٢١٦-٢١٧.

(٦) ن، ص ٢١٧. صلاح العبيدي، الفنون العربية، ص ١٧٣.

الحريز^(١)، فقد صنعت نسيجاً حريزاً يتغير لونه بتغير النور، كما وجد في الري نوع من النسيج لا يمكن رؤية الرسوم التي عليه إلا إذا نظر إليها في اتجاه واحد^(٢).

ويتجلى جمال الأقمشة في الفترة السلجوقية بنوعها الذي يفوق نوع الأقمشة التي نسجت قبل هذا العصر، فالنساجون عرفوا الألوان الزاهية كالأزرق والبنفسجي والأسود والأخضر والأبيض الأحمر^(٣).

وظهر في سوق الصناعة في الري كثير من المهن المتعلقة بالغزل والنسيج حيث عرف أصحابها بها كالنساج^(٤)، والغزال، والقطان، والمناديلي^(٥).

صناعة السجاد

كانت الري من مراكز صناعة السجاد المهمة، فقد صنعت السجاد والبسط وسجاجيد الصلاة، وما يفرش في حجرات الضيوف^(٦).

وامتازت هذه السجاجيد بالزخارف الحيوانية والنباتية، وغلب عليها اللونان الأحمر والأزرق بالإضافة إلى الأبيض والأسود^(٧). واستعمل الرازيون في صناعة السجاد الصوف والوبر والشعر^(٨).

(١) سيد خليفة، تاريخ المنسوجات، ص ١٠٣-١٠٤.

(٢) أربري، تراث فارس، ص ١٧٤. أحمد حلمي، السلاجقة في التاريخ والحضارة، ص ٢٤٤.

(٣) ويلسن (كريستي ويلسن): تاريخ صنایع ایران، ص ١٤٩. أحمد حلمي، السلاجقة في التاريخ، ص ٢٤٤.

(٤) ذبيح الله صفا، تاريخ أدبيات در ایران، ص ١١٣.

(٥) ويلسن، تاريخ صنایع ایران، ص ١٥٠.

(٦) ويلسن تاريخ صنایع ایران، ص ١٥٣.

(٧) حسن، فنون الإسلام، ص ٤٣٤. محمد، الفنون الإسلامية، ص ١٩٤.

(٨) حسن، فنون الإسلام، ص ١٥٦.

الدباغة

كانت الدباغة من الصناعات المهمة في الري، إذ أن الصناعات الجلدية تدخل في الحياة اليومية للناس بشكل واسع جداً. وأنت شهرة الري في المنتجات الجلدية من جودة الجلود، وكانت هذه المنتجات عبارة عن ملابس وأحذية^(١)، وبعض أنواع السلاح كالتروس، وعدد الخيل كالسروج واللجم^(٢).

وانتشرت في المدينة مهن مختصة بهذه الصنعة كالخفاف والحذاء^(٣).

صناعة الفرو

كان الرازيون يقومون بخياطة الفرو وصيانته وبيعه، وعرفت الري بثروة حيوانية كبيرة، ومنها ما ينتج الفرو كالشعالب والسنجاب والدببة، فقامت عندهم صناعة مزدهرة تنتج الفرو^(٤).

الصناعات المعدنية

استخدم أهل الري المعادن التي كانت متوفرة لديهم في الصناعة، وأشهرها الحديد أقوى المعادن، وكانت أهم المصنوعات الحديدية الأسلحة على اختلاف أنواعها

(١) ظهير الدين نيشابوري، سلجوق نامه، ص ١٥٦.

(٢) ويلسن، تاريخ صنایع ایران، ص ١٥٤.

(٣) محمد جواد، تاريخ اقتصادي ایران، ص ١٦٠.

(٤) عبدالحسين، زرین، تاريخ ایران، ص ١٦٣.

كالدروع والسيوف والخناجر والمجانيق^(١). وبالإضافة إلى الأسلحة كانت هناك أدوات الحدادين والمزارعين كالقواديم والمساحي والفؤوس والمطارق^(٢). وكذلك دخلت المعادن في صناعة الأدوات المنزلية كالقدور، والمراجل، والملاقط، والسكاكين^(٣).

وانتشرت المهن المتصلة بالصناعات المعدنية، فهناك الحداد نسبة إلى عمل الحديد، كأبي محمد طاهر بن محمد الرازي الحدادي (ت ٤٦٨هـ/ ١٠٧٥م)^(٤)، والنحاس نسبة إلى العمل بالنحاس كأبي بكر محمد بن طاهر الرازي النحاس (ت ٤٨٠هـ/ ١٠٩٢م)^(٥).

الصياغة:

وتختص بصناعة الذهب والفضة، ولعل أهم مظهر من مظاهر الصناعة هذه، صياغة الحلّي، وأدوات الزينة. وقد عرف المجتمع الرازي مهنة الصائغ الذي يصنع للناس كثيراً من الأدوات كالقلائد والأساور والخواتم مما تتزين به المرأة^(٦)، ولا ننسى النقود التي تضرب من الذهب والفضة^(٧).

(١) ظهير الدين نيشابوري، سلجوق نامه، ص ١٦٣.

(٢) طوسي، عجائب نامه، ص ١٩٩.

(٣) ويلسن، تاريخ صنایع ایران، ص ١٦٣.

(٤) نور الله شوشتری، مجالس المؤمنین، ج ٢، ص ١٦٠.

(٥) ن، م، ج ١، ص ٤٦٣.

(٦) ظهير الدين نيشابوري، سلجوق نامه، ص ١٦٠.

(٧) محمد جواد، تاريخ اقتصادي ایران، ص ١٨٠.

الصناعات الخشبية

إن وجود الغابات على نطاق واسع وفر الأخشاب، فاستخدمها الرازيون في صناعة الكثير من الأدوات التي يحتاجها المجتمع الرازي، ويأتي في مقدمتها الأثاث المنزلي كالموائد^(١) والكراسي^(٢)، واستخدموا الأخشاب في صناعة بعض أدوات المطبخ كالأطباق^(٣).

جـ. التجارة

١. طرق التجارة

ارتبطت الري بشبكة كبيرة من الطرق التي ربطتها بمراكز التجارة في المشرق الإسلامي، وكانت هذه الطرق آمنة بسبب الاستقرار السياسي نسبياً لمدينة الري، وبسبب علاقاتها الجيدة مع جيرانها ومع مراكز القوة، كما لا ننسى الموقع المهم ثم إن قيام دولة السلاجقة واتخاذهم الري عاصمة لهم جعلها تتبوأ مكانة خاصة بين مدن المشرق الإسلامي.

وكانت هذه الطرق عبارة عن مسالك استخدمها التجار في رحلاتهم لشراء أو بيع بضائعهم في المدن التي اعتقدوا أنها المكان المناسب لتصريف هذه المنتجات والسلع ولعل أهم هذه الطرق:

(١) ظهير الدين نيشابوري، سلجوق نامه، ص ١٥٩.

(٢) طوسي، عجائب نامه، ص ٩٩.

(٣) ن، م، ص ١٠٣.

أ. طريق خراسان: كان يربط بغداد بمدن ما وراء النهر حتى تخوم الصين، ويمر

بحلوان وإقليم الجبال وهمذان فالري ثم نيسابور وطوس ومرو وآمل عند ضفة

نهر جيحون ثم بخارى وسمرقند^(١).

ب. الطريق من الري إلى أصبهان: وهو من الري إلى مدينة دزه - دير الجص -

قرية كاج - مدينة قم، قرية المجوس - ثم أصبهان^(٢).

ت. الطريق من الري إلى نيسابور: من الري إلى مفضلاباد ثم إلى أفريدين - قصر

الملح - راس الكلب - سمنان - قومس - الحدادة - بذش - مورجان - هفدر

- مشكيد - بهمن أباد - خسروجرد - حسين أباد - نهناباد - بهشكند -

نيسابور^(٣).

ث. الطريق من الري إلى طبرستان: - من الري إلى أذربيجان - الميانج - آمل -

جرجان - طبرستان^(٤).

الطريق المؤدي إلى بغداد عاصمة الخلافة العباسية، وهو الطريق الذي سلكه

ابن فضلان في سفارته إلى بلاد البلغار، وهذا الطريق يبدأ من بغداد، ويصل إلى

النهر وان ثم الدسكره - حلوان - قرميسين - همذان - ساوة - الري^(٥).

(١) محمد محمود إدريس، تاريخ العراق والمشرق، ص ٢٠٣.

(٢) الإدريسي، نزهة المشتاق، مج ٢، ص ٦٨٤.

(٣) ن، م، مج ٢، ص ٦٨٥.

(٤) ن، م، مج ٢، ص ٦٨٥-٦٨٦.

(٥) رسالة ابن فضلان، ص ٧٣؛ منز، الحضارة الإسلامية، ج ٢، ص ٤١٣.

وكان لهذا الطريق ميزة خاصة؛ لأنه يربط بين هاتين الحاضرتين تجارياً وبридياً وهما مركزان تجاريان كبيران^(١)، يصرف كل منهما منتجات الآخر، ومنتجات ما وراءها من مدن ومراكز تجارية كبرى.

وقد كانت هذه الطرق آمنة ومريحة بسبب وجود الفنادق والخانات^(٢)، كما انتشرت في هذه الطرق المراصد، وهي مراكز الجمارك والحدود^(٣).

وكان لجهود السلاطين السلاجقة وتنظيماتهم دور كبير في إرساء الأمن والراحة على طول طرق التجارة كإقامة الاستراحات، وتزويدها بما يريح المسافرين والتجار^(٤).

الصادرات والواردات:

تمثلت صادرات الري بالمنتجات الزراعية والحيوانية والصناعية التي فاضت عن حاجة المدينة وقراها.

وأهم المنتجات الزراعية العنب، وعرفت الري بنوع من العنب يسمونه الملاحى، حباته كحبات البر، وهذا النوع يبقى إلى الشتاء، ويحمل من الري إلى قزوین طول الشتاء، ومع كبر حباته إلا أن قشره رقيق، وطعمه طيب. وبها نوع آخر من العنب شبيه بالرازقي، وحبه ضعيف جداً وكانوا إذا قطفوه تركوه في الظل حتى يجف، ويكون زبيب طيب جداً يحمل إلى سائر البلاد^(٥).

(١) الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص ٢٧؛ ص ١٥٠؛ سرور، تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ١٤٣

(٢) المستوفي، نزهة القلوب، ص ١٥٤.

(٣) متز، الحضارة الإسلامية، ج ٢، ص ٣٨٧؛ عبدالحسين زرین، تاريخ إيران، ص ١٤٠.

(٤) محمد جواد مشکور، تاريخ اقتصادي إيران، ص ١٣٤.

(٥) القزويني، آثار البلاد، ص ٣٧٦.

كذلك صدرت الأنسجة والثياب التي كانت تحمل إلى العراق والهند، وكذلك السجاد والمصليات والمناديل والمسك^(١).

ومن صادرات الري التي اشتهرت بها البطيخ^(٢) والبرود والمنيرات والقطن والقصاع^(٣). ومن صادراتها أيضاً الكثير من الخزف ذي البريق المعدني الذي كان يصدر خصوصاً إلى خراسان وتركستان^(٤).

أمّا عن واردات الري فأهمها الرقيق والدواب والأغنام والأبقار التي كانت تستورد من أذربيجان^(٥). وكانت الري تستورد العسل والأرز والسمسم من نيسابور ومرو^(٦)، واستوردت من روسيا الشموع والجلود^(٧). وكانت تستورد الجواهر والحلي والماس من بخارى^(٨)، واستوردت الشحوم ودهن الرأس من بخارى^(٩).

(١) ويلسن، تاريخ صنایع ایران، ص ١١٧.

(٢) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٣٩٥.

(٣) ن، م، ص ٣٩٥.

(٤) ديماندا، الفنون الإسلامية، ص ١٧١.

(٥) الإدريسي، نزهة المشتاق، مج ٢، ص ٦٨١.

(٦) ظهير الدين نيشابوري، سلجوق نامه، ص ١٩٣.

(٧) طوسي، عجائب نامه، ص ٨٩.

(٨) النسفي، القند، ص ١١٦.

(٩) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٣٢٤.

التبادل التجاري

لم يكن النقد في المنطقة التي سيطر عليها السلاجقة في الشرق موحداً، فبينما كان نظام النقد مزدوجاً في أذربيجان ومنطقة الجبال وجرجان وطبرستان والري، كانت مناطق بخارى وفارس تتعامل بالدرهم الفضي، أما العراق فكان من بين المراكز التي تعاملت بالفضة والذهب^(١).

كانت مدينة الري أكبر دار لضرب النقود في الفترة السلجوقية، وخصوصاً في عهد طغرل بك وألب أرسلان وملكشاه حيث ضربت فيها الدينانير^(٢)، ومما يدل على ذلك أن اسم الري وجد على الكثير من النقود^(٣)، وقد ضرب أول دينار سلجوقي في الري سنة ٤٣٤هـ/١٠٤٢م، وكتب على أحد وجهيه دينار الأمير السيد (طغرل بك محمد بن ميكائيل) في حين كتب على الوجه الآخر (لا إله إلا الله وحده لا شريك له) (القائم بأمر الله أبو طالب)، وهذا يشير إلى اعتراف الخلافة بطغرل بك وعلى إقرار السلاجقة بالخلافة العباسية^(٤).

وكان رطل الري يقدر بثلاثمئة درهم، وقد وردت إشارات إلى أن اللحم كان يوزن بالرطل^(٥). وبلغ من استقرار الأمن للتجار في عهد ملكشاه أن التجار كانوا يطوفون بالدجاج في وسط العسكر، ولا يخافون، ولا يبيعون إلا بما يريدون^(٦).

(١) محمد محمود إدريس، تاريخ العراق والمشرق، ص ٢٢٥.

(٢) The Numismatic History of Rayy, p.197.

(٣) محمد محمود إدريس، تاريخ العراق والمشرق، ص ٢٢٦.

(٤) The Numismatic History of Rayy, p.196.

(٥) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٣٩٦.

(٦) محمد محمود إدريس، تاريخ العراق، ص ١٩٨.

كما استعملت السفاتج^(١)، والسفتجة عبارة عن ورقة يكتب بها المبلغ فيستطيع المستفيد أن يستلم نقوده من الشخص المتفق عليه في أي مكان كان، كان يتسلم الدائن سفتجة من المدين في الري، ويتفقان على أن يأخذ المبلغ المطلوب من أحد الأشخاص في مرو مثلاً^(٢). أي أنها أوجدت كوسيلة لتجنب أخطار المواصلات وكانت تجري باتفاق فردي^(٣).

وقد كثر التعامل بها في تلك الفترة بسبب نشاط الحركة التجارية، فكانت كثيراً ما تستخدم لتسوية الديون، ولكي لا يخاطر الشخص بماله وهو في طريق السفر، وقد كان لكل تاجر وكلاء أو شركاء في المدن الإسلامية كي يستطيع أن يدير تجارته بأمن وأمان، واستعملت السفتجة أيضاً لتسوية الديون في المعاملات التجارية^(٤).

كما استخدم الصك -هو أمر خطي بدفع مقدار من النقود إلى الشخص المسمى فيه، وهي كلمة فارسية معربة والأصل (جك) -^(٥) لدفع الأموال في المعاملات التجارية، واشتهر بعض الرازيين بكتابة الصكوك (العقود التجارية والمالية) في أسواق المال، فحملوا لقب (الصكاك) كأبي إسحاق محمد بن إبراهيم بن حسن الصكاك الرازي (ت ٥٥١هـ/ ١١٥٦م)^(٦).

(١) خواندامير، حبيب السير، ج ٢، ص ٢٥٥؛ الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص ١٦٨؛ تاريخ اقتصادي إيران، ص ١٧٣.

(٢) خواندامير، حبيب السير، ج ٢، ص ٢٥٦.

(٣) الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص ١٦٨.

(٤) ن، م، ص ١٦٨.

(٥) ن، م، ص ١٧١.

(٦) ميرخوند، روضة الصفا، ص ١٣٠.

الحياة العلمية في مدينة الري

شهدت مدينة الري خلال العهد البويهى والسلجوقي حركة فكرية مزدهرة ولعل أهم أسباب ازدهار هذه الحركة، هي:

١. إن مدينة الري في القرن الرابع الهجري والعاشر الميلادي كانت إحدى حواضر البويهيين، وقد اتخذها طغرلبيك بعد مجيء السلاجقة عاصمة له في سنة ٤٣٤هـ/١٠٤٢م.

٢. وقد أدى احترام الأمراء والوزراء للعلم والعلماء وتشجيعهم، إلى تشكيل مجالس العلماء وإنشاء دور الكتب وهذا أدى بدوره إلى هذا الازدهار العلمي والثقافي، ولم يقتصر اهتمام الوزراء والأمراء بالعلم على تكريمهم للعلماء فحسب بل كانوا أنفسهم من العلماء^(١).

ونلاحظ في هذه الفترة ظهور المدارس وانتشارها في أنحاء العالم الإسلامي نتيجة لتشجيع السلاجقة والوزراء والأمراء والعلماء والأغنياء، والأهم من ذلك كله وجود المنافسة بين الفرق الإسلامية التي كانت له السبق في إنشاء المدارس والمكتبات (دور الكتب) فقد ساعدت كل تلك العوامل في نشر العلوم والمعارف في الري وظهور مشاهير العلماء ومنهم الإمام محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين المعروف بفخر الدين الرازي المفسر (ت ٦٠٦هـ/١٢٠٩م)^(٢).

(١) مثل الوزير صاحب بن عباد (ت ٣٨٥هـ/٩٩٥م) والوزير نظام الملك (ت ٤٨٥هـ/١٠٩٢م)، انظر

ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ١٣٢.

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٢٤٨.

ومن أشهر المحدثين عبدالرحمن بن أحمد بن الحسن أبو الفضل الرازي وقد رحل في طلب الحديث في الآفاق وتوفي ٤٥٤هـ/١٠٦١م^(١). وظهر الفقهاء في الري في تلك الفترة ومن أشهرهم، الشيخ إسماعيل بن علي بن الحسين أبو سعد الرازي المعروف بالسمان الحافظ ومن مصنفاته كتاب "الرشاد" في الفقه وكتاب المصباح وكتاب الحج وكتاب الصلاة في العبادات^(٢). ومن أشهر علماء الكلام في العصر السلجوقي الإمام فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ/١٢٠٩م) وصنف في هذا المجال كتاب "المسائل الخمسون" وكتاب "محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من الحكماء والمتكلمين"^(٣). ومن علماء اللغة والأدب والنحو والصرف والبلاغة والعروض الذين ظهوروا في العصر السلجوقي الشيخ إسماعيل بن علي بن الحسين أبو سعد الرازي المعروف بالسمان (ت ٤٤٥هـ/١٠٥٣م)^(٤).

وكانت الري قد عرفت مشاهير الشعراء الذين تعددت أغراض أشعارهم في المدح والهجاء والرتاء والغزل والفخر وكان هؤلاء الشعراء يمتدحون السلاجقة والوزراء والأمراء ويعلون من شأنهم في المناسبات، لذلك ظهر الشعر والأدب بفضل تشجيع السلاجقة والوزراء للشعراء والأدباء بأجزل العطايا ومن أشهر شعراء الري في

(١) عبدالغافر الفارسي، تاريخ نيسابور المنتخب في السياق، ص ٤٧٧.

(٢) منتخب الدين الرازي، فهرست أسماء علماء الشيعة، ص ٨.

(٣) ذبيح الله صفا، تاريخ أدبيات إيران، ج ٢، ص ٢٧١.

(٤) منتخب الدين، فهرست أسماء علماء الشيعة، ص ٨٠.

تلك الفترة: ملك الكلام بNDAR الرازي (ت ٤٤٠هـ/١٠٤٨م) وكان شاعراً في بلاط مجد الدولة الديلمي وله أشعار بالعربية والفارسية والديلمية^(١).

(١) الباخري، دمية العصر، ج ١، ص ٤١١. انظر مرتضائي، الحياة الثقافية في مدينة الري، الفصل الثالث.

الخاتمة

- بعد الانتهاء من دراسة (مدينة الري في العصر السلجوقي ٤٣٤-٥٩٠هـ/١٠٤٢-١١٩٣م)، وبعد دراسة المصادر والمراجع ذات العلاقة بهذه الحقبة وما عكسته من مظاهر النشاط الحضاري، خلصت الدراسة إلى النتائج التالية:
١. احتلت الري موقعاً جغرافياً واستراتيجياً مهماً بالنسبة للمشرق الإسلامي، مما جعلها تتبوأ مكانة متميزة بين مدن المشرق الإسلامي.
 ٢. تعاقب على حكم المدينة أدوار عدة تمثلت بالمسلمين الفاتحين والأمويين والعباسيين، ثم السامانيين والغزنويين والبويهيين وال سلجوقيين.
 ٣. شهدت المدينة نهضة كبيرة في التخطيط الحضري وفي فن العمارة والبناء، وظهر ذلك واضحاً في ضريح الأميرة خاتون.
 ٤. شهدت المدينة نهضة كبيرة في المؤسسات الإدارية وخاصة الوزارة، وظهور نظام السلطنة، وظهور دواوين جديدة.
 ٥. اختلفت فئات المجتمع من حيث الأعراق والأديان والمذاهب والمستوى المعيشي.
 ٦. ازدهر اقتصاد مدينة الري، وانتعش في ظل الاستقرار السياسي الذي نعمت به المدينة، وأمن الطرق الخارجية التي وصلتها بمدن العالم الإسلامي، كما أن التعامل المالي اليومي في المدينة شهد نمواً ملحوظاً.

الملاحق



(١)

خرائط (ملحق رقم ١)

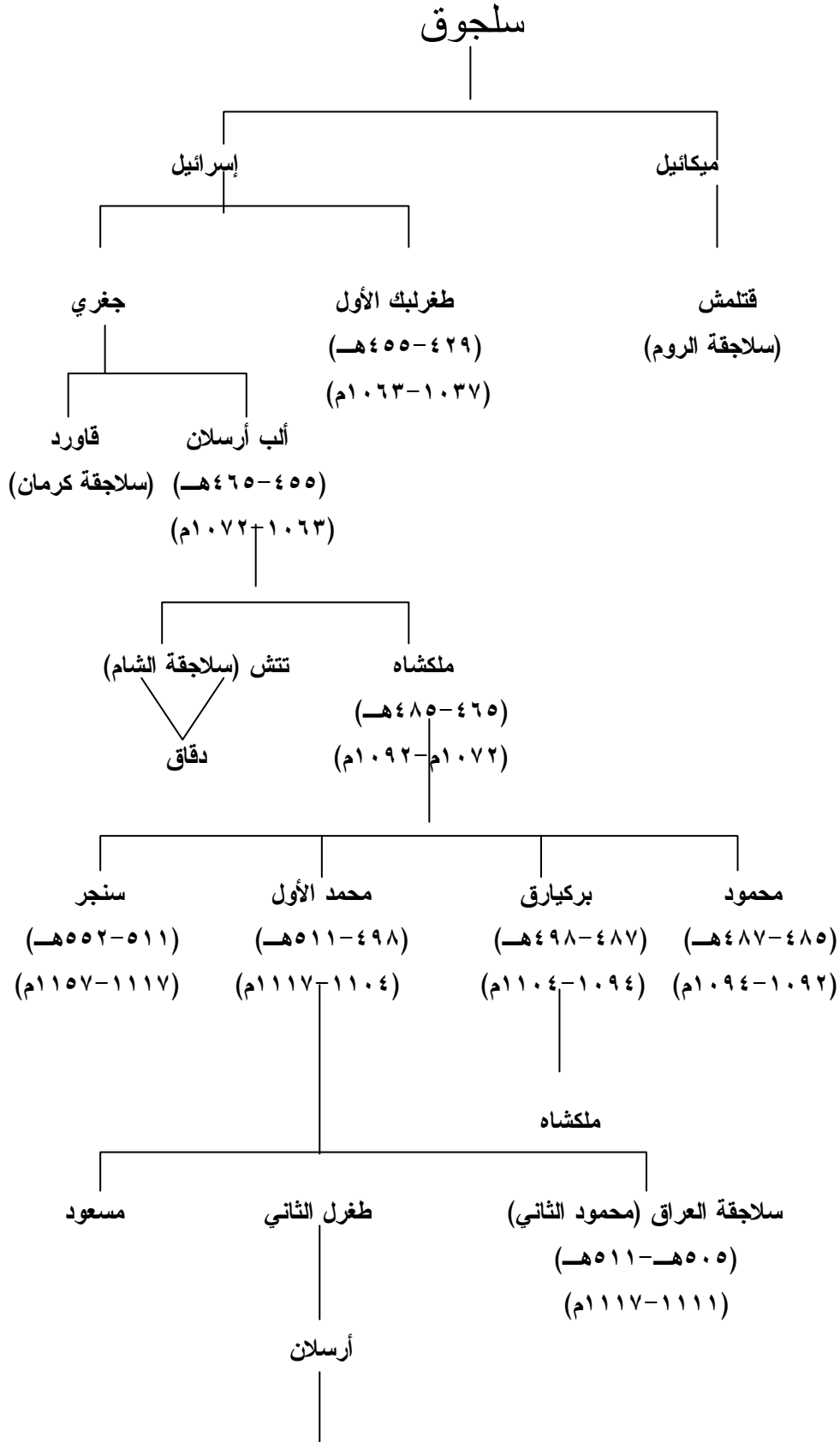
مدينة الري ورسايقها ونواحيها
حسين كرمان، ري باستان، مج ٢، ص ٤٤٧.

۳۱۱

(۲)

حسین کریمان، ری باستان، مج ۱، ص ۱۹۱

ملحق رقم (٢) السلطين السلاجقة الكبار



طغرل الثالث

(٥٧١-٥٩٠هـ)

(١١٧٥-١١٩٣م)

ملحق رقم (٣)

خلفاء حقبة السيطرة السلجوقية

القائم بأمر الله ٤٢٢هـ / ١٠٣٠م - أبو جعفر عبدالله بن القادر بالله

٤٦٧هـ / ١٠٧٤م

المقتدي ٤٦٧هـ / ١٠٧٥م

بأمر الله أبو القاسم عبدالله بن محمد بن القائم

المستظهر ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م

أبو العباس أحمد بن المقتدي

المسترشد ٥١٢هـ / ١١١٨م

أبو منصور الفضل بن المستظهر

الراشد ٥٢٩هـ / ١١٣٥م

أبو جعفر المنصور الراشد بن المسترشد

المقتفي ٥٣٠هـ / ١١٣٦م

أبو عبدالله محمد بن المستظهر عم الراشد

المستجد ٥٥٥هـ / ١١٦٠م

أبو المظفر يوسف بن المقتفي لأمر الله

المستضيء ٥٦٦هـ / ١١٧٠م

أبو محمد الحسن بن يوسف المستجد

الناصر ٥٧٥هـ / ١١٨٠م

قضى على السيطرة السلجوقية سنة ٥٩٠هـ

أبو العباس أحمد بن المستضيء بأمر الله

ملحق رقم (٤)

صحن من الخزف ذي البريق المعدني يرجع تاريخه إلى القرن الخامس الهجري (١١م) عليه رسوم آدمية في حالة رقص وطرب يظهر فيه اللباس الآتي تاج وقباء^(١).

(١) العبيدي، الملابس العربية، ص ٥٠١.

ملحق رقم (٥)

صحن من الخزف من نوع مينائي مؤرخ سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م يزينه رسم يضم
مجموعة من الأشخاص يظهر عليهم شاشية^(١)

(١) العبيدي، الملابس العربية، ص ٤٢٤.

ملحق رقم (٦)

صحن من الخزف ذي البريق المعدني - إيران (الري) مؤرخ سنة ٥٨٧هـ / ١١٩١م^(١).

(١) جواد طاهر، العمارة والآثار والفنون الإسلامية، مج ٤، ص ٥٠٩.

ملحق رقم (٧)

قدر من الخزف ذي البريق المعدني - إيران (الري) مؤرخ سنة ٥٨٥هـ / ١١٧٩م^(١)

صحن من الخزف ذي البريق المعدني من الري إيران
حوالي سنة ٥٩٠هـ / ١١٩٣^(٢)

(١) جواد طاهر، العمارة والآثار والفنون الإسلامية، مج ٤، ص ٥٠٩.

(٢) ديمانند، الفنون الإسلامية، ص ٤٠.

ملحق رقم (٨)

سلطانية بزخارف متعددة الألوان من الري^(١)

سلطانية بزخارف متعددة الألوان من الري^(٢)

(١) ديمانند، الفنون الإسلامية، ص ٤١.

(٢) ن، م، ص ٤٢.

ملحق رقم (٩)

ابريق من الخزف ذي الزخارف المتعددة الألوان من صناعة الري^(١)

بلاط خزفية - الري (العصر السلجوقي) القرن ٦هـ / ١٢م^(٢)

(١) ديمانند، الفنون الإسلامية، ص ٤١.

(٢) جواد طاهر، العمارة والآثار، مج ٤، ص ٥٠٨.

ملحق رقم (١٠)

قدر من البرونز مكفت بالذهب والفضة مؤرخة سنة ٢٢٩هـ / ١١٦٣م^(١)

مبخره من البرونز القرن ٦هـ/ ١٢م^(٢)

(١) جواد طاهر، العمارة والآثار، مج ٥، ص ٩٥.

(٢) ن،م، مج ٥، ص ١١٥.

ملحق رقم (١١)

زخارف جصية بارزة - الري القرن ٦هـ / ١٢م^(١)

حشوة من الزخارف الجصية عليها كتابة باسم طغرل بك الثاني الري ٥٩١هـ/١١٩٥ (٢)

(١) جواد طاهر، العمارة والآثار، مج ٥، ص ٢٣٧.

(٢) ن، م، مج ٥، ص ٢٤٣.

ملحق رقم (١٢)

زخارف حصية بارزة - الري - القرن ٦هـ / ١٢م^(١)

(١) جواد طاهر، العمارة والآثار، مج ٢، ص ٢٤٣.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر المخطوطة

- الأجهوري، علي بن محمد (ت ١٠٦٧هـ/١٦٥٦م)، رسالة في المغارسة، ميكروفيلم عن مخطوطة مكتبة الكونجرس، المخطوطة بمركز الوثائق بالجامعة الأردنية، تحت رقم (٤٦٤).
- العماد الأصفهاني، نصره الفترة وعصره القطرة، صورة مخطوط مكتبة د. عصام الهزايمة.

المصادر المطبوعة

- المصادر باللغة العربية

- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت ٦٣٠هـ/—
- ١٢٢٢م)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ١٥ ج، المطبعة الإسلامية، طهران، ١٩٧٣م.
- _____، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، تحقيق عبدالقادر طليمات، القاهرة، ١٩٦٣م.
- _____، الكامل في التاريخ، ١٣ ج، دار صادر، بيروت، ط ٦، ١٩٩٥م
- الإدريسي، أبو عبدالله بن محمد بن محمد بن عبدالله بن إدريس الحموي الحسني (ت ٥٦٠هـ/١١٦٤م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، جزآن، مكتبة الثقافة الدينية، (د.م)، (د.ت).

- الأرجاني، ناصح الدين أبي بكر أحمد بن محمد بن الحسين (ت ٥٤٤هـ / ١٤٩م)، ديوان الأرجاني، تحقيق محمد قاسم مصطفى (د.م)، (د.ت).
- الأزروقاني، عز الدين اسماعيل بن الحسين بن محمد بن الحسين بن أحمد المروزقي (ت ٦١٤هـ / ١٢٢٨م)، الفخري في أنساب الطالبين، تحقيق السيد مهدي الرجائي، ط ١، مطبعة سيد الشهداء، إيران، ١٩٨٨م.
- الأزدي، أبو الحسن علي بن منصور ظافر بن حسين (ت ٦١٣هـ / ١٢١٦م)، أخبار الدول المنقطعة، جزآن، تحقيق عصام هزايمة، محمد محافظة، محمد طعاني، علي عباينة، دار الكندي للنشر والتوزيع، اربد، الأردن، ١٩٩٩م.
- الإشبيلي، أبو الخير (عاش في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي)، عمدة الطبيب في معرفة النبات، تحقيق محمد العربي الخطابي، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط (د.ت).
- الاصطخري، أبو إسحق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م)، المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحسيني، دار القلم، القاهرة، ١٩٦١م.
- الأصفهاني، أبو عبدالله حمزة بن الحسن (ت ٣٦٠هـ / ٩٧٠م)، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، (د.ت)، عن طبعة المستشرق جوتوالد في ليبسك، ١٨٤٤م.
- الباخريزي، علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب (ت ٤٦٧هـ / ١٠٨٣م)، دمية القصر وعصرة أهل العصر، ج ٣، تحقيق ودراسة محمد التونجي.

- البدر، العيني، بدر الدين أبو محمد بن موسى (ت ٨٨٥هـ/١٤٥١م)، **السيف المهند في سيرة المؤيد (شيخ المحمودي)**، حققه وقدم له فيهم شلتوت، راجعه زيادة، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م.
- البغدادي، عبدالقاهر بن طاهر بن محمد (ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م)، **الفرق بين الفرق**، مكتبة دار التراث، القاهرة، د.ت.
- البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م)، **أنساب الأشراف**، ١٠ ج، القسم الثالث، تحقيق عبدالعزيز الدوري، دار النشر فرانكس شتاير، فيسبادن، بيروت، ١٩٧٨م.
- البنداري، محمد بن محمد بن حامد (ت ٦٤٣هـ/١٠٤٨م)، **تاريخ دولة آل سلجوق**، اختصار الفتح بن علي بن محمد البنداري الأصفهاني، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٨م.
- ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي (ت ٨٧٤هـ/١٤٥٠م)، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، ١٦ ج، قدم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٢م.
- التتوخي، أبو علي المحسن بن علي (ت ٣٨٤هـ/٩٩٤م)، **الفرج بعد الشدة**، تحقيق عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، ١٩٧٨م.
- الثعالبي النيسابوري، منصور عبدالملك (ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م)، **تتمة يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، شرح وتحقيق مفيد محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م.

- _____ ، **يتيمة الدهر**، مصر، ١٣٥٣هـ.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ/٨٦٧م)، **التاج في أخلاق الملوك**، تحقيق أحمد زكي، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩١٤م.
- ابن جماعة، بدر الدين (ت٧٣٣هـ/١٣٣٢م)، **تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام**، تحقيق ودراسة فؤاد عبدالمنعم أحمد، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، قطر، ط٢، ١٩٨٧م.
- ابن الجوزي، أبي الفرج عبدالرحمن البغدادي (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، ١٨ ج، تحقيق عبدالقادر عطا، مصطفى عبدالقادر عطا، راجعه وصححه، نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٢م/١٤١٢هـ.
- _____ ، **تلبيس إبليس**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ت).
- _____ ، **صفة الصفوة**، ضبطها وكتبها هوامشها إبراهيم رمضان وسعيد اللحام، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٧٩.
- الجهشيارى، أبو عبدالله محمد بن عبدوس (ت٣٣١هـ/٩٤٣م)، **الوزراء والكتاب**، تحقيق الأساتذة مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبدالحفيظ شلبي، ط١، القاهرة، ١٩٣٨م.
- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت٥٨٢هـ/١١٨٦م)، **الإصابة في تمييز الصحابة**، ٨ ج، بيروت، دار الكتب العلمية، (د.ت).

- الحسيني، صدر الدين بن علي الحسيني (ت ٥٧٥هـ/ ١١٨٠م)، أخبار الدولة السلجوقية، عني بتصحيحه محمد إقبال، ط ١، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٤م.
- الحسيني، صدر الدين أبو الحسن علي بن ناصر (ت بعد ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م)، زبدة التواريخ، تحقيق محمد نور الدين، دار اقرأ للنشر، بيروت، ١٩٨٦م.
- الحميري، أبو عبد محمد بن عبد المنعم (عاش في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط ٢، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤م.
- ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي النصيبي (ت ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م)، صورة الأرض، قسمان في مجلد واحد، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.
- ابن خردادبه، أبو القاسم عبيد الله بن عبدالله (ت ٣٠٠هـ/ ٩١٢م)، المسالك والممالك، مطبعة برسل، مدينة ليدن، ١٨٨٩م.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن جابر (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)، المقدمة، ط ١، بيروت، ١٩٨٦م.
- _____، تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ١٤ ج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٩٢م.
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٩٨١هـ/ ١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ٨ ج، تحقيق إحسان عباس، دار حياة، بيروت، ١٩٧٧م.

- الخوانساري، محمد الباقر الموسوي الأصهبهاني (ت ١٣١٣هـ/ ١٨٩٥م)،
روضات الجنات في أحوال العلماء والساحات، تحقيق أسد الله اسماعيليان،
منشورات مكتبة اسماعيليان، طهران، (د.ت).
- الخطيب، البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م)، تاريخ بغداد
أو مدينة السلام، ٢٤ ج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٢م.
- الداوودي، أحمد بن علي الحسيني (ت ٨٢٨هـ/ ١٤٢٥م)، عمدة الطالب في
أنساب آل أبي طالب، ط ١، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ١٩٩٥م.
- الداوودي، محمد بن علي بن أحمد (ت ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م)، طبقات المفسرين،
راجع النسخة وضبط أعلامها لجنة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب
العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م.
- الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م)، الأخبار الطوال، تحقيق
عبد المنعم عامر، مكتبة المثنى، بغداد، (د.ت).
- الذهبي محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، العبر في خبر من
غير، ٣ ج، تحقيق فؤاد سيد، الكويت، ١٩٦١م.
- _____، تذكرة الحفاظ، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن،
الهند، ج ٢، ١٩٥٦، ج ٣، ١٩٥٧م.
- _____، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر
عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت.

- الرازي، محمد بن زكريا (ت٣٠٣هـ/٩١٥م)، المنصوري في الطب، تحقيق حازم البكر الصديقي، معهد المخطوطات العربية، ط١، الكويت، ١٩٨٧م.
- الرازي، أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسين فخر الدين (ت٦٠٦هـ/١٢٠٩م)، الشجرة المباركة في أنساب الطالبية، تحقيق السيد مهدي الرجائي، ط١، مطبعة سيد الشهداء، قم إيران، ١٩٨٨م.
- ابن رسته، أبي علي أحمد بن عمر (ت٢٩٠هـ/٩٠٢م)، الأعلام النفسية، مطبعة بريل، مدينة ليدن، ١٨٩١م.
- الروذاروري، أبو شجاع محمد بن الحسين ظهير الدين (ت٤٨٨هـ/١٠٩٥م)، ذيل تجارب الأمم، نشر أمدوز، مطبعة التمدن، القاهرة، ١٣٣٤هـ/١٩١٦م.
- أبو الزبير، القاضي الرشيد (عاش في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي)، الذخائر والتحف، تحقيق محمد حميد الله، دائرة المطبوعات والنشر، الكويت، ١٩٥٩م.
- سبط بن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزاوغلي بن عبدالله (ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م)، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان (٤٤٠هـ-٤٩٠هـ/١٠٤٨م-١٠٩٦م)، ٨ج، تحقيق وتحليل قاسم حسن يزبك، بيروت، ١٩٨٤م.
- السبكي، تقي الدين علي بن عبدالكافي (ت٧٥٦هـ/١٣٥٥م)، التمهيد فيما يجب فيه التجديد، تحقيق صلاح الدين المنجد، دمشق، ١٩٥١م.

- السبكي، أبو نصر عبد الوهاب بن تقي (ت ٧٧١هـ/١٣٦٩م)، **طبقات الشافعية الكبرى**، ١٥ ج، المطبعة الحسينية، القاهرة، ١٣٢٤هـ.
- ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري (ت ٢٣٠هـ/٨٥٢م)، **الطبقات الكبرى**، ٨ ج، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ت).
- السمعاني، أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور (ت ٥٦٢هـ/١١٦٦م)، **الأنساب**، اعتنى بتصحيحه والتعليق عليه عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٩٦٦م.
- _____، **التحبير في المعجم الكبير**، تحقيق منيرة ناجي سالم، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧٥م.
- ابن سيده، أبو الحسن علي بن اسماعيل النحوي (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٥م)، **المخصص**، ٧ ج، دار الفكر، (د.م)، (د.ت).
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م)، **تاريخ الخلفاء**، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).
- الشهرستاني، أبي الفتح محمد بن عبد الكريم (ت ٥٤٨هـ/١١٥٣م)، **الملل والنحل**، وصححه وعلق عليه الأستاذ الشيخ أحمد فهمي محمد، دار السرور، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٤٩م.
- شيخ الربوة، أبو عبد الله محمد أبي طالب الأنصاري (ت ٧٢٧هـ/١٣٢٦م)، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**، ليزج، ١٩٢٣م.

- الشيرزي، عبدالرحمن بن نصر بن عبدالله بن محمد (ت ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م)،
نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق الدكتور السيد الباز العريني، دار الباز
العريني، دار الثقافة، بيروت، لبنان، (د.ت).
- الصابي، إبراهيم بن هلال (ت ٣٨٤هـ/ ٩٩٤)، رسوم دار الخلافة، ط ١، تحقيق
ميخائيل عواد، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٤م.
- الصابي، أبو الحسن هلال بن محسن (ت ٤٤٨هـ/ ١٠٥٦م)، تحفة الأمراء في
تاريخ الوزراء، بيروت، ١٩٠٤م.
- ابن الصيرفي، أمين الدين أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان الكاتب
(ت ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م)، القانون في ديوان الرسائل، تحقيق أيمن فؤاد سيد، ط ١،
الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٠م.
- ابن طباطبا، فخر الدين محمد بن علي المعروف بابن الطقطقي
(ت ٧٠٩هـ/ ١٢٤٧م)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار
صادر، بيروت، ١٩٧٥م.
- الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن (ت ٦١٣هـ/ ١٢١٦م)، مجمع البيان في
تفسير القرآن، صيد ١، ١٣٣٣-١٣٥٦هـ.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن القاسم بن علي (ت نحو ٥٣٠هـ/ ١١٣٦م)، بشارة
المصطفى، ط ٢، المطبعة الحيدرية، نجف الأشرف، العراق، ١٩٦٣م.
- الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، تاريخ الرسل
والملوك، ١٠ ج، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر.

- ابن طيفور، أبو الفضل أحمد بن أبي ظاهر (ت ٢٨٠هـ/٨٩٣م)، تاريخ بغداد، تحقيق عزت العطار، بغداد، ١٩٤٩م.
- ابن العبري أبو الفرج، غريغوريوس بن أهارون الملطي (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م)، تاريخ مختصر الدول، دار المسيرة، بيروت، (د.ت).
- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١هـ/١١٧٥م)، تبين كذب المفترى فيما نسب للإمام الأشعري، مصر، ١٣٥٣هـ.
- ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد (ت ٥٨٠هـ/١١٨٤م). الأنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق وتقديم قاسم السامرائي، لندن، ١٩٧٣م.
- _____، الأنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق قاسم السامرائي، المعهد الهولندي، للآثار المصرية والبحوث العربية، لايدن، ١٩٧٣م.
- الغزالي أبو حامد، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد (ت ٥٠٥هـ/١١١١م)، فضائح الباطنية، قدم له وضبطه وصححه عبدالكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.
- أبو الفداء، عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م)، المختصر في أخبار البشر المعروف بتاريخ أبي الفداء، ٧ ج في مجلدين، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، (د.ت).
- ابن فضال، أحمد بن فضال بن العباس بن راشد بن حماد (تمت الرحلة ٣٠٩هـ/٩٢١م)، رحلة بن فضال، تحقيق سامي الدهان، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٦٠م.

- ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني (ت أواخر القرن الثالث الهجري)،
البلدان، مطبعة بريل، ليدن، ١٣٠٢هـ.
- _____، مختصر تاريخ البلدان، ط ليدن، ١٩٦٧م.
- الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ/—/١٣١٨م)، القاموس المحيط،
المطبعة الأميرية، (د.م)، ط ٣، ١٣٠٠م.
- قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ/—/٩٤٨م)، الخراج وصناعة الكتابة، شرح وتعليق
محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد للنشر، العراق، ١٩٨١م.
- القرشي الحنفي، محمد عبد القادر بن محمد بن محمد بن نصر الله بن سالم
(ت ٥٧٥هـ/—/١٣٧٣م)، الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، تحقيق عبدالفتاح
محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٩٩٣م.
- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٢٢هـ/—/١٢٨٣م)، آثار البلاد وأخبار
العباد، دار صادر، بيروت، ١٩٦٩م.
- ابن القلانسي، حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي (ت ٥٥٥هـ/—/١١٦٠م)،
تاريخ دمشق، تحقيق د. زهير زكار، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق،
١٩٨٣م.
- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/—/١٤١٨م)، صبح الأعشى في
صناعة الإنشاء، ١٤ ج، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٦٣م.
- _____، مآثر الأنافة في معالم الخلافة، ٣ ج، تحقيق عبدالستار أحمد
فرج، الكويت، ١٩٦٤م.

- ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين اسماعيل بن عمر القرشي (٧٧٤هـ/١٣٧٢م)،
البداية والنهاية، ١٣ ج، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨م.
- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م)، الأحكام
السلطانية والولايات الدينية، خرج أحاديثه وعلق عليه خالد عبداللطيف العلمي،
دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٩٩٤م.
- _____، تسهيل النظر وتعجيل الظفر، تحقيق محي هلال السرطان،
دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م.
- المسعودي، أبي الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م)، مروج
الذهب ومعادن الجواهر، ٤ ج، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، المكتبة
العصرية، صيدا، بيروت، ١٩٨٨م.
- مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد (ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م)، كتاب تجارب الأمم،
٧ ج، حققه أبو القاسم المامي، دار سروش للطباعة والنشر، طهران، ٢٠٠٠م.
- المقدسي، محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء البشاري (ت ٣٨١هـ/٩٩١م) أحسن
التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مديولي، ط ٣، القاهرة، ١٩٩١م.
- المقدسي، المطهر بن طاهر (ت بعد ٣٥٥هـ/٩٦٦م)، البدء والتاريخ، تحقيق
كلمان هوار، مطبعة برطرند، شالون، باريس، ١٩٠٣م.
- المقرئ، تقي الدين أحمد (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م)، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة
الفاطميين الخلفاء، تحقيق د. الشيال د. محمد حلمي أحمد، القاهرة، ١٩٧١م.

- _____، السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣ج، تحقيق محمد مصطفى زيادة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، ١٩٥٦م.
- _____، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ٢ج، ط بولاق، ١٢٧٠هـ.
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الإفريقي المصري (ت ٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب، ١٨ج، دار صادر، بيروت، (د.ت).
- ابن مماتي، شرف الدين أسعد بن مهذب بن الملح ت (٦٠٦هـ/١٢٠٤م)، قوانين الدواوين، تحقيق عزيز سوريال عطية، ط القاهرة، ١٩٤٣م.
- المنيني، أحمد بن علي بن عمر بن صالح (ت ١١٧٢هـ/١٧٥٨م)، شرح اليميني، المسمى الفتح الوهبي على تاريخ أبي نصر العتبي، تحقيق الوهبي مصطفى، المطبعة الوهبية، (د.م)، ١٢٨٦هـ.
- مؤلف مجهول، أخبار العباس وولده، تحقيق الدكتور عبدالعزيز الدوري، الدكتور عبد الجبار المطلبي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٧١م.
- النسفي، نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد (ت ٥٣٧هـ/١١٤٢م)، القند في ذكر علماء سمرقند، تحقيق محمد الفرابي، مكتبة الكوثر، السعودية، ١٩٩١م.
- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، ٢٧ج، تحقيق سعيد عاشور، مراجعة دكتور محمد مصطفى زيادة، دكتور فؤاد عبد المعطي الصياد، الهيئة المصرية، ١٩٨٥م.

- النيسابوري، أحمد بن محمد بن أبي الفضل (ت ٥٣١هـ/١١٣٥م)، السامي في الأسامي نشرة محمد هنداوي، (د.م)، ١٩٦٧م.
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله البغدادي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم البلدان، ٥ ج، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.
- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب (ت ٢٨٤هـ/٨٩٧م)، تاريخ اليعقوبي، جزآن، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٠م.
- أبي يعلى الحنبلي، الإمام القاضي أبي الحسين محمد بن محمد بن الحسين (ت ٥٢٦هـ/١١٣١م)، طبقات الحنابلة، خرج أحاديثه وضع حواشيه أبو حازم أسامة بن حسن، أبو الزهراء علي بهجت، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨١م.

- المصادر الفارسية:

- أبو دلف مسعد بن مهلهل الينبوعي (الخرجي) (القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي)، سفرنامه در ايران، ترجمة فارسي با تعليقات ولاديمير مينورسكي، (مترجم) أبو الفضل طباطبائي، ١٣٤٢هـ.
- ابن اسفنديار، بهاء الدين محمد بن حسن (٦١٣هـ/١٢١٦م)، تاريخ طبرستان، تصحيح عباس إقبال، اهتمام محمد رمضان، طهران، ١٣٢٠هـ.

- البيهقي، أبو الفضل محمد بن حسين (ت ٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م)، تاريخ البيهقي، ترجمه إلى العربية يحيى الخشاب، صادق نشأت، دار النهضة العربية، بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٢م.
- الجويني، علاء الدين عطا ملك بن بهاء الدين محمد (ت ٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م)، تاريخ جهاتكشاه، ٣ ج، باهتمام محمد بن عبدالوهاب قزويني، ليدن، ١٩١١-١٩٣٧م.
- خواندامير، غياث الدين بن همام الدين الحسيني (ت ٩٠٣هـ/ ١٤٩٧م)، حبيب السير في أخبار أفراد بشر، ٤ ج، تصحيح متن دكتور محمد دبیر سياقي، انتشارات خيام تهران، خیابات شاه اباد، ١٣٥٣هـ.
- _____، دستور الوزراء، ترجمة وتعليق حري أمين سليمان، تقديم فؤاد عبدالمعطي الصياد، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٠م.
- الراوندي، محمد بن علي بن سليمان (ت بعد ٦٠٣هـ/ ١٢٠٦م)، راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، نقله إلى العربية إبراهيم أمين الشواربي، عبدالنعم محمد حسنين فؤاد عبدالمعطي الصياد، وراجعته ونشر مقدمات إبراهيم أمين الشواربي، دار المقام، القاهرة، ١٩٦٠م.
- السمرقندي، النظامي العروضي (ت ٥٥٢هـ/ ١٥٣٥م)، جهار مقالة (المقالات الأربع في الكتابة والشعر والنجوم والطب) وعليه خلاصة حواشي العلامة محمد بن عبدالوهاب القزويني، نقله إلى العربية عبدالوهاب، عزام ويحيى الخشاب، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٩م.

- الشيرازي، معين الدين أبو القاسم (ت ٧٩٢هـ/ ١٣٩٠م)، شد الإزار في حط الأوزار عن زوار المزار، تصحيح محمد قزويني، عباس إقبال، انتشارات مجلس، تهران، ١٣٢٨هـ/ ١٩٥٨م.
- طوسي، محمد بن محمود بن أحمد (ألفه في سنة ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م)، عجائب نامه، لطغرل بن أرسلان بن طغرل، نسخة عكس درو، مجلد متعلق بكتانجانه مركزي دانكشاه طهران.
- ظهير الدين نيشابوري (ت ٥٨٢هـ/ ١١٨٦م)، سلجوق نامه، تصحيح حسين كريماني، تهران، ١٩٦٥.
- عبدالجليل الرازي، نصر الدين القزويني (ت ٥٦٥هـ/ ١١٧٠م)، النقض، تصحيح مير جلال الدين حسيني أرموي، انجمن آثار ملي، تهران، ١٥٨هـ/ ١٩٧٩م.
- عوفي، سديد الدين محمد بن محمد عوفي البخاري (ت ٦٣٥هـ/ ١٢٦٠م)، لباب الألباب، نشر بروان، ط ليدن، ١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م.
- قزويني، احمد بن محمد غفاري (ت ٩٧١هـ/ ١٥٦٣م)، تاريخ جهان اراراز نشریات کتا بقروشي، حافظ، ١٣٠٣هـ.
- الكرديزي، أبو سعيد عبدالحی بن الضحاک بن محمود (ت ٤٤٣هـ/ ١٠٥١م)، زين الأخبار، ترجمه عن الفارسية عفاف السيد زيدان، ط ١، ١٩٨٢م.
- کرمانی، ناصر الدين منشي (ت ٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م)، نسائم الأسحار من لطائم الأخبار، بتصحيح دكتور محدث أرموي، انتشارات دانكشاه، طهران، ١٣٣٨هـ.

- مؤلف مجهول (ت ۵هـ/ ۱۱م)، تاریخ سیستان، تصحیح، ملک الشعراء بهار
إقبال، تهران، ۱۳۱۹، ۱۹۴۰م.
- مؤلف مجهول، (ت نحو ۳۸۰هـ/ ۹۹۰م)، حدود العالم، به کوشش منوچهر
ستوده، تهران، طهوري، ۱۳۴۲هـ.
- مرتضی بن داعي الحسني الرازي (ت ۶۰۰هـ/ ۱۲۰۳م)، تبصرة العوام في
معرفة مقالات الأنام، تصحیح عباس إقبال، انتشارات أساطير، ۱۳۴۸هـ.
- مرعشي، ظهير الدين (ت ۸۳۴هـ/ ۱۴۳۱م)، تاريخ طبرستان ورويان
ومارندران، باهتمام برنهارد وارن، بطروبورغ، ۱۴۴۴هـ.
- المستوفي، أحمد بن أبي بكر حمد الله القزويني (ت ۷۵۰هـ/ ۱۳۵۰م)، تاريخ
كزیده، باهتمام إدوارد بدون انكيس، طبع ۱۳۲۸هـ.
- _____، نزهة القلوب، ۳ج، به کوشش محمود بير سياقي، انتشارات
کتابخانه طهوري، تهران، ۱۳۳۶هـ.
- نظام الملك الطوسي (ت ۴۸۵هـ/ ۱۰۹۲م)، سياست نامه (وسير الملوك)،
ترجمة الدكتور يوسف حسين بكار، نشر وتوزيع دار الثقافة، الدوحة، قطر،
۱۹۸۷م.
- ميرخوند، محمد بن خاوندشاه (ت ۹۰۳هـ/ ۱۴۹۷م)، روضة الصفا، از
انتشارات كتا بفروشيهاك، خيام طهران، ۱۳۳۹هـ.
- نور الله شوشتری (ت ۱۰۱۹هـ/ ۱۶۱۱م)، مجالس المؤمنين، ۲ج، كتا بمروش
اسلامية، تهران، ۱۳۶۴هـ/ ۱۹۸۶م.

- الهمداني، رشيد الدين فضل (ت ٧١٨هـ/—١٣١٨م)، جامع التواريخ، ٢ ج،
تصحيح محمد دبیر سیاقی البرز، تهران، ١٣٣٦هـ/—١٩٨٧م).
- هندوشاه بن سنجر نخجواني (ت بعد ٧٢٤هـ/—١٣٢٤م)، تجارب السلف،
تصحيح عباس إقبال، ط ٢، كتابخانه طهوري، تهران، ١٣٤٤هـ/—١٩٦٥م.
- يحيى بن عبداللطيف (ت ١١هـ/—١٧م)، لب التواريخ، انتشارات بنيادوكويا،
تهران، ١٣٦٣هـ/—١٩٨٤م.
- اليزدي، الوزير العالم محمد بن محمد بن عبدالله بن النظام الحسيني
(ت ٧٤٣هـ/—١٣٤٢م)، العراضة في الحكاية السلجوقية، ترجمة وتحقيق
عبدالنعيم محمد حسنين، حسين أمين، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٧٩م.

المراجع الحديثة

- المراجع العربية

- إبراهيم مصطفى (١٩٨٣)، المعجم الوسيط، المكتبة العلمية، طهران.
- أحمد كمال الدين حلمي (١٩٨٥)، السلاجقة في التاريخ والحضارة، دار
البحوث العلمية، الكويت.
- الألفي، أبو صالح (١٩٨٠)، الفن الإسلامي أصوله فلسفته مدارس، دار
المعارف، ط ٢، لبنان.
- الباشا، حسن (١٩٧٨)، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، دار
النهضة العربية، القاهرة.

- _____ ، (١٩٦٦)، **الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية**،
دار النهضة العربية.
- التونجي، محمد (١٩٧٤)، **حول الأدب في العصر السلجوقي**، منشورات مكتبة
قورينا، بنغازي.
- جرجي زيدان، **تاريخ التمدن الإسلامي**، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت).
- حسن إبراهيم حسن، **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**،
العصر العباسي الثاني في الشرق ومصر والمغرب والأندلس (٤٤٧هـ -
٦٥٦هـ - ١٠٥٥م/١٢٥٨م)، دار الجيل، بيروت، مكتبة النهضة المصرية،
القاهرة.
- _____ ، (١٩٨٠)، **النظم الإسلامية**، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية.
- حسنين، عبدالمنعم، (١٩٨٢)، **إيران والعراق في العصر السلجوقي**، دار الكتاب
المصري واللبناني، بيروت.
- _____ ، (١٩٨٢)، **قاموس الفارسية**، دار الكتاب المصري واللبناني،
القاهرة، بيروت.
- حسين أمين (١٩٦٥)، **تاريخ العراق في العصر السلجوقي**، ط المكتبة الأهلية،
بغداد.
- الحيارى، مصطفى (١٩٨٦)، **الدواوين من كتاب الخراج وصناعة الكتابة**
لقدامة بن جعفر الكاتب، نشر وبدعم من الجامعة الأردنية، عمان.

- الخربوطلي، علي حسني (١٩٨٢)، الحياة الاجتماعية في مدينة بغداد منذ نشأتها حتى نهاية العصر العباسي الأول، ط١، مطبعة الجامعة، بغداد.
- الدوري، عبدالعزيز (١٩٤٥)، دراسات في العصور العباسية المتأخرة، شركة الرابطة للطبع والنشر المحددة، مطبعة السريان، بغداد.
- _____، (١٩٥٠)، النظم الإسلامية، ط١، بغداد.
- _____، (١٩٧٤)، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، ط١، دار المشرق، بيروت.
- زامباور (١٩٥١)، الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، أخرجه الدكتور زكي محمد حسن بك، حسن أحمد محمود، مطبعة جامعة الفؤاد الأول.
- زكي محمد حسن (١٩٨٠)، فنون الإسلام، دار الفكر العربي.
- _____، (١٩٨١)، الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي، دار الرائد العربي، بيروت.
- الزهراني، محمد بن مسفر (١٩٨٢)، نفوذ السلاجقة السياسي في الدولة العباسية (٤٤٧هـ-٥٩٠هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الزعبي، محمد السعود (١٩٩٢)، القضاء والقضاة في الدولة العربية الإسلامية منذ قيامها حتى نهاية العصر الأموي، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق.
- الساداتي، أحمد محمود، (١٩٧٠)، إيران بلاد فارس تاريخها وحضارتها من أقدم العصور حتى العصر الحديث، معهد الدراسات الإسلامية، القاهرة.

- السامرائي، خليل إبراهيم، طارق فتحي سلطان، جزيل عبدالجبار الجومرد (١٩٨٨)، تاريخ الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي (١٣٢هـ—٦٥٦هـ/٧٤٩-١٢٥٨م)، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل.
- السبع، محمد (١٩٨٣)، أسس الزراعة ونظمها عند العرب، الندوة العالمية الثالثة لتاريخ العلوم عند العرب بعنوان اسهامات في علم الملاحة، مؤسسة الكويت، الكويت.
- سرور، محمد جمال الدين، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية في الشرق من عهد نفوذ الأتراك حتى منتصف القرن الخامس الهجري، دار الفكر العربي، (د.ت).
- سعادة، صفية (١٩٨٨)، تطور منصب قاضي القضاة في الفترتين البويهية والسلجوقية، ط ١، دار أمواج، بيروت.
- الشامي، أحمد عبد الحميد، الحضارة الإسلامية، دار النهضة المصرية، (د.ت).
- شبارو، عصام محمد، السلاطين في المشرق العربي معالم دورهم السياسي والحضاري، السلاجقة الأيوبيين (٤٤٧هـ—٦٤٨هـ/١٠٥٥-١٢٥٠م)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، (د.ت).
- _____، (١٩٨٢)، القضاء والقضاة في الإسلام "العصر العباسي"، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.
- شريف بكر عبد الخالق، دراسة الأوضاع العلمية والتعليمية في عهد بني بويه والسلاجقة (٣٣٤هـ-٦٥٦هـ)، جامعة عين شمس، كلية البنات.

- شريف يحيى الأمين (١٩٨٦)، معجم الفرق الإسلامية، بحث موسوعي، دار
الأضواء، بيروت.
- الشكعة، مصطفى (١٩٧٥)، معالم الحضارة الإسلامية، دار العلم للملايين،
بيروت، ط ٢.
- الشنتاوي، أحمد، إبراهيم زكي خورشيد، عبد الحميد يونس، دائرة المعارف
الإسلامية، يراجعها من قبل دائرة المعارف محمد مهدي علام، م ١٠.
- شندب، محمد حسين (١٩٨٤)، الحضارة الإسلامية في بغداد في النصف الثاني
من القرن الخامس الهجري، دار النفائس، بيروت.
- الطاهر، علي جواد، الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر
السلجوقي وأواسط القرن الخامس - أواسط القرن السادس، دار الرائد العربي،
بيروت، لبنان.
- _____، (١٩٩٩)، العمارة والآثار والفنون الإسلامية، أوراق شرقية
للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
- عاشور، سعيد عبدالفتاح، سعد زغلول عبد الحميد أحمد مختار العبادي (١٩٩٦)،
دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، دار المعرفة الجامعية.
- العبادي، أحمد مختار (١٩٧١)، في التاريخ العباسي والأندلسي، دار النهضة
العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
- العبيدي، صلاح حسين (١٩٨٠)، الملابس العربية الإسلامية في العصر
العباسي الثاني من المصادر التاريخية والأثرية، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد.

- العش، يوسف (١٩٨٢)، تاريخ عصر الخلافة العباسية، راجعه ونقحه الدكتور محمد أبو الفرج العش، دار الفكر، دمشق.
- علام، نعمت إسماعيل (١٩٩٢)، فنون الشرق الأوسط في العصور الإسلامية، دار المعارف، ط٥، مصر.
- العلي، زكية عمر (١٩٧٦)، التزين والحلى عند المرأة في العصر العباسي، وزارة الإعلام، بغداد.
- العمري، عبدالله (١٩٩٠)، تاريخ العلم عند العرب، دار المجدلاوي، ط١، عمان.
- فالح حسين (١٩٧٨)، الحياة الزراعية في بلاد الشام في العصر الأموي، الجامعة الأردنية، عمان.
- الفقي، عصام عبدالرؤوف (١٩٨٧)، الدول الإسلامية المستقلة في الشرق، دار الفكر العربي.
- كحالة، عمر رضا (١٩٧٢)، الفنون الجميلة في العصور الإسلامية، المكتبة العربية، دمشق.
- الكروي، إبراهيم سليمان (١٩٨٢)، البويهيون والخلافة العباسية، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت.
- الكساسبة، حسين فلاح (١٩٩٢)، المؤسسات الإدارية في مركز الخلافة العباسية، منشورات جامعة مؤتة.

- محبوبه، عبدالهادي محمد رضا (١٩٨٨)، نظام الملك، الحسن بن علي بن اسحاق الطوسي (٤٠٨-٤٨٥هـ)، كبير الوزراء في الأمة الإسلامية، دراسة تاريخية في سيرته وأعماله خلال استيزاره، دار المصرية اللبنانية، القاهرة.
- محمد أحمد دمج، مرايا الأمراء أو الحكمة السياسية والأخلاق والتعاملية في الفكر الإسلامي الوسيط، مع تحقيق كتاب قابوس نامة، مؤسسة بحسون للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دار المنال، بيروت، لبنان.
- محمد محمود إدريس (١٩٨٥)، تاريخ العراق والمشرق الإسلامي خلال العصر السلجوقي الأول، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة.
- _____، (١٩٨٣)، رسوم السلاجقة ونظمهم الاجتماعية، دار الثقافة، القاهرة.
- محمد، سعاد ماهر (١٩٨٦)، الفنون الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- محمود شاکر (١٩٨٧)، التاريخ الإسلامي الدولة العباسية، المكتب الإسلامي، بيروت.
- ميخائيل عواد (١٩٨١)، صور مشرقة من حضارة بغداد في العصر العباسي، بغداد، دن.
- اليوزبكي، توفيق سلطان (١٩٧٦)، الوزارة نشأتها وتطورها في الدولة العباسية، ط٢، مؤسسة دار الكتب، الموصل.
- _____، (١٩٧٩)، دراسات في النظم العربية الإسلامية، ط٢، قطر.

المراجع الفارسية

- أرموي، جلال الدين حسني (١٩٧٩)، تعليقات النقض أنجمن آثار ملي، تهران.
- أنوري، حسن، اصطلاحات ديواني دوره غزنوي وسلجوقي، ناشر كتابخانه طهرزي، تهران به، جاب رسيد، ديم ٢٥٢٥٥ شاهنشاهي.
- التونجي، محمد (١٩٨٠)، المعجم الذهبي (فارسي - عربي)، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين، بيروت.
- الثابتي، سيد علي مؤيد، تاريخ نيشابور، سلسلة انتشارات انجمن آثار، إيران.
- جاكسن، ويليامز، سفرنامه، ترجمة منوچهر أميري فريدون بدره أي، تهران، خوارزمي.
- جرفاذقاني (١٩٨٥)، أعيان بزرك ري، انتشارات معارف إسلامي، قم إيران.
- ذبيح الله صفا (١٩٨١)، تاريخ أدبيات در ایران، جلد دوم، طهران.
- رازي، عبدالله (١٩٨٤)، تاريخ كامل إيران، آباء ماه.
- رسول جعفريان (١٩٩٣)، تاريخ تشيع در ایران از اغاز تا قرن دهم هري، قم، أنصاران .
- عباس إقبال (١٩٨٨)، تاريخ إيران، نشر بوياء، تهران.
- عباس برويز (١٩٣٧)، تاريخ اجتماعي إيران، شركت مطبوعات، تهران.
- عباس قدياني (١٩٩٧)، جغرافياي تاريخي ري-ركا، انتشارات آرون، طهران.

- عباس القمي (۱۹۸۶)، مفاتيح الجنان، ط ۴، دفتر نشر فرهنگ إسلامي، تهران.
- عبدالحسين زرین کوب (۱۹۸۴)، تاريخ إيران بعد از اسلام، انتشارات أمير کبیر، تهران.
- عیسی صدیق (۱۹۵۷)، تاريخ اجتماعي ایران، دانشگاه، تهران.
- کریمان، حسین (۱۹۶۷)، ري باستان، انتشارات دانشگاه شهريهشتي، طهران.
- _____، (۱۹۶۱)، طبرسي ومجمع البيان، ط ۱، دانشگاه تهران.
- محمد جواد مشکور (۱۹۸۸)، تاريخ اقتصادي ایران، انتشارات اشرفي، تهران.
- ميرزان محمد علي (۱۹۹۱)، تاريخي زراعة ایران، خيام، تهران.
- ویلس، کریستی (۱۹۳۸)، تاريخ صنايع ایران، ترجمه عبدالله فريار، ط طهران.

- المراجع العربية

- آبا، أوقطاي آصلان (١٩٨٧)، فنون الترك وعمائرهم، تعريب أحمد محمد عيسى، الطبعة العربية الأولى، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة، استانبول.
- آدم، متز (١٩٦٧)، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، جزآن، توصية عبدالهادي أبو ريده ١٩٤٠-١٩٤١م، ط دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤، ط الخانجي.
- باروتولد، فاسيلي فلاديمرويج (١٩٥٨)، تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة أحمد السعيد سليمان، الأنجلو المصرية، القاهرة.
- _____، (١٩٨١)، تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم، أشرف على طبعه قسم التراث العربي بالمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.
- براون، أدوارد (١٩٥٤)، تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي، ترجمة إبراهيم الشواربي، مطبعة السعادة، القاهرة.
- رايس، تمارا تالبوت (١٩٦٨)، السلاجقة تاريخهم وحضارتهم، ترجمة لطفي الخوري وآخرون، مطبعة الإرشاد، بغداد.
- _____، (١٩٧٧)، الفن الإسلامي، ترجمة منير صلاحي الأصبحي، مطبعة جامعة دمشق.

- دونالدولبر (١٩٨٥)، إيران ماضيها وحاضرها، ترجمة عن الإنجليزية
عبدالمعمر حسنين، ط٢، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني،
بيروت.
- ديماندا (١٩٥٨)، الفنون الإسلامية، ترجمة أحمد محمد عيسى، مراجعة
وتصدير أحمد فكري، دار المعارف، مصر.
- عباس إقبال (١٩٨٤)، الوزارة في عهد السلاجقة، ترجمة وتعليق الدكتور أحمد
كمال الدين حلمي.
- عبدالرحمن بدوي (١٩٦٥)، التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، دراسات
لكبار المستشرقين، ترجمة عبدالرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية.
- فالترهنتس (١٩٧٠)، المكايل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام
المتري، ترجمة عن الألمانية كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، عمان.
- ستانلي لين بول، الدول الإسلامية مع إضافات وتصحيحات بارتولد، خليل أدهم،
نقله من التركية إلى العربية محمد صبحي فرزات، محمد أحمد دهمان.
- سيد أمير علي (١٩٦٧)، مختصر تاريخ العرب، نقله إلى العربية عفيف
البلبكي، دار العلم للملايين، بيروت.
- سيد أمير علي، مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي، نقله إلى العربية،
رياض رافت.
- مالوس، تسي (١٩٨٧)، موسوعة الطبخ الميسرة - مأكولات الشرق الأوسط،
تعريب عبدالهادي عبلة، ط١، مكتبة لبنان، بيروت.

- محمد علاء الدين منصور (١٩٨٩)، تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية ٢٠٥هـ/٨٢٠م-١٣٤٣هـ/١٩٢٥م، نقله عن الفارسية وعلق عليه محمد علاء الدين منصور، كلية الآداب، جامعة القاهرة، راجعه السباعي محمد السباعي، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة.
- كاهن، كلود (١٩٧٢)، تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، ترجمة بدر الدين القاسم، ط١، دار الحقيقة للطباعة والنشر، بيروت.
- كي، لسترنج (١٩٨٥)، بلدان الخلافة الشرقية، نقله للعربية ووضع فهارسه بشير فرسيس وكوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، ط٢، بيروت.

- المراجع الأجنبية

- Bosworth C. E. (1986). **The Political and Dynastic History of the Iranian World**, In the Cambridge History of Iran, V5.
- Lambton A. K. S. (1968). **The Internal Structure of Saljuk Empire** In Cambridge History of Iran.
- Carla L. Klausner, (1973). **The Seljuk Vezirate, A study of Civil Administration 1055-1167**, Center For Middle, Eastern Studies, Cambridge.
- (1986). **The Encyclopedia of Islam**, New Edition, Leiden, E. J. Brill.
- Osborn, (1978). **Islam Under the Khalifs of Baghdad**, London.
- W. Barthold, (1984). **An Historical Geography of Iran**, Princeton University Press, Princeton, New Jersey.

الرسائل الجامعية

- الجالودي، عليان عبدالفتاح محمد (١٩٩٦)، تطور السلطنة وعلاقتها بالخلافة خلال العصر السلجوقي (٤٤٧هـ/١٠٥٥م - ٥٩٠هـ/١١٩٣م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية.
- السيد مرتضائي (١٩٩٩)، الحياة العلمية في مدينة الري في العصر السلجوقي، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت.
- العزام، صبحي (٢٠٠٠)، الوزارة في الدولة العباسية، رسالة دكتوراه غير منشورة في الجامعة الأردنية.
- محمود عرفة محمود (١٩٨٢)، الجيش العباسي خلال عهدي البويهيين والسلاجقة، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة.
- مواهب عبدالفتاح (١٩٨٢)، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في دولة الأتراك السلاجقة على عهد السلطان ملكشاه، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة.

المقالات العربية

- أحمد عبدالرزاق (١٩٥٥)، وسائل التسلية عند المسلمين، مقال منشور ضمن كتاب دراسات في الحضارة الإسلامية بمناسبة القرن الرابع عشر الهجري، مج ١، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- بيّات، فاضل مهدي (١٩٨٤)، *علاقة السلاجقة بالخلافة العباسية* ٢٩هـ/١٠٣٨-٤٧هـ/١٠٥٥م، مجلة آداب المستنصرية، م٩.
- جعفر حسين خصباك (١٩٧٤)، *القضاء في العراق في العهد السلجوقي*، بحث مستخرج من المجلة التاريخية العراقية، العدد الثالث، بغداد.
- حبيب زيات (١٩٤٧)، *أزياء الأكمّام وما كانت تصلح له في الملابس العربية*، مقال منشور بمجلة المشرق، مج٤، بيروت.
- حسين أمين (١٩٦٤)، *نظام الحكم في العصر السلجوقي*، مقال منشور، مجلة سومر، مج٢٠، ج١، ج٢.
- الحسيني، محمد باقر (١٩٧١)، *دراسة تحليلية للألقاب الإسلامية*، مجلة سومر، وزارة الإعلام العراقية، م٢٧، ع٢.
- شاكر مصطفى (١٩٧٤)، *دخوك الترك الغز إلى الشام*، مقال بمجلة المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام، الأردن.
- صالح أحمد العلي (١٩٨١)، *امتداد العرب في صدر الإسلام*، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد.
- عبدالحميد سعد زغلول (١٩٨٠)، *الحياة الدينية في المدينة الإسلامية*، مجلة عالم الفكر، مج١١، ع١.
- عصام مصطفى عبدالهادي عقلة (٢٠٠٢)، *أنو شروان بن خالد القاشاني* (ت٥٣٢هـ/١١٣٧م)، *وكتابه ونقشه المصدور*، كتاب تذكاري للدكتور مصطفى الحيارى، الجامعة الأردنية.

- محمود عرفة محمود (١٩٨٨-١٩٨٩)، الأحوال السياسية والدينية في بلاد العراق المشرق في عهد الخليفة القائم بأمر الله العباسي حوليات آداب الكويت، الحولية رقم (١٠).
- مصطفى الشهابي (١٩٢٧)، تاريخ الزراعة في بلاد العالم العربي، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، آذار.
- يحيى الخشاب (١٩٧٥)، نظام الملك والمدارس النظامية، بحث مستخرج من مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية، ع٥، جامعة الإمام بن سعود الإسلامية بالرياض.

المقالات الفارسية

- حسين قرة جانلو (١٩٧٨)، سفالينه هاي ركا، مجلة بررسبهاي تاريخي، شماره ٦ سال دوازدهم.
- خرم دينان، مجلة بررسبهاي تاريخي شماره، ٦ سال يازدهم.
- (١٩٧٧)، خرمدينان أزشهين دخت كامران، العدد شماره، ٦ السنة ١٢.
- (١٩٧٨-١٩٧٩)، مجلة بادكار، بمريريت عباس إقبال.
- (١٩٧٩)، مجلة طوفان هفتكي، دوره جديد، سال ١٣٠٧، شماره هاي ٢ و ٣ و ٤.
- (١٩٨٥)، مجلة يغما، بمريريت حبيب يغمائي، سال هفدهم شماره، ٩ آذار.
- محمد علي جمال زاده (١٩٨٤)، ري طهران، مجلة يغما، العدد ٩.

